رواية

عمرو المنوفي



عين الحياة

دارن للنشر والتوزيع

عصور الظلام

العام: ٢١١٧ م

المكان: (كيميت) العاصمة الجديدة للجمهورية المصريّة العظمي.

الشوارع خاوية على عروشها، وآثار الدمار التي خلفتها المعارك الأخيرة، جليّة على واجهات المباني التي تضرّرت بشكلٍ مرعب، ووسائل النقل المتفحّمة، والكباري المحطّمة، وأطلال المنشآت التي تحوّل بعضها لركام، ولا أثر لبشريٍ واحدٍ حيٍ في المنطقة كلها.

الطيور الجارحة تحوم حول بقايا الجثث الممزّقة الملقاةبعشوائيةٍ على جوانب الطرقات، ودخل بعضها في طور التحلّل، دون أن يكون هناك من يراعي حرمة الموت أو يقوم بدفنها، مؤكدةً على نتائج المعارك حامية الوطيس، وخسائر البشر الفادحة التي مازالت في تصاعدٍ مستمر..

من يرى العاصمة في هذه الحالة، لن يصدق أنّها كانت واحة التقدم والحضارة منذ أسابيع قليلة!

آليات الغزاة القتالية التي تمّ تمييزها باللون الأسود، ودوريات المستعبدين تجوب الشوارع الخالية لفرض حظر التجول القسري، والقبض على عناصر المقاومة أو المتمردين كما يطلقون عليهم، بعد أن نظّموا صفوفهم، وهبّوا للدفاع عن عاصمتهم، وأصبحوا شوكةً في حلوق المحتلين..

كلّ شيءٍ صامت.

ويفوح برائحة الموت.

شيءٌ واحدٌ فقط كان يتردّد بشكلٍ آليٍ دون انقطاعٍ كلّ ثلاث دقائق، على شاشات العرض الإعلانية في كافّة الميادين.

وهو البثّ العالمي الموحد.

والذي بدأ يذاع على كافّة شاشات العرض، وجميع قنوات البثّ الفضائيّة والأرضيّة، وعبر الأقمار الصناعيّة، وكتحذيرٍ مستمرٍ على جميع موجات الراديو، القديمة منها والحديثة، مع اندحار جيوش الأرض ذات القيادة الموحّدة على يد قوات الغزاة الوحشية.

وهي المرة الأولى في التاريخ التي يتوحّد فيها بثٌ مماثلٌ، أو تتحد دول العالم بشكلٍ كاملٍ على اتخاذ قرارٍ موحّد..

فلا يجتمع البشر، و لا ينّحون خلافاتهم جانبا إلّا أمام كارثةٍ عظمى تهدّد بقاءهم، كذلك الغزوِ الشيطانيّ الرهيب.

وبالرغم من أنّه استمع مئات المرات في هذا اليوم وحده للبثّ المروّع، الذي لم يبالِ الغزاة بعد السقوط الكبير بايقافه، كنوعٍ من السخرية وتأكيدًا على سطوتهم، إلا أنّه في كلّ مرّةٍ يصل إلى مسامعه، ينقبضُ له قلبه، ويقبض على بندقيته المتطورّة في قوّة وهو يتلفّت حوله في حذر، فلا أحد يدري متى يظهر هؤلاء المفترسون لقنصه أو الفتك به.

التحذيرُ العالميُ يلّح على مسامعه، فينصت له رغمًا عنه:

- من مجلس قيادة الجيش العالمي الموحّد، إلى كلّ بشريٍ على وجه الأرض، التحذير ليس تجريبيًا، التحذير حقيقي، فالأرض تتعرض لأكبر خطرٍ واجهها منذ نشأتها.

نحن الآن في خطرٍ رهيب، وداهم، وعلى كلّ القادرين على حمل السلاح أن يهبوا للذود والدفاع عن كوكبهم، فالجيوش جميعها أنهكت، ومن بقي منهم مازالوا يقاتلون في معارك يائسة.. فقد حان الوقت للمقاومة الشعبيّة الشجاعة أن تقوم بواجبها، ومخازنُ الجيش مفتوحة للجميع.

تحرك ببطءٍ ليدخل إلى سطح المبنى المهجور زاحفا علىبطنه، حتى وصل إلى مكانٍ مناسبٍ يستطيع منه كشف المنطقة كلّها عبر منظار

بندقيته ثلاثيَ الأبعاد ذو المدى الطويل..

العاصمة أمامه كمدينة أشباحٍ مهجورةٍ، ولا يُرى فيها على امتداد البصر أيَ أثرٍ للحياة، والميدان الكبير الذي لم يكن يخلو من المارّة أو المركبات، أو رجال حفظ الأمن، فارغٌ إلَا من مجموعة مركباتٍ متفحمةٍ، نقلها المحتلون على جوانبه لإفساح الطريق لمركباتهم وقواتهم..

والإستاد الجديد، لم يبقَ منه ما يصلح حتى لمعرفة الهدف من إنشاءه، فلا مكان فيه لم تصبه قذيفةً مدمرة، والمباني من حوله كلَها مجرد أطلالٍ خربةٍ لا تصلح لشيء.

فقط أبراج البث الإعلانية المبرمجة آليا والتي تعتمد على الطاقة الشمسية، هي الدليل الوحيد على أنَ البشر كانوا هنا ذات يوم، فلم تتوقف عن تكرار التحذير الذي لم يعد له جدوى ..

لمح إحدى دوريات المستعبدين تقوم بفحصٍ روتينيٍ للمبنى الذي يختبئ على سطحه، ثم تغادر صوب المبنى التالي، فارتسمت على شفتيه ابتسامةً مريرةً يائسة، فقد نجح فيما فشل فيه رجالٌ أشدّاء ومدربين، وهو الإفلات من بين أيدي هؤلاء الطغاة، دون أن يتمَ قنصه أو السيطرة على عقله..

ومن أمام فجوة في جدار السطح، حدد هدفه، وصوب منظاره ثلاثيَ الأبعاد، نحو معسكر الغزاة الهائل الحجم المحاط بالأسلاك الشائكة، والذي يبعد عن موقعه مسافةً لا تقل عن الخمسمائة متر أو تزيد قليلًا، والذي كان فيما سبق منشأةً تعليميةً تفاعليةً تتبع الدولة قبل استيلائهم عليها، وتحويلها لمعتقلٍ وحشيٍ بغيضٍ تمارس فيه أبشع أنواع الانتهاكات وصنوف التعذيب..

عيناه تمسحان المعسكر بلهفةٍ وقلبه يخفق من الحزن وهو يتابع فرق المستعبدين من البشر، وهم يقومون بمهامَ الحراسة والدفاع، متمترسين في مواقعهم خلف الحواجز الإسمنتية المحصَنة عند مداخل

ومخارج المعسكر المتعدِّدة..

ولم يكتفوا بهذا، بل انطلق عدد منهم في دورياتٍ متحركةٍ لتأمين الشوارع المحيطة بالمعسكر، تشرف عليهم تلك المخلوقات البغيضة، قصيرة القامة كبيرة الرؤوس التي يطلق عليها (الهامسين).

نظراتهم الزجاجيَة الشاردة، لم تكن تخفى على أحدٍ، فسيطرة (الهامسين) على عقولهم ألغت إرادتهم، وجعلتهم أقرب للروبوتات، يتلقون الأوامر، وينفذونها، ولو ضدَ بني جنسهم.

وهي لعبة استراتيجيةً خبيثةً من الغزاة، جعلتهم مجرد دروعٍ بشرية في وجه هجمات المقاومة العنيدة، التي باتت أكثر تركيزًا وتنظيمًا، بل وأصبحت مؤشرًا مقلقًا على استعادة البشر لبعض توازنهم بعد الصدمة الرهيبة التي نتجت عن وقوع الغزو.

وأنَ المصريين كعادتهم في المحن يقاتلون على قلب رجلٍ واحد، شعارهم النصر أو الشهادة.

هو نفسه بعد أن تسلل هاربًا من موقع عمله السرِي، وبدأيجوب المناطق القريبة، سمع بعض المواطنين الذين قابلهم، وهم يفرّون من العاصمة عبر أنفاق المترو التي استخدمها للوصول إلى موقعه الحالي يتحدثون عن (الشبح).

ذلك القائد الغامض الذي يقود خلايا المقاومة، والذي بدأيثير غضب الغزاة وزعيمهم الطاغية، بعد أن شنَ ضدهم هو ورجاله حرب استنزاف مستعرة، وعجزوا عن الوصول إليه بما يمتلكون من قدراتٍ فوق الطبيعية، ووسائل متقدمة صنعها البشر، وحاولوا هم استخدامها ضدهم.

لقد أصبحت المقاومة الوليدة في فترةٍ قصيرةٍ، مشكلةً تقضّ مضاجعهم، وتهدِّد أمنهم، فأصبحوا يتعاملون مع الجميع بوحشيةٍ مضاعفة..

صحيحٌ أنَّ هجمات المقاومة ظلّت محدودةً، واقتصرتعلى العمليات الانتحارية التي من سلبياتها أنها تسقط الضحايا من الجانبين؛ إلَّا أنها ظلَّت الوسيلةَ الوحيدةَ المتاحة في ظلِّ ضعف الامكانيات وقلّةِ الموارد والسيطرة المحكمة من الغزاة على كلِّ مفاصل العاصمة، واحتلالهم لكلِّ الأماكن الحيويَة والاستراتيجيَة في الدولة..

وأكثر ما كان يعوق المقاومة عن تحقيق نجاحاتٍ أكبر،وهو استعانة الغزاة بذلك الجنس الوحشيّ الذي أطلقت عليه وسائل إعلام ما قبل الهزيمة لقب (الهامسين).

وكانت وسيلتهم الدائمة لتنفيذ مثل هذه الهجمات المدمّرة، هي عربات الأغاني المفخّخة.

وأطلق عليها هذا الاسم العجيب، لأنَّ من يقودها كان مجبرًا على رفع صوت الأغاني الصاخبة لأعلى درجة، وهو في طريقه لتفجير نفسه وسيارته في أهدافهم الاستراتيجية، كي لا يقع فريسةً لسيطرة (الهامسين) العقلية، وتفشل العملية، وهو ما يتمنى أن يقوم به بعد أن ينهي مهمته الخطيرة، لينتقم لكل من فقدهم.

التحذير المثير للأعصاب يتردّد في إلحاحٍ فينصت له، أو هو عقله الذي يحاول الهروب إليه من جحيم الأفكار :

- لم يأتِ الخطر من الفضاء، أو من خلف الأبعاد فقط، بل نشأ وترعرع على أراضينا في غفلةٍ منّا، واستطاع مع تناحرنا، وانهماكنا في صراعات القوة، أن يفرض سيطرته على كامل الكوكب، معتمدا على جيشٍ من الخونة، والموالين، والمسوخ القادمين من الجحيم.

منظاره يمسح دون ملل كلّ شبرٍ في المعسكر الذي يضم بين جنباته أكبر معتقل احتجاز للمتمردين في العاصمة.

ما زال لم يعثر على بغيته في ذلك المكان اللعين،فالمكان مكتظّ بالهجناء، والمستعبدين، والهامسين، الذين يتحركون عبر المكان لإنجاز

مهام مختلفة..

تركّز بصره على أحد قادة (الهامسين) برأسه العملاقة الذي يمثل له الخطر الأكبر في المعسكر، وتذكّر تلك اللحظة المشؤومة التي نجح فيها هؤلاء السحرة الملعونون من التسلّل عبر فجوات مظلمة انبثقت فجأةً من أحد أبعاد الأرض في كل دول العالم عند بداية الغزو، وكيف استخدموا قدراتهم العقليّة البغيضة في التحكّم في البشر فصاروا بين أيديهم كالدمى.

خوفٌ مجهولٌ يتصاعد في أعماقه، ولكنّه يتجاهله، ويتوجه بمنظاره صوب الأبراج، فيجد أنّ من يحرسونها أيضًا من المستعبدين، فتعتصر قبضةٌ باردةٌ قلبه، ويجزّ على أسنانه، فلا يمكن إطلاق كلمة (خائن) على مسلوب الإرادة.

وأكثر ما يستفزّه هو ذلك التحذير البغيض، الذي لازال يتردّد في إلحاحٍ برغم عدم جدواه من شاشة العرض القريبة:

- ويهيب بكم المجلس أن ترتدوا الخوذات التردّديّة لمن يملكها، ومن لا يملكها عليه صناعة سدّادات أذنٍ محكمة، فـ(الهامسين) يستطيعون سحركم، والسيطرة عليكم، ومحو إرادتكم..

نعم السحر حقيقي، ونخضعه منذ زمنٍ بعيدٍ للدراسة، وكنّا مع الزمن سنصل لأسسِ هذا العلم، ولكن للأسف لن يسعفنا الوقت لاستخدامه ضدهم..

اليأس يتسرب إلى عقله، فالتحصينات الجديدة التي قاموا بها تمنعه من الفحص الجيد للمكان، وهو لن يستطيعَ الاقترابَ لمسافةٍ أكبر، فسدّادات الأذن التي قام بصنعها بنفسه، لن تمكّنه من الفكاك من سيطرة (الهامسين) العقلية لو اقترب أكثر، وستفشل مهمته التي دونها حياته.

المعسكر ضخمٌ، وممتلئٌ بأكثر من طاقته الاستيعابية، ولكنّ قلبه

يخبره أنَّ بغيته هناك، وهو يحاول أن يتجاهل التحذير الذي عجزت تلك السدادات الفاشلة عن منعه من أن يصدم مسامعه:

- أعداؤنا مجموعةٌ من الواليين، والمسوخ القادمين من خلف الأبعاد، والذين لا توجد بقلوبهم ذرة رحمة..

ونشدِّد؛ لا مواجهات مباشرة مع العدو.. قتالهم يتمُّ بطريقة حرب العصابات من على مسافاتٍ آمنة..

وأكرِّر لا تقتربوا منهم كي لا يسيطروا على عقولكم..

وعبر منظاره وقع بصره على مشهدٍ وحشيٍ، لاثنين من المستعبدين، وهم يجرّون شابًا من المتمردين مصابٌ بشدّة من منطقةٍ مظلمةٍ في طرف الساحة لا يكشفها منظاره، ويقودونه باتجاه حلقةٍ تضم مجموعةً من المسوخ الصاخبين، على رأسهم قائد المعسكر الهجين ذو الأنياب البارزة، ويلقونه أمامهم في خشونةٍ، وكل ذعر الدنيا يرتسم على وجهه..

كان يعلم ما سيحدث في اللحظات الرهيبة التالية، وبرغم هذا لم يستطع أن يبعد عينيه عن وجه الشاب المذعور، الذي راح المسوخ يتقاذفونه بينهم بشكلٍ ساديٍ وعنيف تسبّب في تهشيم عظام صدره، ومفاصل ركبته اليسرى، وهم يطلقون خوارهم الوحشيّ الرهيب الذي يدل على استمتاعهم الكبير بما يفعلونه، قبل أن تغلبهم طبيعتهم الدموية، وينقضُوا على الشاب العاجز، ويمزقوه إربًا بأنيابهم الحادة، ويشرعوا في التهامه.

كان يرغب في أن يخلّص الشابّ من عذابه برصاصة رحمةٍ من بندقيته بعيدة المدى، بل وهمَّ أن يفعل هذا بالفعل، وتوقّف في اللحظة الأخيرة خوفا من أن يعلن عن وجوده، وينكشف موقعه قبل اللحظة المناسبة، فتفشل مهمته قبل أن تبدأ.

ومع توتره، وشعوره الكبير بالذنب، ومنظر الأشلاء المروِّع، تحركت

معدته رغما عنه، وأصابه غثيانٌ شديد، فحاول أن يتمالك نفسه، ولكنه لم يستطع، فاستدار وأفرغ معدته على الأرض، وقد تبخرت شجاعته، وهو يرى المصير الأسود الذي سيلقاه كلّ من سيسقط بين أيديهم من البشر.

وقبل أن يسيطر عليه ذعره، عاد ليصوّب منظاره في الاتجاه الذي أحضر منه المستعبدين ذلك الشاب المسكين.

وبرغم بُعد المسافة، شاهد بعضهم يجرُّون شابا آخر غير قادرٍ على السير ويسحلونه على الأرض، وسط ضجيجٍ هائلٍ يصنعه هؤلاء المسوخ لم يصل صوته إليه كذلك التحذير المستفَز، الذي كان يكرّر بلا هوادة:

- نحن لا نريد أن نثير ذعركم..

ولكننا في الأيام الأخيرة ، قبل نهاية الأرض التي نعرفها، قررنا الشفافيّة..

الأرض يتم غزوها، ونحن لن نستسلم..

ولو فشلنا جميعًا، فلن يحصلوا علينا، أو عليها..

الجملة الأخيرة، لمست جرحًا مفتوحًا في أعماقه فردّدها دون وعي:

- نعم لن يحصلوا عليها، ولو كان الثمن حياتي..

ومع شروده راح يردّد كلمات التحذير، وكأنه يستمّد منها شجاعته الغائبة:

- قاتلوا من أجل أنفسكم..

قاتلوا من أجل أحبّائكم..

قاتلوا من أجل مستقبل الأرض..

وقبل نهاية التحذير تملّكه حماسٌ مشوبٌ بالغضب، ليهمس بصوتٍ

مكتوم:

- سأقاتل من أجلها، سأقاتل حتى أموت دونها، إنها كلّ من تبقى لي، لن أتركها بين أيديهم القذرة مهما كان الثمن

وأمام عينيه المجهدتين، تجسّدت صورة ابنته الشابّة التي انضمت كما فعل الملايين غيرها إلى صفوف المقاومة الشعبيّة، وكبّدوا الغزاة خسائر فادحةً عندما تصدوا لموجات الهجوم الأولى.

وبرغم أنّ ما قامت به ابنته، كان هو يقوم به، ولكنّه لام نفسه كثيرا، لأنه لم يكن معها عندما حملت السلاح وخاضت الحرب!

فحربه كانت بالعلم، فعلى رأس فرقٍ عديدةٍ من صفوة العلماء والمتخصصين في كافة المجالات التكنولوجية والطبيّة الحديثة، كانوا يسابقون الزمن من أجل إنهاء مشروعهم فائق الأهميّة الذي بدؤوه قبل ثلاث سنواتٍ، والذي سخّرت له الدولة كلّ ما تبقّى من مواردها، وخصّصت له أحد مخابئها النووية فائقة السريّة، والذي سينتج عنه أقوى سلاحٍ أرضي يمكن صناعته عبر التاريخ، والذي يعدّونه لدحر الغزاة.

وكان يمكن أن يستمر في عمله ويحقق النتائج المرجوّة ويقلب موازين الحرب، لولا اتصال ابنته به عن طريق جهاز ارسالٍ متطورٍ كانت تحمله معها، لتخبره أنّها سقطت في أسر أحد فرق المستعبدين، وتطلب منه العون قبل أن يسيطر على عقلها (الهامسين) فيفقدها إلى الأبد.

وهو الاحتمال الذي لم يكن ليقبل به مهما كان الثمن..

ومن ساعتها، وهو يقوم بالبحث المحموم عنها، بعد أن هجر عمله الخطير، متسلّلا عبر الأحياء، ليجوب كلّ معسكرات السخرة والاعتقال التي تقع ضمن النطاق الأخير للاتصال، ليشاهد في ساعات معدودةٍ قدرًا هائلًا من البشاعة عجز عقله عن استيعابه أو وصفه..

فالقتل، والتعذيب، والتمزيق، والتهام لحوم البشر أحياء، وشرب

دمائهم كان أقل ما يمارسه هؤلاء السفلة من أفعال، وكأنّهم يسعون بكلّ جهدهم لانقراض البشر، أو محوهم من الوجود بأبشع الطرق..

وأثناء عمله على السلاح الخطير في المخبأ النووي، كان يسمع عن كلّ هذه الفظائع، ولكن أن ترى بعينك غير أن تسمع، فوقتها أنت معرضٌ لكل هذه الأهوال، وهو لم يكن مؤهَلًا أبدًا لما يخوضه.

وكاد أن يسقط فريسةً للانهيار النفسيّ والعصبيّ، لولا علمه بأنّه الأمل الوحيد لأبنته الأسيرة، في زمنٍ أصبح الكلّ فيه؛ إمّا أسيرًا لهذه المخلوقات الوحشيّة، أو بصدد أن يصبح أسيرًا، أو جثّة ممزّقة تركت لتتعفن على قارعة الطريق وتلتهمها الطيور الجارحة.

وأمام عينيه الدامعتين قاد المستعبدون، متمردًا ثانيًا، وثالثًا، ورابعًا إلى حلقة الموت الرهيبة التي كشفت دون مواربةٍ عن طبيعة الغزاة الوحشيّة، وكيف يتصرفون كمجموعةٍ من الضواري التي لا يُشبِع جوعَها شيء.

ومع كلّ شخصٍ يلتهمونه، كان قلبه يتمزق ألف مرة، خوفًا من أن تكون نهاية ابنته الوحيدة بين أنياب هؤلاء الدمويين.

وما يزيد معاناته أنّه بدونها سيصبح وحيدًا في هذا العالم؛ بعد أن فقد زوجته وأسرته الكبيرة في الهجمة الأولى للغزاة، والتي أبادوا خلالها عشرة ملايينَ من البشر خلال ساعاتٍ محدودةٍ دون أن يطرف لهم جفن، معلنين بداية عصور الظلام للبشريّة.

إنّه يدرك من أعماقه أنّه غير قادرٍ على إنقاذها من بين براثنهم..

ولكنّه وعدها أن يحررها..

ولن يتوقف عن المحاولة حتى آخر نفسٍ يتردد في صدره.

لقد ذاق الأمرّين كي يصل إلى هذا الموقع، وسفك الدماءلأول مرةٍ في حياته، ودون تردّد.

ففي هذا الوقت الحرج إمّا أن تَقتُلَ أو تُقتَل .

إنّه من أجلها يخوض حربه الخاصّة جدًا..

ولكنّ ما يسحق عزيمته، أنّه لو عثر عليها في هذاالمعتقل البغيض كما ينبّئه قلبه، فسيكون عاجزًا عن مجرد الاقتراب منها.

ولو فرض أنّه استطاع، فلن تستجيب له مع سيطرتهم العقلية عليها، ولن تفهم أنّه يحاول إنقاذها، هذا لو عرفت من هو من الأساس، ولم تسلّمه إلى هؤلاء الطغاة..

لقد تأخر كثيرًا.

وأكثر ما يفجعه، هو ساديّتهم، وكيف أنّهم ينهون سيطرتهم العقلية على عقول الأسرى من المتمردين، عندما ينوون الزجّ بهم في حلقات الموت، كي يستمتعوا برؤيتهم مذعورين يتعذّبون في لحظاتهم الأخيرة.

إنّه يذكر أنّه سمع من الأخبار قبل السقوط الكبير، أنّ بعضًا من هؤلاء الغزاة يتغذّون على الخوف والمشاعر السلبية، أي أنّ إفزاع الضحايا جزءٌ من طقوس التنكيل بهم ..

وبالطبع لم يكن لديه أيّ تفسيرٍ علميٍ للأمر، ولا يعلم كيف تكون المشاعر السلبيَة غذاءً لأيّ كائنٍ حي، فهذا ليس مجال تخصّصه، لكنّه رصد هذه الظاهرة بنفسه عند فحصه للعديد من معسكرات الغزاة الفرعية، أثناء رحلة بحثه المنهكة عن ابنته.

إنّ حلقات الموت طقسٌ يوميٌ وحشيٌ يمارسه الغزاة دون هوادة.

المنظار يمسح المكان دون أمل..

كلّ شيءٍ في المعتقل يفوح برائحة الموت والهمجية..

كلّ شيءٍ بشع.

وعندما قرّر أن يريح عينيه المجهدتين، واللتين بدأتا في التشوّش، وقبل أن ينحي المنظار جانبًا، وقع بصره على ابنته، والمستعبدين يجرّونها جرًا من طرف الساحة البعيد إلى حيث تتجمّع المسوخ في حلقة الموت، استعدادًا للفتك بها والتهامها حية، كما حدث مع من سبقوها، فانتفض جسده في عنفٍ، وسقط قلبه بين قدميه.

لقد تغيّرت بشكلٍ بشع، وكاد ألا يعرفها من كثرة إصابتها، التي تدل على أنّها خضعت لنوعٍ رهيبٍ من التعذيب، ربّما في محاولةٍ منهم لمعرفة شخصيّة (الشبح) قائد المقاومة.

واعتصر الحزن قلبه، وهو يرى نفسه عاجزًا عن إنقاذها..

كان يتمنى لو أنّ هناك وسيلةً ليفتديها بحياته، أو أنّه يمتلك إحدى عربات الأغاني المفخّخة الصالحة للعمل كي يقوم بتفجير المعسكر بمن فيه، ليوقف تلك الممارسات الوحشيّة، ويرحم ابنته من العذاب؛ ولكنّهم مؤخرا أبادوا كلّ وسائل النقل في العاصمة، لتعجيز المقاومة..

فعلى الأقل لو فعلها، سيموت مع ابنته دون أن يكون هذاالمصير البشع هو قدرها النهائي؛ فموتها في انفجارٍ مدمرٍ، أرحم من العذاب الرهيب الذي ستلقاه بين أنياب هؤلاء المفترسين..

وجنحت أفكاره إلى الضحية الأولى التي افترسها هؤلاء المتوحّشون، وإلى الفكرة التي واتته عندما أراد تخليصها من العذاب، ليدرك أنّه برغم ما بذله من جهد، عاجز عن انقاذها.

وتركّزت كلّ أفكاره على أنّ الموت هو الحل الوحيد المتاح..

فلم يترك له الغزاة أيّ مخرجٍ أخر.

وفي هذه اللحظة، قرّر بكل حبٍ أن يقتل ابنته..

نعم سيقتلها.

فهذا هو واجبه الحتمي نحوها..

وسيؤدي واجبه، ولو كان هو الوجبة التالية لهؤلاء المتوحّشين.

فمن حقّها أن تموت دون أن تعاني أو تتألم أو تفزع..

وبكلّ عزمٍ صوّب منظار بندقيّته نحوها، وهو يحاول منع يده من الارتجاف.

وأغرقت دموعه وجهه بعد أن حار؛ أين يمكن أن يطلق رصاصته القاتلة على فلذة كبده؟!

إنّ اتخاذ القرار أشق كثيرًا من تنفيذه..

وعبر المنظار المتطوّر الذي زاد حدّته لأقصى مدىً، شاهد ابنته التي بدأ يعود لها وعيها بعد أن أنهوا سيطرتهم العقلية عليها، وهم يجرّونها جرًّا فوق الأرضيّة الخشنة

كم هي واهنة.

وضعيفة.

وجميلة..

التحذير العالميّ مازال يتردّد في المكان، فيراه في هذه اللحظة المأساويّة، مجرد سخريةٍ منه ومن وضعه، فجيوش الغزاة اجتاحت كلّ بلدان العالم، وسحقت جيوش الأرض النظاميّة، وحوّلت الأرض لمعتقلٍ كبير.

الصوت الصارم يعيد تكرار الكلمات التي أصبح يحفظها عن ظهر قلب:

- حفظ الله الأرض وشعوبها، وأنجاها من كيد المعتدين..

يكظم غيظه في أعماقه، وهو يردّد بصوتٍ ساخطٍ:

- لقد غضب الله على هذه الأرض ليرسل لها هؤلاء الطغاة، وفشلتم جميعكم بجيوشكم وغطرستكم، في الصمود أمام جيش الشياطين

هذا.

لماذا لم تنفذوا وعدكم، وتبيدوا الأرض بقنابلكم النووية وأسلحة الدمار الشامل التي طالما أرهبتم بعضكم بها؟!

لماذا تركتموها لتتحول إلى هذا الجحيم؟!

ولماذا تركتم ابنتي لتلقى هذا المصير البشع؟!.

ليتفاجأ بصوت خطواتٍ حذرةٍ من خلفه، فيستدير بسرعةٍ موجهًا بندقيته صوب صاحب الخطوات، وهو يرتجف في هلع، ليتجاهل صاحب الخطوات البندقية الموجهة إلى صدره، وهو يقول في صرامة:

- لأننا مازلنا نتمسك بالأمل.. نحن لم ولن نترك أرضنا لهم أو لغيرهم، وبذلنا ونبذل كل غالٍ ونفيسٍ لنردعهم، وقاتلناهم بضراوةٍ في كلِّ المعارك، وما زلنا نقاتل يا دكتور (وهيب)، والحرب بيننا وبينهم مازالت مستمرة، وأنت خير من يعرف هذا، فلا تحاول إلقاء اللوم علينا.

لم يستطع الدكتور (وهيب) تمالك أعصابه فهتف بصوتٍ مرتفعٍ، كان من الممكن أن يكشف موقعهم لولا بُعد المسافة عن المعسكر، وارتفاع المبنى الذي يتواجدون على سطحه:

- لقد أفزعتني يا (باهر)، عن أيِّ أملٍ لعينٍ تتحدث، إنَّ البشر أنفسهم يساعدونهم، لقد حولوا البشر إلى مسوخ تشبههم، لقد خسرنا كلَّ شيء، لا وقت لديَّ لهرائك هذا، فإنهم على وشك أن يلتهموا ابنتي حيَّة..

رمقه (باهر) بشفقةٍ، وهو يسأله:

- وما الذي ستستطيع فعله من أجلها؟

أعاد الرجل تصويب منظار بندقيته عبر فجوة السطح ودموعه تغرق وجهه، ليجيبه بصوتٍ متألمٍ يحمل كلَّ قهر الدنيا:

- سأقتلها.

وعلى الرغم من الردّ الصادم، قال في تفهّم:

- اللعنة، ولكنّك تعرف أنّ هناك حلاّ آخر. سينهي كلّ هذا من قبل أن يبدأ. حلّ لا يملكه إلاّ عالمٌ مثلك نسي التزامه، وواجبه تجاه وطنه وكوكبه، وفرّ من موقع عمله معرضًا المخبأ كلّه للانكشاف، وسلب أحد حرّاسه سلاحه، رغم أنّ علمه أقوى سلاح يمكن أن نواجه به هؤلاء الهمج..

ورغم حديث (باهر) المنطقي لم يرفع (وهيب) عينه عن المنظار، وهو يضبط زاوية الرؤية على وجه ابنته، ويقول في يأس:

- لقد انتهى هذا الزمن بالنسبة لي، ولن أعود معك لأيّ مكانٍ، فبعد ابنتي لن أحيا في هذه الدنيا لحظةً واحدة.

وبرغم دقّة الموقف، ردّ عليه (باهر) بصرامة:

- أنت الشخص الوحيد ممن تبقى من علماء البشر الأحرار الذي يمكنه إنقاذ البشرية، وبعلمك يمكننا القضاء على هذا الغزو البشع، إنّك أملنا الوحيد.. معملك بانتظارك، وجميع مساعديك ينتظرون عودتك لتنهي عملك، إنّك بتصرفاتك غير المسؤولة هذه تحكم على الجميع بالإعدام.

كانت عينا الدكتور (وهيب) مسلطةً على ابنته التي ألقاها المستعبدين على أرض حلقة الموت دون رأفة، وبدأ المسوخ لعبتهم الوحشية معها، وعلى وجهها ارتسمت أعتى علامات الرعب بعد أن تحرّرت من سيطرتهم العقلية بشكلٍ كاملٍ، لتشاهد كلّ هذا الهول المحيط بها.

وبرغم موقف الدكتور (وهيب) العصيب، راحت كلمات (باهر) تتردّد في عقله لتزيل عن عينيه بعض الغشاوة، ليدرك أنّ خوفه على ابنته، أنساه واجبه تجاه وطنه وكوكبه بالفعل! ليعترف بينه وبين نفسه، أنّه وحده من يملك الحل للقضاء على كل هذه البشاعة، ولكنّه عاد ليقول في عناد:

- إنه واجبي نحو أقرب إنسانةٍ لي في الوجود، سأنهي مهمتي،

وبعدها سأكون رهن إشارتكم لنعيد هؤلاء الشياطين إلى جحيمهم.

قالها ثمَ عاد ينظر عبر المنظار المقرَب ليضبط مجال الرؤية، ويحدد نقطة الإطلاق، وقد أصاب عقله نوعٌ من الجمود اللحظي، فقبض (باهر) على كتفه بقوَةٍ، وهو يقول في شفقة:

- ليس عليك أن تفعل هذا بنفسك يا دكتور (وهيب)، دعني أتولى هذا الأمر البغيض عنك، فأنت...

ولم يمهله الدكتور (وهيب) ليكمل جملته، وهو يقول في صرامة :

- إنه واجبي نحوها.. إنها ابنتي أنا..

وعاد ينظر عبر منظار بندقيته إلى ابنته، ومن إحدى عينيه سالت دمعةٌ وحيدةٌ مريرة، بعد أن هشَم أحد المتوحشين قدميها وأطلقت صرخةً رهيبةً تمزَق نياط القلوب، وهي تزحف أمامهم في ذعر، وهو يطلقون خوارهم الحيواني، فمسحها بسرعةٍ، وهو يضبط نظام بندقيته على التصويب الآلي، ويوجه منظاره صوب رأسها، ليرى ملامح الفزع على وجهها، وذلك الهجين ذو الأنياب يقترب منها مستمتعًا بزحفها العاجز، ولا يعرف هل رأته أم لا، ولكنَها نظرت في الاتجاه الذي يوجد فيه..

وتأمل هو وجهها المرتعب المغبر، وشعرها الأشعث، ثم قال في وجعٍ رهيب:

- سامحيني يا ابنتي، إنه الحل الوحيد حتى نلتقي منجديد في عالمٍ أفضل.

ثم أطلق قذيفة بندقيته دون ترددٍ، لتقطع المسافةفي عدَة ثوانٍ، وتخترق رأسها في قوة، لتفجر جمجمتها ويتناثر مخَها في وجه المحتل الرهيب، دون أن تترك لها أدنى فرصةٍ للصراخ أو الألم..

ليثير ما حدث حنق هؤلاء المسوخ، ليأمر قائدهم الغاضب جنوده بالبحث عن الفاعل وإحضاره إليه حيًا، قبل أن يثيره منظر الدماء،

فينقضّ على جثتها ليمزقها إربًا في مشهدٍ بشع.

ليرتَت (باهر) الذي كان يتابع الموقف من منظارٍ إلكترونيأخرجه من نطاقه في محاولةٍ منه لمنعه من مشاهدة عملية التهام بقايا جثة ابنته, ليتفاجأ به يدفع يده في غلظة، ويواصل النظر متابعا الهول الدائر لدقيقةٍ كاملة، وكأنه يرغب في حفظ هذه الذكرى البغيضة في ذاكرته، كي لا ينسى ثأره أبدًا.

وعلى الفور أجرى اتصالًا سريعًا عبر موجةٍ سريةٍ خاصة لا يمكن للغزاة تتبعها، وطلب من إحدى الفرق الطبية الاستعداد، متوقعا أن ينهار الدكتور (وهيب) بعدها، ولكنّ المفاجأة كانت من نصيبه هو، عندما رآه يقبض على بندقيته المتطوّرة بقوّةٍ، وينتصب واقفا على قدميه في تصميم، وقد لمعت عيناه بغضبٍ يكفي لإحراق الأرض بمن عليها، قائلًا:

- لقد أرحتها من العذاب، وأديت واجبي نحوها.. هلمّ لنعدإلى عملنا، فثأري قد بدأ الآن مع هؤلاء الشياطين.. وأقسم بروح ابنتي ألّا يغمض لي جفنٌ، حتى يدفعوا جميعهم الثمن..

وبناءً على حديثه، اقترب منه (باهر) بهدوءٍ حذر، وأحاط يده اليسرى بسوارٍ إلكترونيٍ معدني له شاشة سائلة، ثم ضغط على شاشة سوارٍ آخر يحمله، ليتألق المكان كله بضوءٍ ساطعٍ، رآته جحافل المستعبدين، والمتوحّشين الذين حاصروا المنطقة، وجاؤوا لقنصهم.

وقبل أن يجدوا مكانهما، أو يصلوا إليهما، تحوّلا إلى خيطين سميكين من الضوء، انطلقا نحو السماء، وتلاشوا هناك.

كنجمين هاربين..

تاركين خلفهم جيشًا غاضبًا من المسوخ.

وأرضًا غرقت في عصورها المظلمة.

وسؤال مخيف:

كيف بدأ كلّ هذا الهول؟

تذكر انك حملت رواية عين الحياة حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

*****

حكايات دموية

حكايةُ صناديقِ التخلصِ منَ الأطفال

العام : ٢٠٢١ م

المكان: الولايات المتحدة الأمريكية.

- تيت.. تيت.. تيت.. تيت.

دوّى صوت جهاز الإنذار الكئيب في مركز شرطة مدينة (أنديانا بوليس) عاصمة ولاية (أنديانا) الأمريكية، لتنتفض مذعورةً الشرطيّة الحديثة التعيين (ماري كوبر)، وتتوتر في جلستها، وينقبض قلبها، وبرودةٌ غامضةٌ تتسلّل إلى أطرافها برغم الحرّ الخانق الذي لم تستطع أجهزة تكييف الهواء التي فسد معظمها مقاومته..

وعلى أثر الإنذار المتواصل توقفت نهائيًا عن كتابة ذلك التقرير الاحصائي المملّ الذي اقتطعت نصف نهارها من أجل إنهائه، وعلى عينيها ظهرت علامات الارهاق الشديد، نتيجة تحديقها لوقتٍ طويلٍ في شاشة الكمبيوتر المكتبي الذي تسلّمته مؤخرًا ضمن متعلقات عملها الجديد.

والذي تراه كعبءٍ إضافيٍ مع كراهيتها العمياء للأعمال الورقية التي لم

تتخيل عند التحاقها بسلك الشرطة أنّها ستترك ملاحقة المجرمين وتقوم بها.

وهي التي تنتظر فرصةً واحدةً لتثبت لنفسها أنها شرطيّةٌ حقيقيّة، فالواقع يختلف دائمًا عن الصورة التي نرسمها في أذهاننا للأشياء..

- تيت.. تيت.. تيت.. تيت.

أنفاسها تتسارع، وصوت جهاز الإنذار الكابوسيّ يدوي كطبول الحرب في رأسها، فتتمتم في عصبيةٍ وهي تتابع ببصرها تلك اللمبة الحمراء الصغيرة التي تعلوه، والتي تبدو لها كعينٍ كريهةٍ ترمقها دون هوادة:

-توقف عن الصياح أيها اللعين.. إنّ رأسي ستنفجر.

لم يكن الإنذار هو ما أثار توتّرها وألقى الروع في قلبها، بل ما يعنيه انطلاقه، فجهاز الإنذار هذا بالذات، مرتبطٌ بجهاز إنذارٍ صامتٍ آخر، متّصلٍ بأحد تلك الصناديق الكئيبة، التي يطلق عليها المناهضون (صناديق التخلّص من الأطفال) أو (الحاضنات) حسب السجّل الرسميّ، والموجود بالقرب من المستشفى المركزيّ بالمدينة، والذي لديها معه ذكرى شديدة السوء لا تتمنى خوضها مجددا أو حتى مجرد تذكرها، وهذا الإنذار سيجبرها على العودة إلى هناك لتفقد الصندوق ومحتوياته

ولكونها حديثة العهد، ولم تحظى بشعبيةٍ مؤثرة لتكلّف غيرها بهذا العمل، فهي مجبرةٌ على وأد مخاوفها، والاستجابة للإنذار..

عقلها المجهد يخبرها أنها سيئة الحظ، وإلا لما اختارت تلك الأمُ البائسة هذا الصندوق الرمادي الكئيب لتضع فيه ثمرة خطيئتها، وهناك العديد من الصناديق غيره قُربَ معظم المستشفيات والمراكز الاجتماعيّة وعلى مستوى الكنائس عبر المدينة.

الذكرى الرهيبة تلحُ على عقلها، فتلعن في سرها تلك العاهرة التي تجرّدت من كل صفات الأمومة، وقرّرت استخدام هذا الصندوق

بالذات.

إنها من غير المناصرين لوجود مثل هذه الصناديق، فمن الناحية الإنسانية فهي تبرّر وتمهّد لفعلٍ وحشيٍ هادمٍ لكينونة الأسرة، فكل طفلٍ من حقه أن يحظى بأبٍ وأمٍ أو لا يتم انجابه، ومثل هذه الصناديق تحضُ على العكس، كما أنّها من الناحية المهنية غير مؤمنةٍ بشكل كافٍ.

فهي عادةً ما تكون مجرد بابٍ أو رفٍ في الجدار الخارجي لأحد المباني، يُفتح يدويًا دون مجهودٍ كبيرٍ، وبداخلهِ فراش يناسب طفلًا رضيعًا، ويسمح للعابثين والمرضى النفسيين بفعل كل شيء..

- تيت.. تيت.. تيت.. تيت.

صوت جهاز الإنذار مستمرٌ، ويضغط على أعصابها، ولا ينقذها منه إلّا صوت زميلها (توم) الذي يهتف في قرف:

- لتوقفوا هذا الصوت اللعين، فبعد كل هذا الإزعاج والضجيج، قد يكون مجرد خللٍ في الجهاز، أو إنذارٍ كاذبٍ من أحد العابثين، ولا نجد بداخله إلّا كومةً من التراب أو دمية ساخرة.

تمقت (ماري) طريقة حديث (توم)، ولكنّها تعرف أنّه على حقٍّ في كل حرف نطق به، ففي بعض الأحيان يكون الإنذار كاذبا، ويتجرعون عناء الذهاب والعودة خالِيَ الوفاض، وبرغم هذا لا يمكنهم تجاهل أيّ إنذار، فعملهم بالضبط كرجال الإطفاء، مهما كان شكّهم في البلاغ فعليهم التحري عنه بدقةٍ، فتقاعسهم يعني الموت للآخرين.

ومعنى انطلاق الإنذار أنّ أحد الأمهات المثاليات قد حسمت أمرها، وقررت التخلّص من طفلها حديث الولادة بوسيلةٍ قانونيةٍ وشرعيةٍ لن يلومها أحدٌ عليها، فبوضعه في أحد هذه الصناديق الكئيبة تكون قد تخلّصت من مسؤولية رعايته، ونقلت مهمة العناية به وحمايته للشرطة التي سترسله لأحد دور الرعايَة أو تعرضه للتبني.

ولقب (الأمُ المثاليَة)، هو اللقب الذي يطلق فعليا علىهؤلاء النساء، ليس لجعلهم مادة للسخرية، بل كنوعٍ من التشجيع والدعم المجتمعيّ لهؤلاء الأمَهات اللائي لا يعرف أحدٌ حقيقة وضعهنَ النفسي أو العقلي الذي أوصلهنَ لمرحلة تركِ أطفالهنَ في صندوقٍ ليعتني به الآخرون، فالمحافظة على حياة الأطفال هي الهدف الأسمى وراء هذا التشجيع.

لذلك عندما أشار لها (توم) ليعلن جاهزيَته للتحرك، تركت ما في يدها، ونفضت أفكارها، وقامت من خلف مكتبها بخطواتٍ مهزومةٍ، وهي ترتدي قبَعتها الرسميَة، وتبعته صوب سيارة الدوريَة الخاصة بهما من أجل إحضار الطفل الجديد إلى مقرّ قسم الشرطة، قبل أن يصاب بأذىً على يد بعض الساديين الذين لا قلب لهم، والذين لا يأنفون من ممارسة ساديتهم على أطفالٍ رضَعٍ لا حول لهم ولا قوة..

بل ويثيرون الرأي العام ضدَهم، بعرض هذه الممارسات البشعة خلال بثّ مباشرٍ عبر وسائل التواصل الاجتماعي، أو من خلال غرف الدارك ويب المظلمة، فيتعرَض هؤلاء الأطفال حديثي الولادة لتعذيبٍ واغتصابٍ وانتهاكٍ وحشيٍ لا يمكن تخيَله، ينتهي دائما بموتهم.

هذا غير المصير الأسود باختطافهم من قبل مافيا تجارة الأعضاء أو الرقيق الأبيض، الذين يجدونهم صيدًا سهلًا، خاصةً لو لم تكن هذه الصناديق محكمة الغلق.

إنَهم في سباقٍ حقيرٍ من أجل نجدة طفلٍ مسكينٍ، استقبلته الحياة بوجهٍ عابس.

فالطفل المختطف من هذه الصناديق قبل وصولهم إليه في عداد الهالكين، فلن يستطع أحدٌ إنقاذه لأنَه وخاطفيه مجهولي الهويَة بالكامل، وبالتالي لا أحد قادرٌ على تحديد مصيره، خاصةً وأنَ هذه الحوادث قد تكرَرت عدَة مراتٍ في الفترة الأخيرة، وأصبحت هذه الصناديق مستهدفةً من قبل العابثين والمجرمين.

وبلا حماسٍ قاد (توم) السيارة بسرعةٍ متوسطة، متوقعً أنَه إنذارٌ

كاذبٌ، وهذا أثار أعصاب (ماري) المنفلتة من الأساس، فحثّته على الإسراع قليلا، فأخبرها (توم) الذي يكبرها بخمس سنواتٍ، أنّه لا داعي للعجلة، فالطفل العاجز سيظل في صندوقه ولن يذهب لأيّ مكانٍ، إلّا لو كان يمتلك القدرة على الطيران، ثم أخذ يقهقه معجبًا بمزحته..

تجاهلت سخافته، وبأعماقها تسرّب شعورٌ مبهمٌ، بأنّ الأمور لن تسير على خيرٍ هذه المرّة أيضا..

إنها لم تنسَ لحظةً جثّة ذلك الطفل المطعون، الذيوجدته غارقًا في دمائه منذ شهرين بداخل نفس الصندوق المتوجهين إليه الآن، وبسببه باتت تلعن كلّ أمٍّ تقوم بهذه الفعلة، برغم كونه صميم عملها..

ربّما لأنّها لم ولن تتقبّل فكرة هذه الصناديق أبدًا، فلا يمكن أن تتخيل أنّ هناك أمًّا مهما بلغت حاجتها أو الضغوط المحيطة بها يطيعها قلبها، فتختار هذا الاختيار الرهيب، وتضع طفلها الذي حملته في رحمها تسعة أشهرٍ في صندوقٍ وتغلقه عليه، وتتركه وترحل، تاركةً مصيره بيد انسانٍ آخر.

وبرغم أن الفكرة مرعبة إلا أن لها قبول عام، فهي منتشرةٌ في طول أمريكا وعرضها، وليست قاصرةً على ولاية (أنديانا) وحدها التي تحوز منها نصيب الأسد بما يفوق المائة صندوق.

وقد طُبّقت الفكرة كوسيلةٍ من الدولة للأمهات اليائسات اللائي لا يرغبن في إنجاب الأطفال أو رعايتهم بعد إنجابهم، بديلًا عن إجهاضهم أو قتلهم، وهي فكرةٌ مكمّلة لفكرة تخلي الأمهات عن الأطفال في المستشفيات بعد إنجابهنّ مباشرةً..

الإحصائيات مخيفةٌ، فسنويًا وفي أمريكا وحدها تتخلى ما يزيد عن عشرين ألف أمٍّ عن أطفالهنّ حديثي الولادة في المستشفيات، وتتلقّى الصناديق ما يقرب من ربع هذا العدد من الرضع واللقطاء.

وما تعرفه (ماري) جيدا أنّ ظاهرةَ التخّلي عن الأطفال حديثي الوِلادة

انتشرت في العصور الوسطى ثمَ برزت في القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر، وأنَ أول طفلٍ وُضع في صندوقٍ من هذا النوع كانَ في إيطاليا، بعد أن سنَ البابا (إنوسنت الثالث(مرسومًا ينظَم هذا الأمر بعد العثور على العديدِ من الأطفال الرضَع فاقدي الحياة في نهر التيبر وعادت الفكرةُ مرةً أخرى في عام ١٩٥٢، وزادت شهرة هذه الفكرة تدريجيًا ثمَ دخلت حيَز التنفيذ في عددٍ من الدول منذ عام٢٠٠٠، وتُعدَ ألمانيا من بينِ الدول الرائدة في تطبيق هذهِ الفكرة حيثُ توفُر ما يقرب من ١٠٠ صندوقٍ لإيداع الأطفال في مُختلف أنحاء البِلاد، وتبعها العديد من دول العالم.

وتُعدَ دولة جنوب إفريقيا سبَاقة على مستوى قارة أفريقيا في تبنَي فكرة صندوق حضانة الأطفال، حيث استقبلت حاضنة أطفالٍ واحدة منذ عام ١٩٩٩ وحتى عام ٢٠١٣ في كنيسةٍ بعاصمة جنوب أفريقيا ١٣٠٠ طفلًا غالبيتهم وضعوا من قِبل الشرطة أو أعضاء المجتمع المدنيّ بعدَ العثور عليهم ملقون في أماكنَ أخرى.

قطع أفكار (ماري) وصول (توم) إلى الموقع المحدّد، وانتبهت عندما ضغط مكابح السيارة التي يستعمل سرينتها المزعجة في إفراطِ كمراهقٍ أرعنَ ليقلّل من سرعتها، وتنفست بعمقٍ، وظهر التوتر جليًا على ملامحها، عندما ركنها بجوار الرصيف القريب من مكان الصندوق المعدنيّ، الذي يظهر لهم كجزءٍ من سور المستشفى المركزي.

وخفق قلب (ماري) مع كل خطوةٍ تخطوها صوب الصندوق، وصورة الرضيع المطعون لا تفارقها، و(توم) الذي يقرأ ما يدور في عقلها يرمقها في سخريةٍ، لاعنًا مهنة الشرطة التي أصبحت بين يدي نساءٍ مذعوراتٍ من رؤية بعض الدماء.

قبضت (ماري) بيدها على مقبض الصندوق، ثم تراجعت صارخةً، وهي تنظر ليدها التي أصابها احتراقٌ بسيطٌ نتيجة إصابتها بتيارٍ كهربيٍ قويٍ لحظي، واندفع نحوها (توم)، فوجدها تصرخ في غضب:

- اللعنة على هؤلاء العابثين، لو أصاب هذا الطفل أيّ مكروهٍ، سأنتزع قلوبهم من صدورهم، وألتهمها بأسناني.

وفي عقلها تخيلت بعض الأوغاد العابثين قد أوصلوا الصندوق بتيارٍ كهربيٍ قويٍ بعد أن أطلقوا إنذاره، وهم مختبئون الآن يسخرون منها.

وبرغم منطقية الفكرة، ولكنها سارعت وارتدت قفازًا مطاطيًا، فربما بداخل الصندوق طفلٌ رضيعٌ يصارع من أجل حياته بعد أن صعق بالكهرباء هو الآخر..

وقبل أن تلمس مقبض الصندوق الرماديَ الكئيب، تألق الصندوق بغتةً بضوءٍ شاحبٍ، ثمَ سمعت ما يشبه صرخة طفلٍ متألمٍ، فجذبت مقبضه بسرعةٍ، فلن يحظى هذا الصندوق اللعين بضحيَة جديدةٍ في نوبتها..

وعندما فتحت الصندوق في ذعرٍ، لم تجد أمامها إلّا كومة من الرماد تشع حرارةً ويتصاعد منها البخار، فأطلقت سبَةً، وهي تلعن هؤلاء الأوغاد الذين يسخرون منها، ويعبثون بأعصابها.

لقد أتقن الأوغاد لعبتهم هذه المرة، ولكنها لن تجعل الأمر يمرُ مرور الكرام، وستسعى للقبض على هؤلاء المهرجين، ليعاقبوا بالقانون..

لذا فإنها تفحصت المكان من حولها بحثًا عن أيَ أثرٍ أودليلٍ تركوه خلفهم، وعندما وقع بصرها على كاميرا مراقبة مثبَتة عند انحناءة السور، وتكشف مكان الصندوق بشكل جيد، ابتسمت ابتسامة ظافرة، وهي تقول بصوت مليء بالغلّ والحقد:

- وقعتم أيها الأغبياء..

وبينما تحرقها أفكارها، نظر (توم) نحو الصندوق مكفَهرًا، وهو يقول بطريقةٍ لم ينجح في جعلها ساخرة:

- هلمي نرحل يا (ماري) إنها مزحة أخرى، على الأقل رحمنا هؤلاء الأوغاد من المزيد من الأعمال الورقية.

رمقته (ماري) في غضب وصرخت:

- هل ستظلّ كلوح الثلج هكذا إلى الأبد يا (توم)، ألا يثير الأمر حتى فضولك، إنّها المرة الرابعة التي يدوي فيها الإنذار، ولا نجد مكان الطفل غير كومةٍ من الرماد الحارّ، إنهم بهذا يقوّضون عملنا، أقسم لك أنّي سمعت صرخة طفلٍ يتألم قبل أن أفتح الصندوق.

لم يمارس (توم) سخافته هذه المرة في الردّ عليها، لسببٍ وجيه؛ أنّه خُيّل إليه بالفعل أنّه سمع هذه الصرخة المكتومة، وقلبه من وقتها منقبض، بل اكتفى بأن رسم على وجهه ردّ فعلٍ محايد، وهو يفكّر في كنه هذه الصرخة، لتكمل (ماري) في حماس:

- قد يكون الأمر أخطر من بعض العابثين، فالأمر يبدو لي متعمَّدًا وممنهجًا بشكلٍ واضح، وهناك إصرارٌ ممَن يفعلها على إفقاده أهميته، ربّما هي أفعال طائفةٍ متطرّفةٍ من هؤلاء الذين يجدون أنّ ما نفعله اعتراضٌ على مشيئة الربّ، وأنهم بهذا ينفّذون مشيئته.

كان (توم) قد تخلّص من تأثير الصرخة الوهميّة كما أقنع نفسه، واستعاد شخصيّته السخيفة، وهو يبتسم لها ابتسامةً صفراء، قائلًا:

- هل سنعيد نفس محادثة كلّ مرّة يا (ماري)؟ لقد مللت من الأمر، هيا لنعد إلى مقرّ عملنا، فلم يتبقَ لنا سوى نصف ساعةٍ قبل انتهاء نوبتنا..

جزّت على أسنانها وهي تهتف في غضب:

- أهذا فقط كلّ ما يهمك أيّها الغرير، لن أعود إلى القسم قبل أن أكشف عن هؤلاء الأوغاد وأضع بيديَّ الأغلال حول معاصمهم ليكونوا عبرةً لغيرهم، فهل ستأتي معي لنقوم بتفريغ كاميرات المستشفى أم سأفعلها وحدي؟.

اتسعت ابتسامة (توم) في عبثٍ، وهو يركب السيارة قائلًا:

- وحدك بالطبع، أنا مجرد شرطيّ مسكين، لا تتمُّ محاسبته على أيّةِ

أعمال إضافية.

وقرن قوله بتشغيل موتور السيارة، ثمّ استدار بها ببطءٍ، وهو يلوّح لـ(ماري) من النافذة، وعندما رأى إصرارها، تمادى وغادر المكان..

سبّته (ماري) بصوتٍ مرتفعٍ وصل إليه، وهي تتوجّهصوب بوابة المستشفى القريبة، فأجابها دون أن يستدير نحوها برفع يده بحركة بذيئة.

تصاعد غضب (ماري) كالإعصار، وارتسم على وجههاملامح تصميمٍ رهيب..

ومع صرامة طلبها، وملامحها الغاضبة المثيرة، لم يمانع مسؤول الأمن في المستشفى من مطالعتها للتسجيلات، خاصّةً وأنّها من النوع الذي يروق له، بجسدها المشدود وبنظراتها الحادة، وشخصيّتها القويّة، فقضاء بعض الوقت بصحبة فاتنةٍ مثلها هو ثمنٌ جيدٌ، ولا حاجة لطلب مذكّرةٍ قضائيّةٍ، وصداعٍ لا طائل من ورائه لمشاهدة بعض التسجيلات التافهة.

ولذا فإنّه تعمّد الاقتراب منها بشدّة أثناء عرضهللتسجيلات منتشيا برائحة عطرها الحاذة كملامحها، ولم تنتبه هي لما يقوم به مع تركيزها مع الشاشة التي كانت تعيد عرض ما صوّرته الكاميرا القريبة من الصندوق هذا الصباح.

وكانت صدمتها الكبرى عندما أظهرت الكاميرا فتاةً في العشرين من عمرها، جسدها مغطىً بالوشوم، وهي تتقدم بخطواتٍ سريعة من الصندوق، وتقوم بفتحه، ثمّ تمدّ يدها بحذرٍ إلى داخله، وتضع رضيعًا ملفوفًا بشكلٍ محكمٍ، وتتركه خلفها، وتنصرف بخطواتٍ سريعة، وكأنّها لا ترغب في أن يرها أحد، أو يعود لها ترددها.

وبخشونةٍ دفعت مسؤول الأمن ليبتعد عنها، وقد بدأت تنتبه لحركاته المفضوحة، ثم أعادت عرض المشاهد التي ظهرت فيها الأمُ، وهي

تلعنها في سرّها، وبصرامةٍ شديدةٍ طلبت من مسؤول الأمن عرض أحداث اليوم السابق.

ومرّت الدقائق دون أن ترى أيّ جديد، وبطرف عينيها راقبت مسؤول الأمن الذي كان يتلوى بجوارها كالثعبان، ونظراته الشهوانيّة تفضح غرضه، حتى رأت الشيء الذي جعلها تشهق وتقبض على طرف المكتب بأصابع متوتّرة، وهي تنظر للشاشة في دهشة..

ففي تمام الثانية عشر مساءًا حسب توقيت التسجيلات،وفي الوقت الذي كان فيه المكان حول الصندوق خاليا، توتّر الهواء بشكلٍ واضحٍ، وكأنّما يتمُ تسخينه بطريقةٍ مجهولة، ثمّ سطع ضوءٌ قويٌ من العدم شوّش الرؤية للحظات..

وهنا استيقظت حاسّة مسؤول الأمن، فالأمر يخصّ عمله ومصدر رزقه هذه المرّة، فتجاهل كل رغباته الدنيئة تجاه (ماري)، وانقضّ على الأجهزة القابعة أمامه ليبطّئ العرض، ليشاهدا الهول...

فأمام أعينهم غير المصدّقة، تألّق خيطٌ سميكٌ من الضوء في المكان، بدا وكأنّه قادمٌ من السماء، وعندما تلاشى الضوء، تجسّد من قلب العدم، شخصٌ ملثّم له بنيةٌ رياضيةٌ واضحة، ويرتدي زيًا أسودَ من قطعةٍ واحدةٍ، لم يشعرهما منظره بالراحة.

تلفّت الملثّم حوله، ثمّ فحص الصندوق، ربما ليتأكد من كونه الصندوق المنشود، ثمّ أخرج من حزامه شيئًا ما لم ترصده الكاميرات وأضافه للصندوق من الداخل، ثم أغلقه بحرصٍ، وهو يضغط على شاشة ساعته السائلة ليسطع الضوء، ويشاهدوا خيط الضوء ينطلق بعدها صوب السماء، ليتلاشى بعدها الملثم، لتحتبس أنفاسهم، ويشهق مسؤول الأمن، ويهتف ذاهلا:

- ما الذي تعرضه الكاميرات، أيّ عبثٍ هذا.. أين كان مراقب الكاميرات اللعين وكل هذا العبث يدور بجوار سور المستشفى المكلّف بمراقبته،

أقسم أن يكون هذا هو يومه الأخير في العمل هنا؟

جاست (ماري) بعينيها في المكان الذي تلاشى فيه الملثمفي رعبٍ، وقلبها ينبض في عنف، قبل أن تنشج في لوعة:

-هذا الوغد المخيف أحرق الطفل الرضيع وحوّله إلى رماد.. يا إلهي إنهم يتعمّدون قتل الأطفال بالفعل!.

وصلت فكرتها متأخرةً إلى عقل مسؤول الأمن فشهق في صدمةٍ، وهو يفكر في العقاب الذي سيحيق به، بعد أن ينتشر الخبر على يد تلك الشرطيّة العنيدة، التي لعن الساعة التي وقع فيها بصره عليها، وضعفه تجاه النساء الذي جعله يسمح لها بمشاهدة التسجيلات..

وكما توقع..

بل وأسوأ!

انقلب المكان بعد عدّة ساعاتٍ رأسًا على عقب، وظهرت قياداتٌ شرطيّةٌ لم يكن يرونها إلّا على شاشة التلفاز.

ومع تفريغ تسجيلات الأيّام السابقة، وعدّة كاميراتٍ في أماكن مختلفةٍ، تحقّقت مخاوف (ماري) ..

فالملثم ظهر في عدة أماكنَ مختلفةٍ في الولاية، مؤكّدا أنّه يتتبّع الأطفال مجهولي الهوية، ويعمل على اقتناصهم.

إنّه قتل ممنهج.

ووحشي..

وبأبشع الطرق.

إنهم يقومون بإبادة الأطفال..

فمن يقوم بهذا الفعل الشنيع؟ ولماذا؟

وظلَّت التساؤلات تتردَّد في عقلها طوال الأيام التاليَة دون إجابة..

وعندما تولَّت التحقيق جهةٌ سياديَةٌ سريَةٌ، يقودها رجالٌ صارمون، قليلو الحديث، ومُنع النشر في القضيَة، أدركت في يأسٍ، أنَّها لن تعرف الإجابة أبدًا..

وإن لم تغب عنها لحظةً واحدةً كومة الرماد، التي كانت منذ بضع ساعات، طفلًا رضيعًا لا حول له ولا قوَة.

طفلًا كان عليها حمايته.

تذكر انك حملت رواية عين الحياة حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

*****

حكاية

منجم الذهب القديم

العام: ٢٠٢١ م

المكان: دولة جنوب أفريقيا

بعد منتصف الليل بنصف ساعةٍ، توقَّفت الشاحنة المتهالكة ذات الصندوق الخلفيّ المغلق أمام مدخل أحد مناجم الذهب المهجورة، والموجود بالقرب من مكمن (يوتواترسراند) المكتشف في عام ١٨٨٦، والذي استخرج منه ما يزيد عن ٤٠ ألف طنٍّ متريٍّ من الذهب، أي ما يقرب من نصف كمية الذهب المستخرجة في العالم، ليستقبلها العملاق مفتول العضلات (زوما مكيزي) الذي بدا على وجهه ملامح نفاد الصبر بعد تأخر الشاحنة عن موعدها، بصحبة مجموعة من الرجال ذوي

الملامح القاسية، والمدجّجين بالسلاح .

وعندما فتح السائق النحيل الباب الخلفيَ للشاحنة بطريقة من اعتاد ممارسة مثل هذه المهمة البغيضة.. ظهر بداخل صندوقها المعدني الضيق مجموعةً كبيرةً من العمال الماليزيين والهنود والباكستانيين متكدسين فوق بعضهم البعض بطريقةٍ غيرِ آدمية.

وتحت أقدامهم ترقد جثتين نافقتين لاثنين من رفاقهم الذين لم يتحملوا أهوال الرحلة، من جوعٍ وعطشٍ وإذلال، وقد بدأت رائحة التعفن تزكم الأنوف.

كانت نظراتهم زائغةً، وبعضهم يقف على قدميه بصعوبة،وعلى وجوههم ملامح إجهادٍ وضعفٍ كبيرين، والبعض منهم مازال مصابا بالدوّار جراء نقص الأكسجين بداخل صندوق الشاحنة المغلق..

وبخشونةٍ شديدةٍ لا تليق حتى بالتعامل مع الحيوانات أجبرهم المسلحون على الهبوط من الشاحنة والاصطفاف بشكلٍ منظم، وزعيمهم مفتول العضلات يدور حولهم ويتفقّدهم، وكأنّه يتفقّد مجموعةً من الأغنام المعدَة للذبح، ليستدير وعلى وجهه ملامح الاستياء، ويتحدث بصوتٍ خشنٍ مفعمٍ بالضيق إلى أقرب رجاله (مابوندا) بلغة (السوتو)، التي تميّز عرقيّة البانتو في دولة جنوب افريقيا ذات اللغات المتعددة قائلًا :

- ما هؤلاء الأجلاف الذين أرسلهم لنا (رامافوزا) هذه المرّة، أين النساء، هل توقفنَ أخيرًا عن الهجرة غير الشرعيَة ؟! ألا يعرف هذا الغبي أنّ لدينا نقصًا منهم، وأنّ العدد المطلوب لابدّ أن يكتمل..

ألقى عبارته الغاضبة، ثمّ استدار نحو أحد الرجال غليظى الملامح، وقال بلهجة من اعتاد أن يأمر فيطاع:

- هلمّ يا (مابوندا) حدّث ذلك الوغد عبر اللاسلكي، وأخبره أنّ عليه أن يرسل لنا على الأقل عشرةً من النساء قبل نهاية الشهر، فلا أحد منّا قد

يتحمل غضبة السيِّد، ولن ندفع كلَّ هذه المبالغ هباءً.

قالها فظهر خوف شديدٌ على وجه (مابوندا) مع ذكره للسيِّد، فانتزع اللاسلكي من حزامه، وهو يصرخ في رفاقه المسلحين في عصبيَّة:

- هيا أدخلوا هؤلاء الأجلاف إلى المنجم، فلدينا عملٌ كثير.

وعلى إثرِ هتافه الغاضب، تحرَّك المسلحون بشكلٍ محترفٍ، ليدفعوا العمال المذهولين ببنادقهم في خشونة، ليصرخ بعضهم من الألم غير مصدقين ما يحدث لهم، مع عجزهم عن فهم تلك اللغة الغريبة التي يصرخ بها عليهم حاملي البنادق القاتلة.

وعندما لاحظ (تاتو) وهو أحد المسلحين شديدي القسوة، والذي يميِّزه عن غيره، وشم الأسد المرسوم أعلى ذراعه، التخبُّط ونظرات عدم الفهم على العمال متعدِّدي الجنسيات، صاح يكرِّر الأمر بصوت صارم، وبلغاتٍ مختلفةٍ ليفهم الأسرى.

ولينهي حديثه مشيرا لأربعةٍ منهم للتعاون، وإنزال الجثتين المتخشبتين من الشاحنة، وإدخالهم عبر فتحة المنجم التي تم دعمها بألواحٍ خشبيَّةٍ قويَّةٍ، في حين تناول سائق الشاحنة النحيل الذي غرق جسده في العرق رزمَةً ماليَّةً من (زوما مكيزي)، أحصاها في ضيقٍ ثمَّ غادر المكان وهو يلعن في سرِّه (زوما مكيزي) اللص البخيل.

وبكلِّ خوف الدنيا راح العمال الذين أعاد هواء المساء البارد بعض الصفاء لعقولهم، يتلفَّتون حولهم في هلعٍ وهم يتحرَّكون بين المسلحين الذين وجَّهوا إليهم أسلحتهم التي تحمل الموت في فوهاتها، غير مصدقين أنَّ الرحلة التي دفعوا فيها أموالا طائلةً يعلم الله كيف جمعوها، تنتهي هذه النهاية المفجعة، وأنَّ نهاية أحلامهم أن يتحولوا لمجموعةٍ من العبيد على يد تلك المليشيا المسلَّحة التي لن ترحمهم، ولن تتركهم إلا موتى.

فالعبودية بشكلها القديم من الاسترقاق والاستعباد المتوارث، ما زالت

منتشرةً في منطقتي الساحل والقرن الأفريقيّ، على طول الحدود العرقيّة والثقافيّة للأمازيغ المستعربين في الشمال، والأفارقة ذوي البشرة السوداء في الجنوب، وفي بلدان الساحل مثل موريتانيا ومالي والنيجر وتشاد والسودان.

كما توجد أشكالٌ مقنّعةٌ من العبوديّة في إفريقيا اليوم،تشمل في معظمها الإتّجار بالبشر والاستغلال العسكري للأطفال وعمالة الأطفال، كالإتّجار بالبشر في أنغولا، والإتّجار بالأطفال في توغو وبنين ونيجيريا والكاميرون، والعاملين في مناجم الماس غير المشروعة في سيراليون وليبريا، نتيجة مباشرة للحروب الأهليّة في هاتين المنطقتين.

ويقدّر عدد المستعبَدين في جنوب الصحراء الإفريقية بنحو ٦٦٠ ألف شخص، بواقع سبعة أشخاصٍ من كلّ ألفٍ كما قدّر مكتب العمل الدولي في عام ٢٠١٧م.

والعبوديّة مصيرٌ حالكٌ، لا تحرُّرَ منه إلّا بالموت، أنت فقدت حريتك، وهويتك، وكينونتك، وصار مصيرك بيد خاطفيك..

لا رحمة في الحاضر، ولا أمل في مستقبَل.

وملامح القسوة التي ارتسمت على وجوه المسلحين، بيّنت للعمال المختطفين مصيرهم بشكلٍ لا يقبل التشكيك، ولذلك تحرّك العمال الذين يتجاوز عددهم الثلاثين، نحو المنجم، وكلّ منهم يفكّر في وسيلةٍ للفرار، تجهضها نظرات المسلحين الصارمة، وأسلحتهم المشهرة.

خطوات العمال المختطفين كانت واهنة، ومتردّدة، وكأنّهم يدخلون إلى قبرٍ، لا إلى منجم ذهب، وكلّ تركيزهم على فوهات البنادق، وبعضهم يكاد يسقط من فرط التعب والتوتر.

وفجأةً انفصل عن الصفّ أحد الشباب الباكستانيين الذي تدمّرت أعصابه ومن قبلها أحلامه، وهو يصرخ في هلع:

- لن أدخل هذا المكان اللعين، لقد جئت للعمل لا للسخرة و...

وقبل أن يُتِمَّ عبارته، وبرد فعلٍ عنيفٍ وغير متوقعٍ، انهالت عليه الطلقات من البندقية الآلية التي يحملها (تاتو) صاحب وشم الأسد، مزّقت له صدره، وفجّرت وجهه، وشوّهت ملامحه، وأطاحت به ليرتطم بجدار الممر الصخريّ، ليصرخ(تاتو) بغضبٍ بلغاتٍ مختلفة:

- الموت هو العقاب الوحيد للتمرد أو عدم الطاعة.. من هذه اللحظة أنتم ملكيّةٌ خالصةٌ للسيّد (زوما مكيزي)، هو من يخبركم متى تتكلمون، ومتى تتنفسون، هيا أيّها الأوغاد احملوا جثّة ذلك المتمرد الحقير معكم إلى داخل المنجم، وإلّا ألحقتكم به.

وبكل رعب الدنيا انقضّ أقرب الرجال على الجثّة وحملوها صوب المنجم، ودماؤها تغرق أيديهم وملابسهم، وهم يتجنّبون أن تقع أبصارهم على وجه الجثّة المشوّه..

وبجهدٍ مضاعفٍ تحركوا حاملين الجثث الثلاثةَ عبر أرضية المنجم غير الممهدة بشكلٍ جيد، يعوق تحركهم، تلك القضبان الحديديّة التي كانت تستخدم في نقل العمال والمعادن المستخرجة من الأعماق إلى خارج المنجم والعكس، في عرباتٍ صنعت خصيصًا لهذا الغرض، تضيء لهم الطريق مجموعةٌ من المصابيح الصفراء الشاحبة، التي تمتدُّ أسلاكها إلى عمق المنجم صوب مولداتٍ كهربائيّةٍ تعمل بالنفط، والتي تصنع مع بقايا المعدن الثمين عبر الجدران لوحة خلّابةً لم ينتبه لها أيٌ من المختطفين.

ولربع ساعةٍ كاملةٍ أخذت القافلة الرهيبة تتحرك في أنفاقٍ متداخلة هابطة، وعلى وجوه الرجال ظهرت ملامح معاناةٍ أكبر، فآخر مرةٍ عرف الطعام طريقه إلى أحشائهم كانت منذ يومين أو أكثر، وقد جفّت حلوقهم، وتشقّقت شفاههم من العطش..

وإن لم يستطع أحدهم الطلب أو الاعتراض، فما حدث للباكستانيّ الذي يحملون جثته بين أيديهم، علّمهم درس الطاعة والصمت بأسرع

وأقسى طريقةٍ في الوجود.

وإن لم يمنعهم ضعفهم ولا خوفهم من ملاحظة وتأمل تلك الكتابات والنقوش الغريبة، التي حُفِرَت على طول الجدران الداخلية للمنجم، والتي جعلت قلوبهم تنقبض دون سبب محدّد.

أمّا ما أثار استغرابهم، هو خلوُّ المكان من أيّ آثارٍ تخبرهم أنّ العمل في هذا المنجم ما زال قائما..

لا عمال ..

ولا أدوات حفر..

ولا أيّ نشاطٍ إنسانيّ، يدل على أنّ هذا المنجم يتم من خلاله استخراج الذهب، الذي تركوا أوطانهم لاستخراجه والحصول على بعضه..

وعندما وصلوا إلى حيث تقبع أولى عربات النقل، أمرهم الرجل ذو وشم الأسد، بأن يضعوا الجثث فيها..

وبسرعةٍ ألقوا الجثث داخلَ العربةِ وكأنّهم يتخلصون من عبءٍ كبيرٍ، وقد بدؤوا يشعرون بقلّة الاكسجين، أكثر ممّا كانوا يعانون منه في السيّارة التي أقلتهم بعد اختطافهم من على الحدود إلى هذا المكان الرهيب..

ولدهشتهم ركب أحد المسلحين العربة، واصطحب اثنان منهم معه، وانطلق بها لأعماق المنجم المظلمة، في حين قادهم باقي المسلحين، وعلى رأسهم زعيمهم (زوما مكيزي) إلى فراغٍ آخر داخل المنجم، أصابهم الرعب والفزع عندما رؤوا ما ينتظرهم داخله..

ففي داخل فراغ صخريّ كبيرٍ يتألق على ضوء المصابيح بوهجٍ ذهبيّ واضحٍ من آثار عروق الذهب المستخرجة، كان هناك خمسةٌ من الأقفاص المعدنيّة العملاقة، أربعةٌ منها ممتلئةٌ عن آخرها برجالٍ ونساءٍ في حالةٍ أسوأ منهم بكثير، بعضهم كان يصرخ، وبعضهم يئن، وأجبرتهم

على الصمت دفعةٌ من الرصاصاتِ انطلقت من بندقيَةِ أحدِ المسلحين في الهواء.

وبدون اتفاقٍ تركَزت أبصار العمال الأسرى على القفص الخالي، الذي كان من الجليّ أنّه مُعَدٌ من أجلهم..

فكَر بعضهم في الفرار أو الاعتراض، ولكنَ فوهاتِ البنادقِ التي تحمل الموت، أجبرتهم جميعًا على الصمت، والسير اليائس نحو القفص الذي فَتَح بابه المغلق أحدُ الرجال، وهم يرمقون من سبقوهم، في الأقفاص الأخرى، وقد تبخرت كلُ أحلامهم بالثراء أو النجاة.

وحشرهم الرجال حشرًا بداخل القفص المعدنيَ الضيِق ليتهاوى بعضهم فاقدي الوعي دون أن يجدوا مكانًا ليسقطوا فيه، ودخل بعضهم في نوبة بكاءٍ، فيما أخذ رجل هنديٌ أربعيني في الصراخ، وكأنما فقد عقله..

وبالخارج، استقَل (زوما مكيزي) ورجاله العربات المعدنية التي تحركَت بسرعةٍ وسهولةٍ فوق القضبان المعدنية، وهبطوا بها إلى عمق المنجم، حيث فجوةٌ كبيرةٌ يتوسطها مذبحٌ صخريٌ محاطٌ بجماجمَ بشريَةٍ تتألق محاجرها بالشموع، وعليها جثث العامِلَينِ الذَينِ نفقا في الشاحنة، والباكستانيّ الذي مزّقته الرصاصات، وجثتان حديثتا العهد للعامِلَين الذَينِ صحبهما المسلح في العربة.

وأمام تمثالٍ لرجلٍ متربعٍ له رأس ولحية ماعزٍ وصدرامرأةٍ و قرنين على رأسه بينهما شعلةٌ، وعلى جبهته النجمة الخماسيَة الشهيرة، ركع (زوما مكيزي) وتبعه رجاله، في مشهدٍ أقل ما يقال عنه أنّه مرعب..

والغريب أن عينا التمثال الشهير الذي يمثل تجسَدالشيطان (بافوميت) على الأرض توهجتا، وكأنما يستجيب لصلوات الرجال..

ومع تألق عيني التمثال، اتَسعت عيون (زوما مكيزي) ورجاله في ظفر، ليقول في نشوةٍ:

- لقد قبل السيِد القربان.. جهَزوا المختاراتِ من النساء لإرسالهنَ

للحدود، وأحضروا باقي النساء لتبدأ المراسم، إنَّها الليلة الموعودة.

اندفع بعض الرجال خارجين من المكان تنفيذًا لأوامره، وقد ظهرت على وجوههم ملامح إثارةٍ عالية، في حين بدأ (زوما مكيزي) مع من تبقَّى من رجاله، في انتزاع ثيابهم حتى صاروا عرايا كيوم ولدتهم أمهاتهم.

وأحضر أحد المسلحين من كوةٍ في الجدار الصخريِّ،وعاءً به سائلٌ داكنٌ كريهُ الرائحةِ، وأخذوا يلطِّخون به أجسادهم، وهم يردِّدون ترنيمةً سومريةً قديمة، تدور حول التضحية وسفك الدماء...

وخلال نصف ساعةٍ، حضرت إلى المكان إحدى عشرة امرأةً في حالةٍ مزريةٍ وسيئةٍ وقد تمَّ نزع ثيابهنَّ أو بقاياها عنهنَّ في مشهدٍ مهينٍ ومرعبٍ، والرجال يسوقونهنَّ أمامهم كالنعاج وبيدِ كلٍّ منهم كرباجٌ له زوائد معدنيةٍ حادة، لم تكن تسقط على ظهر امرأة منهنَّ أو على أيِّ جزءٍ من جسدها حتى تصرخ من الألم، ولحمها العاري يتمزَّق وتسيل منه الدماء، في حين دفع (تاتو) امرأةً بيضاء لا يبدو على هيئتها أنَّها تنتمي لباقي النساء وهو يقول في حبور:

- الخائنة (ساسيندا)، يا سيد (مكيزي).

وبرغم حالة (ساسيندا) المزرية، والتي لم تكن تختلف عن حالة باقي النساء، ظهرت في عينيها ملامحُ تحدٍّ، وتصميمِ عظيمين، وهي تنظر نحو عيني (مكيزي) مفتول العضلات، ثمَّ تبصق في اشمئزاز، وتصرخ في غضب:

- أيّها الوغد الحقير، ستكون نهايتك على يدي.

وعندما همَّ أحدُ الرجال بجلدها بسوطه، أوقفته إشارةٌ من (مكيزي) الذي ارتسمت على وجهه ملامح ضيقٍ بلا حدود، وهو يقول في مرارة:

- ما زلتِ على عِنادك يا (ساسيندا) إنَّها فرصتك الأخيرة، اسجدي

للسيّد، وستكونين سيّدة هذا المكان..

رمقته (ساسيندا) في قرف ثمّ صرخت:

- اللعنة عليك وعلى شيطانك اللعين، الموتُ أهونُ علي من السجود لمثل هذا الحقير ذو الأثداء والقرون.

وعلى الرغم من ضخامة (مكيزي) إلا أنه تحرَك في سرعةٍ كبيرةٍ، هو ينتزع من نطاقه خنجرًا معدنيًا حاذًا، ويقبض من الخلف على شعر (ساسيندا) الذي تجعّد من الإهمال، وهو يهتف في غضب:

- لا أحد ينعت السيّد بالحقير، ليس وأنا على قيد الحياة.

ثم تبع حديثه بشقّ حلقها بخنجره، ليسحبها من شعرها بشكلٍ وحشيٍ، ويلقي بها بين يدي التمثال، ويكمل قائلا:

- لا أحد حتى أنت يا (ساسيندا)، وحياتك ليست اعتذارًا كافيًا، ولكنّني أهبها للسيّد عن طيب خاطر.

وللمرّةِ الثانيَةِ وعلى عكس المعتاد، تألّقت عينا التمثال بوهجٍ واضحٍ، جعل بقيّةَ النساءِ يصرخن في هلعٍ، ويحاولنَ الهروب لولا طلقاتِ الرصاصِ التي أوقفتهنّ..

ليرذد (تاتو) في حبور:

- كانت تضحيةً عظيمةً يا سيّد (مكيزي) وقد قبلها السيّد، وسيجازينا عليها.

ولدقيقةٍ كاملةٍ وقف (مكيزي) صامتًا، وكان من الواضح أن! هناك صراعًا داخليًا يدور بين عقله وقلبه، بعد أن ضحى بمحبوبته المارقة من أجل السيّد قبل أن يرمق في غلّ، رجاله، والنساء العرايا، ليهتف في غضب:

- لتبدأ المراسم..

وعلى أثر كلماته انقض الرجال على النساء، لتبدأ أبشع الانتهاكات والممارسات الماجنة، قام بها رجاله ضدَ النساءِ العاجزاتِ الغارقاتِ في دمائهنَّ.

وبالتناوب قاموا باغتصاب جميع النَساء بشكلٍ مؤلمٍ ومهينٍ، بينما انفرد (مكيزي) بجثّة (ساسيندا) ليضاجعها في شهوةٍ، وهو يصرخ في جنونٍ، وعلى وجهه وحشيةٌ حيوانية:

- أنت لي حيّةً وميّتةً، فلتتقبّل أيّها السيّد، أضاحينا، ولتمنحنا الذهب.

وطوال عدَّة ساعاتٍ، ظلّ الرجال ينتهكون أجساد النَساء حتى فقد الرجال رغبتهم وحماسهم، ولم تعد واحدة منهنَّ قادرةً على الحركة أو التأوُه، وقد افترشت أجسادهنَ العاريَة الأرض في مشهدٍ تنفطر له القلوب.

وعندما ساد الهدوء المكان، إلّا من لهاث الرجال وأنين النَساء الخافت، وقف (مكيزي) على قدميه، وقد ظهر بجسده العملاق العاري المخضب بدماء محبوبته، كشيطانٍ مريد، وهو يقبض بيده اليسرى على شعر إحدى النَساء الواهنات، التي كانت من فرط قوته كالدمية التي لا وزن لها، وبيده الأخرى على خنجره ويقول في وحشيَةٍ:

- بالموت والدماء تمنحنا القوة والثراء، إله أنت في مملكتك، ونحن جنودك على الأرض.

كان من الواضح أنَ (مكيزي) ورجاله يعبدون الشيطان المتجسد في تمثال (بافوميت) المرعب، وأنهم يقدَمون له القرابين مقابل الذهب الذين عجزوا من قبل عن استخراجه من المنجم المهجور.

ومن الواضح أنّها لم تكن المرة الأولى، لأنهم بمجرد شروعهم في نحر النَساء، اللاتي انتهكوا أجسادهنَ بقسوةٍ، بدأت الأرض تتشقّق، وتفصح عن عروقٍ صافيةٍ من الذهب لا يمكن أن تتواجد بشكل طبيعي..

وقبل أن تسقط المرأة السابعة صريعةً، انطلق في المكان أزيزٌ مرتفعٌ،

وتوتر الهواء، ثم سطع ضوءٌ قويٌ، على هيئة خيطانٍ من الضوء، وتجسّد من قلب العدم ملثمان هاجما (مكيزي) ورجاله في قسوة، وهم يطلقون نحوهم قذائف فسفوريَةٍ متفجّرةٍ، تحيل من تصيبه إلى رماد.

ولكنّ رجال (مكيزي) كانوا محترفين بحق، فقد اتخذوا تشكيلا دفاعيا تدربوا عليه كثيرًا حتى أتقنوه، وهم يغطّون انسحاب زعيمهم الذي حوّلته المفاجأة لفأرٍ مذعورٍ، مطلقين نيران أسلحتهم الآليَة صوب الملثمين في غزارةٍ، لترتدّ عن صدورهم دون أن تترك عليهم أدنى أثر..

وعندما سقط نصف رجال (مكيزي) متحولين إلى رماد، ألقى النصف الأخر أسلحتهم، وأعلنوا استسلامهم، فمن الحماقة الاستمرار في معركةٍ خاسرةٍ، وبرغم هذا حصدتهم قذائف الملثمين دون رحمةٍ، ليتحولوا إلى أكوامٍ من الرماد الحارٍ، ليصرخ (مكيزي) في تضرُعٍ:

- الغوث يا سيّدي.

وعلى عكس ما يُتوقع من تمثالٍ أصمٍ، انفجر التمثال الشيطانيُ في وجه الملثمَين، ليمزّق جسد أحدهما إربًا برغم حصانته ضد الرصاص، فالشيطان كان حاضرًا مع هؤلاء الأوغاد بقوّةٍ.

ليقف الملثَم الثاني في صدمةٍ غير مصدّقٍ ما حدث لزميله، ويصرخ:

- لم يكن من المفترض أن يحدث هذا.

ثمَ رمق (مكيزي) في كراهيةٍ، وهتف في غلّ:

- سأعود لك أيها الوغد.

ثمَ توتَر الهواء من حوله، وانطلق الأزير المكتوم، ليتلاشى في العدم، أمام نظرات(مكيزي) الذاهلة، والذي لم يصدق أنه نجا من هذه المجزرة، ليظهر الملثَم متجسدًا أمام أقفاص المختطفين، ليفجر أقفال اثنين منها ويحرّر من فيها، ويترك باقي الأقفاص دون أن يقترب منها، وكأنّه لا يأبه بأن يدفنوا أحياء تحت أنقاض المنجم الموشك على

الانهيار، والذي بدأت أسقفه تتداعى.

وهو تصرُّف غير مفهومٍ، خاصّةً وهو يحثُ من حررهم على الإسراع بمغادرة المنجم، دون أن يلتفت لصرخات من لم يطلق سراحهم.

وخارج المنجم، وقف العملاق (مكيزي) عاريا مخضَّبًا بالدماء، يشاهد في غلّ وغضبٍ أفواج المختطفين، وهم يهربون بخطواتٍ كسيحةٍ من المنجم، وتحت قدميه ترتجُ الأرض في قوةٍ، معلنةً انهيار معبد الشيطان السريّ، الذي أقسم بينه وبين نفسه أن يعيد بناءه في مكانٍ أفضل، فهو لن يتخلى عن الذهب، أو عن سيّده.

وعندما بدأ صلاة شكرٍ للشيطان الذي أنقذ عنقه من الملثّم، سطع الضوء خلفه، سمع من خلفه صوت الملثّم يردِّد في حقدٍ:

- هل ظننت أنّك ستهرب أيها الحقير؟

نظر (مكيزي) نحو الملثم في ذهول، فأكمل الملثّم في صرامةٍ:

- إنّ قدرك أن تموت في انهيار المنجم وليس قبلها، المكان والتوقيت مهمّان، والآن حان الوقت.

وفي اللحظة التالية وضع يده على كتف (مكيزي) الضخم، ليتلاشيا معًا، ويتجسدا في قلب المنجم الذي بدأت دعاماته الخشبيّة تتشقّق، وسقفه يتداعى وينهار، ليدفن كلّ ما حدث الليلة.

وقبل أن يلفظ (مكيزي) آخر أنفاسِه، شاهد تلك الصخرةَ العملاقةَ تهوي نحوه...

وأظلم كلّ شيء.

حكاية

عودة السفّاحين

العام: ٢٠٢١م

المكان: صعيد مصر.

سرى الخبر في البلدة كسريان النار في الهشيم، وتناقلته الأفواه اللاهثة، وضجّت به الصدور المنقبضة، وحاولت العقول انكاره، ولكن..

- لقد عاد السفّاحون.

كان هذا هو ملخص الخبر، ولكنّ وقعه على أهل البلدة القاطنين في تلك المنطقة النائية الموجودة على أطراف صعيد مصر مرّ كالصاعقة..

وبرغم أنّ الظلام قد غطى البلدة بالكامل، إلّا أنّ كل شبابها ورجالِها وعددًا كبيرًا من نسائها وفتياتها، قد خرجوا إلى الشوارع يحملون المصابيح، والمشاعل، والسلاح، لمواجهة الخطر الرهيب الذي أعلِنَ عن وجوده بشكلٍ فجٍّ، وهم يتمنون من أعماق قلوبهم، أن يكون الأمر كلّه مجرد شائعةٍ أو خبرٍ زائفٍ، وإلّا ستكون مواجهةً دامية.

إلّا أنّ ما رصده الأهالي في منزل (البلتاجي) المهجور الموجود على أطراف البلدة أكّد شكوكهم، ودفع امرأةً نحيلةً تحمل السلاح، وترتدي زيّ الرجال، في سابقةٍ هي الأولى من نوعها، فالسفّاحون يقتلون دون تمييز، ومن حقّ الجميع الدفاع عن أنفسهم، لتصيح في هلع:

- إنها ليلةً سوداء، لقد عادوا لحصدنا.

ليردّ عليها رجلً غاضبٌ في توترٍ:

- على جثثنا هذه المرّة.

ليدوي صوت العمدة في المكان:

- لا داعي للتهور، نفّذوا ما تدربتم عليه فقط، وسندحر (السفّاحين)

هذه المرّة، نحن نستعد لهم منذ زمنٍ بعيد.

أجابته همهماتٌ متوترة!

فمن الواضح أنّ هتاف العمدة لم يفلح في إنهاء توترهم، ولكنّه جعلهم يتحركون بشكلٍ أكثر تنظيمًا.

فما أن أنهى عبارته حتى أحاط الأهالي الخائفون بالمنزل المهجور من كلّ اتجاهٍ في دوائرَ متعاقبةٍ، إلّا أنّ أحدًا منهم، لم يملك الجرأة ليقترب من المنزل لأكثر من عشرة أمتارٍ، وكل منهم يتحسّس قبضة سلاحٍ باردٍ، تدرّب لأكثر من عقدين من الزمان على استخدامه، منذ آخر مرّةٍ ظهر فيها السفّاحون.

العيون تتلاقى وتبتعد في تصميمٍ متردّدٍ، وكأنّ بينهم اتفاقًا صامتًا، ألّا ينتهيَ الأمرُ كما حدث في السابق، ولكنّ الأصوات الطنّانة الخارجة من خلف أسوار المنزل زرعت في نفوسهم فزعًا رهيبًا.

وهذا جعل الحاج (إمام عبد الشافي) يتحسّس موضع قدمه المبتورة، وعيناه معلقتان بالمنزل المشؤوم، وقد خيّل إليه مع الهول المنتظر أنّها قد عادت تؤلمه، على الرغم من مضيّ ربع قرنٍ على بترها، بعد أن أصيب إصابةً غير مباشرةٍ على يد السفّاحين في المذبحة السابقة، وأورثوه عاهةً مستديمةً أجبرته على استعمال العكّاز الخشبيّ لباقي حياته، وها هي نفس الأحداث المفزعة تتكرّر للمرّة الثالثة.

لقد عاد السفّاحون، وهم لا يحملون في جعبتهم إلّا الموتَ والخراب.

فمنذ عدّة دقائق ومن نقطةٍ مظلمةٍ بين السحب، هبطت عدّة خيوطٍ سميكةٍ من الضوء، لتخترق المنزل المهجور من أعلى إلى أسفل، بشكلٍ أحال المكان إلى نهار، فرصده معظم الأهالي..

وخيّم الرعب على البلدة، بشكلٍ غيرِ مسبوق.

كانت بلدةً معزولةً، وحرص رجالها على الابتعاد المتعمّد عن السلطة

المركزية في العاصمة، ليحافظوا على أسرارها.

وبرغم أنّ هناك عمدةً للبلدة، إلا أنهم يصرّفون أمورهم ويحلّون مشاكلهم عن طريق مجلسهم العرفيّ الذي يرأسه العمدة ومشايخ العائلات، كما يعمدون إلى حماية أنفسهم بأنفسهم دون اللجوء إلى المركز، ولذلك ظلّ سرُّ (السفاحين) حبيس الصدور خلال قرنٍ كامل.

وظلّ المنزل الذي تبدأ منه الأحداث الدمويّة كلّ مرّةٍ،كنصبٍ تذكاريٍّ للموتِ، دون أن يجرؤ أحدٌ على هدمه.

عمدة البلدة يدور بحصانه حول أسوار المنزل؛ محاولا بثَّ عزيمةٍ يفتقر لها في قلوب الأهالي الخائفين، دون أن تثمر جهوده، فكلّ الوجوه مُكْفَهِرّةٌ، وهزائمهم السابقة كالغصّة في حلوقهم.

وعندما علت الأصوات الطنّانة التي كانت تقترب بشكلٍ حثيثٍ من بوابة المنزل، تعالت النداءات والتحذيرات في كلّ مكانٍ، ليستعدَّ الجميع.

ومن قلب الجموع التي انقلب توترها وتوجسها إلى رعبٍ، دوّى صوت المرأة المضطرب:

- أحرقوا المنزل قبل أن يخرج السفاحون.

كانت فكرةً عبقريةً وليدة اللحظة، استقبلها الرجال بحماس.

وكأنّها ضغطت الزناد، اندفع الرجال بكلّ خوفهم وحماسهم نحو المنزل وانطلقت عشرات المشاعل لتعبر السور الذي حجب جزءًا كبيرًا من الرؤية، فبدت للناظرين كأمطارٍ ناريّةٍ ترجم المنزل الغافي من كلّ اتجاهٍ، لتحرقه وتحرق من فيه.

المشهد مرعبٌ ويوحي بهولٍ قادم..

ومنظر النساء والفتيات القابضات على البنادق رسالةً لا تقبل شك، على أنّ الرجال وحدهم لا قبل لهم بالمواجهة، وأنّ العدو لا يرحم..

الرجال في الصفوف الأولى يصوِّبون أسلحتهم نحو البوّابة والأسوار في تحفُّزٍ، وهم يترقَّبون نتيجة عملهم؛ منتظرين أن تتصاعد الأدخنة الدالّة على احتراق المكان، واحتراق اللّعنة في مهدها.

ولكن دائمًا وفي اللحظات العصيبة تأتي الريح بما لا تشتهي السفن.

فلم تمضِ سوى ثوانٍ معدودةٍ على محاولتهم حرق المنزل حتى انفجرت البوابة المعدنية، وانطلقت منها في سخاءٍ العشرات من القذائف الفسفوريّةِ الموجّهةِ، أحرقت في طريقها ثلاث نساءٍ وثمانيةً من الرجال في غمضة عين، وأحالتهم لأكوامٍ من الرماد الساخن الذي يتصاعد منه البخار، يتبعها سربٌ من الحشرات الآليّة الطنّانة، التي سرعان ما كانت تلتصق بالأجساد المرتعدة فتنفجر معها بوهجٍ أخضرَ، ليستحيل العشرات إلى أكوامٍ من الرماد.

وبرغم ما تدرّب عليه سكان البلدة طوال ربع قرنٍ كاملٍ، إلا أنّ التخبُّط أصاب صفوفهم، فالمفاجأة كانت عنيفةً بحق.

ووسط الصرخات والفزع والتحرُّكات العشوائيّة غير المدروسة، علا صوت عمدة البلدة، وهو يطلق رصاص بندقيّته الآليّة في سخاءٍ نحو الحشرات الطائرة المهاجمة، وهو يصرخ في غضبٍ وقهر:

- لا وقت للبكاء أو الفزع الآن، إلى أسلحتكم يا رجال، لن تذهب كل هذه التضحيات هباءً.

وفي اللحظة التالية...

بدأ الهول..

فبصوتٍ صاخبٍ مرتفعٍ، تفجّرت بقايا بوّابة المنزل التيلم تفتح منذ ربع قرن، لتكشف خلفها عن شخصٍ ضخمٍ رياضيِّ الهيئة، يرتدي زيًا داكنًا من قطعةٍ واحدة، وعلى وجهه لثامٌ أسودُ يغطي الرأس بالكامل، ويحيطُ بمعصمه سوارٌ معدنيٌ اسطوانيٌ يتألق بضوءٍ أخضرَ وهّاج، وبجواره قطٌّ شيرازيٌ ضخمٌ، أقرب في حجمه إلى كلب دوبرمان، بشكلٍ

لا يمكن توفُره في الطبيعة، حول عنقه طوقٌ معدنيٌ لامعُ، وتشتعل عيناه بضوءٍ وحشي فيروزيٍ، وتتألق مخالبه الصناعية بنفس الضوء الفسفوري المخيف.

وبلا مقدماتِ انقضا على الأهالي المسلحين، الذين تجاوزتهم الحشرات الطنانة القاتلة إلى منازل البلدة.

بدا للجميع وكأنَ الشيطانَ نفسَه قد حضرَ إليهم من قلبِ الجحيم، والقذائفُ الناريَةَ الخضراءُ تحصد أرواحهم حصدًا، ومخالبُ وأنياب القطّ المتوهجَةِ الحادَةِ تمزِقهم لتحيلهم إلى أشلاءٍ ممزقةٍ، سرعان ما تشتعل وتصير رمادًا هي الأخرى.

ووسط الصرخاتِ المتألمَة، وهدير الرصاصاتِ الذي لم يتوقف لحظةً، والتي كانت ترتدُ عن صدر السَفاح الملثَم وقطّه العملاق، وكأنما يحيط بهما درعٌ غير مرئيٍ، بدأت المذبحة.

وبرغم ضراوة الهجوم، كان من الواضح أنَه منظمٌ وغيرعشوائيٌ، وأنَ ذلك السفَاحَ انتقائيٌ في عملية القتل، سواء هو أو حشراته الطنانة أو قطّه الشرس، وإن لم يعرف أحدهم السبب.

وخلال ثلاث ساعاتِ كان أكثرُ من ثلث أهل البلدة الذين يتعدى تعدادهم العشرة آلافِ، قد تحولوا إلى أكوامٍ متناثرةٍ من الرماد، بعد أن تجاوز السفاح وقطّه الدوائر الدفاعية التي صنعها الأهالي حول منزل (البلتاجي)، وهاجما منازل البلدة نفسها متتبَعين نهج الحشرات القاتلة التي سبقتهما، ليحصدا من فيها بنفس الطريقة الانتقائيَة، وبدمٍ بارد..

ليعود بعدها السَفاح، وقطّه، وحشراته إلى المنزل الصامت، ولتنطلق خيوط الضوء صوب السماء، لِيغْلّف الظلام كلَ شيء.

ليسود بعدها الصمت المعبق برائحة الموت والهزيمة..

الذهول أصاب الجميع، ولفترةِ طويلةِ لم يصدقوا أنَ كلَشيءٍ انتهى، وما تردد كأسطورةِ تحقَق أمام أعينهم بأبشع الطرق، وأنهم نجَوا من

براثن السّفاحين؛ لدرجة أنّ بعضهم استمر في رجم المنزل المظلم بالرصاصات في هستيريا، دون أن يحاول أحدٌ منعه، وخيّم الحزن والقهر على الجميع..

وبعد أن تخطى أهلُ البلدة صدمتهم بصعوبةٍ، وبدؤوا في استيعاب فداحة ما حدث، انطلق الصراخ والعويل خاصةً من النساء، وفي قهرٍ ارتفع صوت عمدةِ البلدةِ الذي نجا مع من نجوا، برغم فقدانه لحصانه، وإصابته بعدة قذائفَ مباشرةٍ لم تؤثر به على عكس الآخرين، ليقول في مرارة:

- اجمعوا رماد أبنائكم وأهاليكم، لا جثث هذه المرة، لقد هزمنا السفّاح وقطّه وحشراته الطنّانة.

كان المشهد التالي مقبضًا أكثر منه مرعبًا، وقد أحضرآلاف الأهالي المكلومين، أكياسًا قماشيّةً وخيشيه لجمع الرماد الذي تبَقى ممّن كانوا أهلهم وأحباءهم.

أمّا ما مزّق نياط القلوب وأسال الدموع، هو عجز الكثير منهم عن تحديد رماد من فقدوهم، فقرّروا في النهاية دفنهم جميعًا في مقبرةٍ جماعيّةٍ، والصلاةِ عليهم..

وباتت البلدة في حزنٍ مكين.

وفي اليوم التالي وبعد الجنازة مباشرةً، ودون إقامةِ أيّ مراسمَ أو سرادقاتٍ للعزاء، دعا عمدة البلدة لاجتماعٍ عاجلٍ لكلّ مشايخ الأسر الباقين على قيد الحياة، ومندوبين عمّن فُقِدوا في المذبحة، ليناقشوا خطوتهم التالية بعد هزيمتهم المروّعة.

وفور حضورِ الجميع تلبيةً لدعوته، وفي دوّارهِ الفسيحِ، دوّى صوته المحمّل بمرارةِ الكونِ قائلًا:

- رحم الله شهداءنا، إنّ دماءهم الزكيّة منحتنا فرصةً للحياة، ومرّةً أخرى أقدّم عزائي للجميع، لقد جمعتكم اليوم لأنّ القرار دائمًا وأبدًا

شورى بيننا، ومع كلّ من فقدنا، سيكون ظلمًا بيّنًا أن أنفرد بالقرار في ظلّ هذه الظروف العصيبة، لقد خسرنا هذه المعركة برغم استعدادنا لهذا اليوم المشؤوم طوال ربع قرن، وفقدنا من أحبائنا أضعاف ما فقده أسلافنا، على يد هؤلاء الشياطين القادمين من أعماق الجحيم، ولست على استعدادٍ لفقد المزيد، ولا أعتقد أنّ أيًا منكم على استعدادٍ لمواجهةٍ أخرى، وللمزيد من الضحايا، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه.

وبصوت يموج بمرارةٍ أكبر، دوّى صوت شيخٍ كبيرٍ، ليقول في يأس:

- وماذا بيدنا أن نفعل يا حاج (فاضل)، لا شيء يوقف هؤلاء الشياطين القادمين من السماء أو يردعهم، ولم نعد نأمن على أبنائنا أو أحفادنا من هجومهم الضاري، وهم لا محالةَ عائدون مهما طال الزمن، ليحصدوهم كالخراف.

أجاب العمدة بسرعةٍ، وكأنّ الإجابة كانت حاضرةً لديه:

- نرحل.

ساد الهَرج والمَرج بين الحاضرين، ليدوّيَ بينهم صوتُ الشيخ الغاضب:

- أيّ جنونٍ هذا يا عمدتنا، نرحل ونترك أرضنا وعرضنا، ودون أن نثأر لقتلانا، إنّ هذا عارٌ كبيرٌ علينا، بل كلّ العار.

هتف العمدة في مرارةٍ:

- لا قِبَل لنا بهؤلاء الشياطين، لقد عادوا بأسلحةٍ شيطانيّةٍ ماحقةٍ، والله أعلم ماذا يوجد في جعبتهم خلافها، وأسلحتنا لا تؤثر فيهم، مجهود ربع قرنٍ كاملٍ من استعدادٍ وعتادٍ، لم يمنعهم من سحقنا في ساعاتٍ محدودةٍ.

عاد الشيخ ليصيح في غضب:

- لنستعِن إذًا بالجيش، أليسوا مسؤولين عن حمايتنا، إنّ هذا هو

الوقت الحتميّ لتدخلهم، لقد تأخرنا كثيرًا في طلبهم.

رد العمدة في غضب، وكأنه يتعمَد أن يبعد هذه الفكرة عن أذهانهم:

- إنَها لعنتنا، ووحدنا من نتحمَل تبعاتها، ثمَ ماذا يمكن أن يفعل الجيش أو كلّ جيوش الدنيا، أمام هؤلاء السفَاحين المحصنين ضدَ أسلحتنا.. لنعترض طريقهم بالمزيد من الضحايا.

قالها ثمَ استجمع أنفاسه وأكمل في مرارة:

- إنَ بلدتنا أضحت ملعونةً، ولا مناص من أن نغادرها، حياة أهالينا وأبنائنا وأحفادنا أمانةً في أعناقنا، وكما أنشأنا هذه البلدة ننشئ غيرها، ولقد تحسَبنا لهذا الأمر منذ زمنٍ بعيد، والواحة مع بعض الجهد والعمل ستستوعب من تبقى منا.

ردَ شابٌ مكلومٌ على العمدة متسائلًا:

- وما أدراك أنَ اللَعنة لن تنتقل معنا؟!.

وهنا تعالى اللغط والمناقشات.

وبعد عدَة ساعاتٍ استقرَّ أمر الرجال على الرحيل.

وخلال الأيام التالية، بدأ أهل البلدة في الإعداد للرحيل العظيم، وقد خيَم الحزن، وعدم الرضا على الجميع.

وفي اليومِ المقرَرِ، وعندما همَ الفوج الأول بالتحرُك في حراسةٍ مشدَدةٍ من شباب البلدة المسلحين، اخترقت سيَارةٌ سوداء ذات نوافذ مظلَلةٌ ساحة البلدة، وهبط منها رجلٌ غامضٌ متوسط الطول، له عينان أشبه بعيني الصقر، رصد ما يدور في ساحة البلدة، واستوعبه بسرعةٍ، وقرَر التدخل على الفور، فهتف بصوتٍ جهوريٍ:

- لن يرحل أحدٌ من هذه البلدة، لن ننفَذ ما يسعى إليه هؤلاء المجرمون، عودوا لمنازلكم، فالحرب لم تنتهِ بعد.

وفي غمضة عينٍ، ارتفعت نحو صدره عشرات البنادق القاتلة.

وكان من الواضح أنّ الأمور ستشتعل أكثر.

*****

حكاية

عين الآلهة

العام: ٦٠٣ قبل الميلاد

المكان : شمال الهند

بحذرٍ شديدٍ، تقدّم الملثّمون الأربعة تباعًا، يشقّون طريقهم بصعوبةٍ عبر ممّرٍ صخريٍّ ضيّقٍ منخفض السقف، يبدو أنّه صنع خصّيصًا من أجل أشخاصٍ أقصر قامةً، ممّا أجبرهم على الانحناء أثناء عبوره، ليغادروه بعد وقت قصير إلى ممّرٍ أكثرَ اتساعًا، يقود إلى درجٍ هابطٍ، انتهى بهم إلى غرفةٍ مظلمةٍ سيئةِ الرائحةِ والتهويةِ، انقبضت قلوب بعضهم لمرآها..

باب الغرفة كان مواربًا، فدفعه أحدهم بحذرٍ، ورغم ذلك صدر عنه صريرٌ مزعج، عكّر لوحة الصمت التي تغلّف كلّ شيء..

المكان كلّه يفوح برائحةٍ كريهةٍ تثير الغثيان، وكأنّ قاطنيه لا يعرفون النظافة، أو لا يمتلكون حاسّة الشمّ، ولكنّ الغرفة نفسها كانت حفرةً من الجحيم، فما أن دخلوها حتى أحاط أحد الملثّمين أنفه بقبضته، وهو يهتف في صدمةٍ:

- اللعنة أيّة رائحةٍ شيطانيّةٍ هذه؟

قبض على ذراعه ملثّم ضخمٌ ظهر من عينيه أنّه يكافح خدر الرائحة الكريهة، وبلهجة قائدٍ اعتاد إعطاء الأوامر، هتف به في غضبٍ:

- احذر من انفعالاتك أيّها المتذمّر كي لا توردنا مورد التهلكة، إنّ هؤلاء الأقزام الهمجيون يقتلون وبعدها يسألون.. لا أعرف سرّ تفاجئك من قوة الرائحة، فالغرفة صنعت أسفل مذبح المعبد لتصريف البقايا الناتجة عن تلك الطقوس الوثنية التي يتمّ فيها التضحية بالبشر، وممارسة طقوس السحر الأسود المحرّم، بعيدًا عن الأعين أو الرصد، إنّ سحر الأقزام جعلها أكثر مكانٍ مُؤَمَّنٍ على سطح الأرض، ولنفس السبب وقع عليها اختيارنا لإتمام مهمتنا شديدة الخطورة.

توتر الملثّم برغم معرفته ما ذكره قائده من معلوماتٍ مسبقًا، ولكنّ الرائحة كانت بالفعل لا تطاق.

إنّه يدرك بطبيعة الحال خطورة هؤلاء الأقزام الوثنيين، خاصّة بعد تلك المعركة الوحشيّة التي خاضوها ضدّ حرّاس المعبد الأربعة منذ وقت قريب، متجنبين فيها استخدام أيٍّ من أسلحتهم المتطورة، للحفاظ على سريّة مهمتهم، والذين كانوا يقاتلونهم بمهارةٍ ووحشيّةٍ وكأنّهم جيشٌ كامل، ولولا تآزرهم معًا، لكانوا هم الأضحية القادمة على المذبح..

حاول الملثّم المتوتّر تجاهل الرائحة التي كانت تتسلل إلى أنفه، ورئتيه بطريقةٍ مزعجةٍ، ولكنّها كانت أفظع من أن يتمّ تجاهلها.

وإن لم يمنعه هذا من التعامل بسرعةٍ وحذرٍ، فقد صارعليهم بعد قتلهم للحراس، أن ينهوا مهمتهم في أسرع وقت، قبل أن يَكتَشِف ما حدث أيٌّ من الزائرين غير المتوقعين، فأقزام القبيلة المتوحشين لن يغفروا لهم قتلهم الحراس وتدنيسهم لحرم معبدهم، كما أنّ كهنتهم من أخبث أنواع السحرة، وأكثرهم دموية..

لو كان عليهم لاختاروا مكانا أقلّ خطورةً، وأقلّ قذارة، ولكنّ المهام القذرة، تحتاج دومًا لأماكن أكثر قذارة..

وهذا المكان يُسفَك فيه الدم البشريّ باستمرارٍ ودون رحمةٍ، فلا أقذر منه.

رائحة العفن المتصاعدة تزكم أنوفهم، ولكنّهم لا يملكون رفاهية التذمُر أو الاعتراض، خاصةً وأنّ الوقت يمضي بسرعة، ومهمتهم الشنيعة تحتاج كلّ ثانيةٍ منه..

ولذلك انهمكوا في فضّ بعض الرقاع الجلدية المدبوغة التي اهترأت وعفا عليها الزمن، ربما من كثرة الاستخدام..

وبكل حرصٍ ودقّةٍ، نقلوا ما خطّ عليها من نقوشٍ ورموزٍ وحروفٍ وأرقام إلى جدران الغرفة الأربعة، مستخدمين دماءً طازجةً استولوا عليها من جثث حرّاس المعبد الذين أجهزوا عليهم عند دخولهم ..

وأثناء انهماكهم في مراجعة ما خطّته أيديهم على الجدران مع ما نُقش في الرقاع الجلديّة القديمة كخطوةٍ أخيرةٍ قبل بدءِ مهمتهم الفعلية، توقف أحد الملثمين فجأةً، وشهق، وكأنّه يعاني من خطبٍ ما، أو يجد صعوبةً في التنفس، وسقطت الرقعة الجلديّة التي يحملها من يده دون وعي، فاستدار يواجه رفاقه، وعلى وجهه ارتسمت نظرةٌ زجاجيةٌ باردة، وهو يقول بصوتٍ شاردٍ:

- اسمعوني يا رفاق، إنّ ما نقوم به غير صائبٍ، إنّنا في مكانٍ مقدسٍ، وندنّسه بأفعالنا هذه.. أهذا حقا ما تدربنا عليه طوال عمرنا؟ نحن مقاتلون ولسنا سحرةً أو مشعوذين، وما ..

وقبل أن يكمل الملثم حديثه، انقضّ عليه أقرب رفاقه إليه، وأحاط عنقه بذراعه مفتولة العضلات، وأجبره بيده الأخرى على فتح فمه، في حين أخرج الملثم الضخم من جعبته قنينةً تحوي سائلًا زيتيًا أسود اللون، صبّه صبًا في حلقه، وأجبره على ابتلاعه، وهو يقول في صرامة:

- المكان محصّنٌ بسحرٍ أسودَ قوي، سيعبث بعقولكم، أعملوا بسرعةٍ أكبر، كي ننهي هذه المهمة بنجاح، فالفشل لن يعني إلا فنائنا جميعا، لن نخسر معركتنا هذه أيضا.

وفور أن استقر السائل الأسود في جوف الملثّم الواقع تحت تأثير سحر الأقزام حتى انتفض في قوة، وأخذ يسعل ويقيء كلّ ما في أحشائه، وهو ينظر حوله في حيرةٍ واضطراب، وكأنّه فقد كلّ حواسّه وقدرته على رؤية وتمييز ما حوله، ممّا أجبر رفاقه على سحبه ليستند إلى الحائط..

وبعدها دخل الملثّم في نوبة هذيانٍ استهلكت منهم دقائقَ ثمينة، عمل فيها رفاقه على ردعه وتقييده، حتى لا يقوم بإيذاء نفسه.

وعندما استعاد صفاء حواسّه، وميّز طعم السائل الزيتيّ المرّ في فمه، استعاد ذاكرته على الفور، وردّد في غضب:

- اللّعنة.. لم أتوقع أن أكون أول الساقطين.

ردَ الملثّم الضخم بصوت صارمٍ، وهو يشير لأحد رفاقه كي يفُك وثاقه:

- كل شيءٍ متوقعٌ في مهمتنا هذه، لذلك أعددنا العدّة لكل طارئ، هلمّ أنهِ عملك، فالوقت يتسرب من بين أيدينا.

وعلى أثر كلماته عاد الملثّم الذي كان يشعر بالغثيان من أثر المشروب القوي الذي أنهى تأثير السحر المظلم الذي يحمي الغرفة والمعبد، يراجع النقوش التي رسمها على الجدار، دون أن يغفل أبسط التفاصيل، وهو يحاول الحفاظ على صفاء ذهنه.

وما أن انتهى منها، حتى استدار مواجهًا رفاقه الذين انتهوا من عملهم، وصبّوا نظراتهم نحوه، وأخرج من جعبته وتدًا معدنيًا غرسه في الأرض بكلّ قوّةٍ، كما فعل رفاقه قبله، ثم قال بنفس التوتر:

- لقد انتهيت.

وما أن أنهى كلمته حتى تألقت كل النقوش التي علىالجدران بوهجٍ ناريٍّ قوي، لدرجة أنها بدّدت ظلام الغرفة..

النقوش ذاتها كانت عجيبةً، وغير مفهومة، وكأنّها حروف للغةٍ غير أرضية، تصنع فيما بينها رسمة عجيبةً معقدةً يصعب وصفها بسهولة، ولكنّك تستطيع تمييز بعض الأرقام الشبيهة باللاتينية.

وبتتابعٍ مذهلٍ، توهجَت الأوتاد المعدنية الأربعة صانعةً بمنتصف الغرفة دائرةً مشتعلة، ما أن اكتملت حتى بدأ الملثمون في ترديد كلمات ترنيمةٍ مبهمة، لها وقعٌ مقبضٌ يوحي بالوحشة.

وعلى أثرها ظهر في المكان من العدم، تابوتٌ خشبيٌّ ثقيلٌ تحيط به سلالٌ وأقفالٌ معدنيةٌ مطلسمة، توحي بخطورة ما بداخل الصندوق.

وما أن لامس الصندوق المطلسم أرض الغرفة، حتى توهجَت الدائرةُ المشتعلةُ بشكلٍ يعمي الأبصار، وانطفأت الأوتاد بشكلٍ متدرجٍ، لينتقل تألقها إلى السلاسل والأقفال المطلسمة المحيطة بالصندوق، لتنفتح مغاليقها، وتسقط على الأرض بدويٍّ مكتوم، وكأنّما جذبتها قوىً غير مرئيّةٍ، فاقترب قائد الملثّمين من الصندوق، ونقر على غطائه، ثلاث نقرات، وهو يقرأ من مخطوطةٍ شديدة القدم، بعض الكلمات باللغة السنسكريتيّة القديمة.

والتي على أثرها، انزاح غطاء الصندوق بهدوءٍ ونعومة دون أن تمسّه يدٌ، وظهرت بأعماقه مومياء سوداء محنّطة لما يبدو وأنّه أحد الكهنة، بردائه المميّز، ورأسه الحليقة، وذقنه البيضاء الكثيفة.

أما المفزع في الأمر، فقد كانت عيناه..

عيناه اللتان تحركتا في كل اتجاهٍ في اضطرابٍ وألم، وكأنّ صاحبها الذي يعاني أقسى درجات الألم، تمّ تحنيطه حيًا، وروحه ما زالت

حبيسةً في جسده الميت.

الأمر كان مخيفًا أكثر منه مدهشا!

فكيف للعينين أن تتمتعا بكلّ مظاهر الحياة، بينما الجسد هامدٌ بهذا الشكل المفجع؟.

والعجيب أنّه لم تظهر أيّ ملامح للدهشة على وجه أيّ من الملثّمين، فجميعهم يدركون تفاصيل مهمتهم القذرة التي أتت بهم إلى هذا المكان الخانق الدنس..

فعليهم قبل شروق الشمس، استنطاق تلك الجثة الحية التي تتبعها خدمةٌ مزدوجةٌ من الجنّ والشياطين، وحماية أحد الكيانات الغاشمة القديمة، فما يكبح نهضتها ينتهي مفعوله عند الشروق، وسيقاتل خدمه لتحريره، كي لا يهلكوا بموته.

ولكن عليهم في البداية، إخلاء المكان من كافّةِ الأحياء،فالموت هو اسم اللعبة من هذه اللحظة..

ووجود أيّ من الأحياء في نطاق المكان، قد يستغله ذلك الكاهن الخبيث في افساد مخططهم، وخاصة العقارب والحيات، التي يستطع التحكّم بها بقدراته العقلية فقط.

لقد درسوا الأمر جيدا، ولم يغفلوا أيّ نقطةٍ مهما كانت تفاهتها، فهم لا يدافعون عن وجودهم فقط، بل عن الجنس البشريّ الغافل.

ولذلك وبكلّ هدوءٍ أشعل أحدهم عودًا من البخور أخرجه من نطاقه، لتخرج منه سحبٌ كثيفةٌ من الأدخنة العطريّة، انتشرت في كامل المعبد بشكلٍ سريعٍ ومريب، فلم تترك فيه شقًا، أو جحرًا لم تصل إليه، أو تبسط سيطرتها عليه.

وبعد لحظاتٍ من انتشار الدخان العطريّ، ساد الصمت لبرهةٍ، ثم دوّى الهديرُ المثير للأعصاب.

وبدأ توافد قطعانٍ هائلةٍ من العقارب والثعابين والسحالي، والفئران، وأحد خدّام المعبد لم يقابلوه أثناء دخولهم، بعد أن أتت تعويذة السيطرة مفعولها..

وبلا رحمةٍ ودون استثناءٍ، استلّ الملثمون الأربعة سيوفهم، وأجهزوا على كلّ كائنٍ حيٍّ دخل الغرفة..

وما أن تلاشت السحب، حتى تحولت الغرفة لمقبرة مرعبة..

ودون تأخيرٍ بدأ الملثم الضخم في ممارسة الطقوس، التي من أجلها ارتكبوا هذه المذبحة..

حيث وضع جهاز نابضٍ على صدر الكاهن الذي أصبح يشبه جذع شجرةٍ متفحمٍ، لتفارق الجسد ما يشبه الحشرات الفضيّة الآليّة، ليستعيد جلده بعضًا من لونه الطبيعي.

وعلى الفور، ودون أن يهتز له جفنٌ، وباستخدام مبضعٍ جراحيٍّ حادٍّ، شقَّ الملثم الضخم القفص الصدري الأسود لمومياء الكاهن الذي جحظت عيناه من الألم، وأخرج قلبه الذي يشبه قطعة الفحم، والذي كان ينبض على استحياء، و..

وكشف عن وجهه، وبدأ في التهامه..

كان فعلًا همجيًا، وحشيًا، لا يمُت للطبيعة الإنسانيّة بصلة، ولكنّه أتى بثماره المرجوة.

فعلى الفور بدأت جثة الكاهن تفصح عن أسرارها.

وبرغم أنّ الملثم كان يستخدم (النيكرومانسي)، وهو أحد أعقد فنون السحر الأسود، إلا أنه لاقى مقاومةً عنيفةً من الكاهن العاجز المتمرس، الذي أبرزت حركة عينيه، أنه مازال يقاتل ليحرّر نفسه من أسرهم، قبل أن يتمزق جسده بالكامل، ولكنَّ الغرفة المطلسمة، كانت تعوّق خدمه من الدخول أو نجدته..

وبعد مضيّ عدةِ ساعاتٍ، تمزّق فيها جسد الكاهن إربًا، توقف الملثم الضخم عن مهمته الوحشية، وبدأ ينظف ثيابه من آثار الدماء والأشلاء، والعجيب أن عيني الكاهنِ الذي تهشمت جمجمته تمامًا، ما زالتا تتحركان في محجريها ، ممّا جعل أحد الملثّمين يقول في دهشةٍ:

- كيف ما زال حيًا، بعد كلّ الهول الذي مرّ به؟.

تجاهله الملثّم الضخم، وهو يستدير نحو بقايا الكاهن، وثبّت عينيه في عين الكاهن قائلًا:

- أخيرًا يا (ابن ورد) لقد رأينا بسببك الأهوال، وخضنا مرغمين في مستنقعات السحر والظلام حتى كادت تهلك أرواحنا، ونصبنا فخاخنا في كل شبرٍ من الصحراء كي نوقع بك.. إنّها لحظة نهايتك..

وإن كنت أفضّل أن نقبض عليك حيًا، ونستخلص منك المزيد من المعلومات في أحد مقراتنا المجهّزة، ولكنّ ما تحيط به نفسك من حمايةٍ فوق الطبيعية، أجبرتنا على المجازفة وإحضارك إلى هذا المكان الدنس المحميّ بسحرٍ فائقٍ يُعجز كل خدمك، ويوقف قدراتك السحرية..

وأنا هنا لأخبرك أنّنا لم نكن لنسمح بصناعة طاغيةٍ آخريتسبب في هلاك العالم، وسنعيد ترتيب خيوط القدر التي أفسدها سعيك المحموم نحو (عين الحياة).

ظهر الرعب على عيني (ابن ورد) اللتان تتوسطان جمجمته المهشمة، وحاول أن ينطق، ولكن الملثم الضخم كان قد التهم لسانه أثناء طقوس استجوابه الجهنمية..

وأمام عينيه الفزعتين، تسلّل الملثمون خارجين من الغرفة كالريح، واحدً تلو الآخر في حين عادت النقوش تتألق على جدران الغرفة، وتبعها توهُج الأوتاد المعدنيَة بشكلٍ رهيب..

وفي لحظةٍ واحدةٍ تحوّلت الغرفة إلى أتونٍ من اللّهب، وتحوّل كلّ ما

فيها من جثثٍ إلى رماد..

ولم يتبقَ من بقايا جثة الكاهن(ابن ورد) التي التهمتهما النيران، غير عينيه الفزعتين اللّثين ارتسمت فيهما كل ملامح الرعب، عندما خمدت النيران، وغرقت الغرفة بعدها في الصمت والظلام.

وفي الصباح، دبّ الفزع والهلع في أرجاء المعبد بعد العثور على جثث الحراس الممزّقة في ساحته، وانتشر الأقزام تنفيذًا لتعليمات كاهنهم القزم البدين، في البحث عن المقتحمين..

ولم يسفر البحث إلّا في العثور على العينين..

العينان الحيتان دون جسد..

وعندما رآهما الكاهن البدين، عمل عقله الخبيث بسرعة،وقرّر أن تكون العينان الحيتان، هما وسيلته الخارقة، لاستعادة هيبة المعبد التي ذهبت باقتحام الغرباء له..

وفي المساء، طلب حضور كلّ أفراد قبيلته من الأقزام..

ليعرض عليهم (عين الآلهة)..

ووسط احتفال مهيب، ظهر الكاهن الذي دهن كامل جسده بدهانٍ أبيضَ اللون، جعله أقرب للجثث الشاحبة..

وبداخل وعاءٍ زجاجي استقرّت العينان المفزعتان..

عينا (ابن ورد).

الذي نصّ العهد الذي أبرمه مع الشيطان على ألا يطفأ نور عينيه قطّ..

وكانت نهايةً لم يتوقعها حتى في أسوأ كوابيس.

*****

الكثير

من الأشياء السيئة

أخطاء الماضي المستمر

العام:٢٠٢١ م

المكان: شبرا

في تمام السابعة مساءً، انتهى عمل (مجدي سالم) المرهق، إنها فترة تقفيل الميزانيّة الكئيبة، وهو لم يعد إلى منزله منذ يومين كاملين، وإن لم يمثّل له هذا أيّ فارقٍ، فمن لا ينتظره أحدٌ، لا فائدة من عودته.

كلّ شيءٍ أمامه مشوش بعد أن نزع نظارته الطبيّة، وإنْ منحه هذا بعض الخصوصيّة، فما لا تراه لن يزعجك، وستدّعي عدم وجوده..

شعورٌ عارمٌ بعدم الراحة يترسخ في أعماقه، فهو لم يبدّل حلته أو يغتسل منذ عدة أيام بسبب ضغوط العمل ، ولابدّ وأنّه يشبه المتسولين الآن.

وهذا ليس مبرّرًا بالطبع ليفوّت مباراة كأس السوبر بين الأهلي وطلائع الجيش، فكُرة القدم هي الشيء الوحيد الذي لم يفقد شغفه إليه في هذه الأيام العصيبة.

فساعتان في المقهى تزيحان عن نفسه الكثير من همومها، ولن تكلّفانه الكثير.

ومع مزاجه المتعكّر، قطع معظم الطريق وهو يفكّر في ما آل إليه حاله، وكيف انقلبت حياته رأسًا على عقب بعد أن طلّق زوجته، وأنهى عشر سنواتٍ من العِشرَة بينهما، دون أسباب منطقيّة أو حقيقيّة حسب آراء من حوله، ولسببٍ وجيهٍ هو وحده مقتنع به: أنّه هو وزوجته، شخصان جيدان، وشريكا حياةٍ رائعين، ولكن ليس معًا..

فليست كلّ الأشياء الرائعة تتجانس وتتكامل، بعضها يكون منفّرا بجوار بعضه البعض، ولا تبرز روعته إلّا بانفصاله.

وهذا ما فعله، ولكن متأخّرًا جدًا، بعد أن صار بينهما طفلان، وهو الذنب الذي يؤرّقه طوال الوقت.

كان الثمن غاليًا بالفعل ليتحرّر في النهاية من قيد هذا الزواج الكئيب، وللأسف لم يتعثر بعد بالحرّية أو السعادة التي اعتقد بوجودها.

لقد فقد جزءًا كبيرًا من نفسه في معركته مع هذا الزواج الفاشل، ولذلك فكلّ مكاسبه التاليّة خسارة.

والمثير للشفقة أنّه في ليالٍ كثيرةٍ مازال يفتقد جمعته بزوجته وأطفاله، ودفء وجود الأسرة.

فأيّ شيطانٍ لعينٍ يسكن عقول الرجال؟!.

وعندما دلف إلى ذلك الشارع الضيّق القريب من مجمّع المدارس، والذي أصبح طريق عودته الرئيسي من عمله مؤخرا، بعد انفصاله عن زوجته، وتغييره محل إقامته، وقع بصره على صديق طفولته (صلاح عبد السّتار)، وهو يقف في منتصف الشارع قاطعًا عليه الطريق، في زيٍّ أسودَ غريبٍ مكوّنٍ من قطعةٍ واحدة، وكأنّه في حداد.

كان يتمنى لو أنّهما التقيا في ظروفٍ أفضل، فلن يُقدّرصلاح إرهاقه ولا معاناته في تلك الفترة الرماديّة من حياته التي يشعر فيها بعدم التوازن أو الاستقرار..

كما أنّه سيكون مجبرًا على الإجابة على أسئلةٍ لا يرغب في أن تُطرَح عليه، فـ(صلاح) إعصارٌ من المرح، والضجيج، وظهوره يعني انقلاب أيّ مكانٍ إلى سيرك..

وما أن التقت عيناه بعيني (صلاح) حتى ادّعى الاندهاش والسعادة، وهو يعيد ارتداء نظارته لتتحسن الرؤية، ويهتف دون حماس:

- صلاح عبد السّتار! يا لها من مفاجأة، مصر حقًا غرفةٌ وصالة.

ليردَ عليه (صلاح) بلا ودٍ، وبطريقةٍ أقرب للبرود:

- إنُها كذلك.

لم يكن لقاءً عاصفًا، كطبيعة (صلاح) المعتادة، وكأنُماأكسبته السنوات، حكمةً وهدوءً أم لنقل برودًا لم يكن من صفاته..

فـ(صلاح) كان من النوع المتحمّس ، دائم الاحتفاء بأصدقائه، والمبالغ دوما في كل ردود أفعاله، وليس ذلك البارد الفاقد للحماس..

وبنفس الطريقة الباردة التي لا حميميّة فيها، أخبره (صلاح) أنّه هنا من أجله، وأنّ الأمر ليس مصادفةً، ولم يُشعِره هذا بأيّ تحسنٍ، وهو يقول دون حماس:

- وأيُ رياحٍ طيبةٍ ألقتك علينا..

لم يجبه صلاح على الفور، وهو يضع يده على أذنه، وكأنُهيتلقى اتصالًا من شخصٍ ما، رغم عدم رؤيته لأيّ وسيلة اتصالٍ هناك.. ففكّر أنّه ربما علم بما يقاسيه هذه الأيام من قحطٍ وعوزٍ، فقرّر المرور عليه لمساعدته، مع ما يثقل كاهله من ايجارٍ ونفقةٍ لزوجته وطفليه، ومتطلباتٍ شخصية لا يكفي راتبه لتغطيتها..

ثم تضخّمت أحلام يقظته ففكّر أنّه ربما سيساعده في الحصول على وظيفةٍ مرموقةٍ ذاتِ أجرٍ مجزٍ في إحدى شركاته، فهو محاسبٌ مخضرمٌ، يمتلك خبرة سنواتٍ طويلة، وسيضيف الكثير لمن يعمل لديه، كما أنّه نظيف اليد لا يسرق أو يدلس.

ولكنّ إجابة (صلاح) بخّرت كلّ هذه الأفكار من رأسه عندما قال في جدّية:

- لقد عدت لإصلاح خطأٍ كبير لا يجب أن يستمر، إنّ وجودك في ..

وقبل أن يكمل جملته شهق (مجدي)، ثمّ قاطعه متسائلًا في قلق:

- أيّ مصيبةٍ ارتكبتها يا ابن الحاج (عبد الستار)، لقد اعتقدت أنّك قادمٌ لمساعدتي، لأجدك أنت من تحتاج للمساعدة، ثمّ ما هذا الزيّ العجيب الذي ترتديه، أأنت في حداد؟.

أجابه (صلاح) على الفور، وهو ينظر في ساعةٍ سوداء أخفاها لون الزي الأسود عن عينيه المتفحّصتين:

- بل أنا هنا من أجلك بالفعل.. سيكون لنا لقاءٌ قريب، قبل أن تفسد كلّ شيء، ولا شأن لك بثيابي.

عدّل (مجدي) من وضع نظارته في عصبيّة، وهو يمسح بمنديلٍ ورقيٍّ عرقه، بعد أن وتّرته نظرة الغضب التي سكنت عيني صديقه للحظة، قبل أن تتوارى خلف قناع الثلج الذي يرتديه، وكأنّما لاحظ حالته المزرية، ليقول بصوت أكثر غموضا:

- كلّ ما عليك فعله الآن هو التوجه إلى منزلك مباشرةً مهما كانت خططك أو رغباتك، ولا تغادره حتى أتواصل معك، فالكثير من الأشياء السيّئة سوف تحدث خلال دقائق، ووجودك سيفاقم من عنفها.

هزّ (مجدي) رأسه في احباطٍ، وهو يرى كلّ أحلامه تتبخر، دون أن يعلّق على جملة (صلاح) الأخيرة..

لقد عاد (صلاح) الذي يعرفه، والذي لا يتوقف عن إثارة هلع الجميع بمقالبه وأفعاله الصبيانيّة، فهو يعلم دون جدال شغف (مجدي) بمباراة كرة القدم التي على وشك البدء، ويحاول بحديثه الغامض إثارة هلعه، ليفسد عليه متعة مشاهدة المباراة الهامّة في المقهى، وهو ما لن يمكنّه منه، فأيّ أشياء سيئةٍ ستحدث له أكثر مما هو فيه.

لن ينصت لهذا العبث.

وبعد أن انصرف (صلاح) وتركه دون سلام، غرق (مجدي) في لجّة

أفكاره لبرهة، ثم انتبه إلى أنه يقف أمام مدخل أحد المنازل بشكلٍ فجٍّ، فنفض دهشته، وعاد ليقطع الطريق صوب منزله، كي لا يثير ريبة قاطنيه.

داعبت أنفه رائحة الفلافل التي يشتهر بها مطعم (الحاج وفيق) القريب، ولكن القولون كان له بالمرصاد، فقد تناول علبة كشري في المكتب قبل انصرافه، وأمعاؤه لن تتحمَل إرهاقًا جديد.

أكمل سيره متجاهلًا رائحة الفلافل الشهيَة، ومشاجرةً كبيرةً تدور رحاها بين بعض سائقي (التوك توك)، والتي توحي من تكالب الناس عليها، أنَّ المشاجرة ستنفجر وتتحول إلى حربٍ أهليةٍ مستعرة، ولكنَه يدرك جيدًا، أنَها دائمًا ما تنتهي على لا شيء؛ بعد أن يفرغ أطرافها طاقتهم في الصياح.

كان قد ابتعد مسيرة شارعين فقط، عندما أوقفته صرخاتٌ عاليةٌ شقَت سكون الليل، وأصوات انفجاراتٍ مكتومةٍ، وصلت إليه من مكان المشاجرة، وجعلته يعود أدراجه راكضا وقد نسى إرهاقه، ليروي فضوله مما يحدث، ويتحرّى عن سبب الصرخات والانفجارات كأيِّ مصريٍ عتيد.

ولكنَه عندما وصل إلى مكان المشاجرة، وجد جميع التكاتك والسيارات مشتعلةً، ولا يوجد فردٌ واحدٌ حولها، فقط أكوامٌ من الرماد الساخن تتصاعد منها الأبخرة، وهذا جعله يفكر:

هل تطوَرت المشاجرة على عكس توقعه، أم هي عمليةٌ إرهابية تمَت في أسوأ توقيت، في هذا المكان المزدحم؟!

أثارت الفكرة توتره، فتحرَك في عصبيةٍ مغادرًا المكان فهو لم يكن يرغب في أن يكون موضع اشتباهٍ، أو تحقيقاتٍ مشدَدةٍ من الشرطة التي سرعان ما ستطوِق المكان، وهو شاهدٌ لم يرَ أيَّ شيء.

كما أنَه لا يوجد بالقرب من السيارات، والتكاتك المحترقة، أيَ قتلى أو

جرحى أو مصابين ممَن يحتاجون أن يمدَ لهم يد العون أو المساعدة، فلن يؤنبه ضميره فيما بعد على تركهم خلفه والهرب.

وبرغم تحرَكه السريع، ولكنَ عقله الباطن لم يتوقف عن التساؤل:

أين اختفى الجميع؟

وظلَ عقله منشغلًا بهذا اللغز العجيب.

وبكلَ ما يعتمل داخله من اضطرابٍ، زاد من سرعة سيره إلى شارعٍ جانبيٍ، وكأنَه يهرب من خطرٍ مجهول لا يدري كنهه، ففقد اتجاهه مع قلة تركيزه، فتاه في بعض الشوارع الضيِقة المتشابكة التي تميِز حي (شبرا).

وفي النهاية وجد قدميه تقودانه صوب طريق المقهى،فأكمل سيره بخطواتٍ ثقيلةٍ وكأنَه يحمل فوق كاهليه كلَ هموم الدنيا.

وأمام (السنترال) لمح ما جمَد الدماء في عروقه..

فعلى بعد عدَة خطواتٍ منه، وقف أمامه قطٌ شيرازيٌ ضخمٌ، يلتفُ حول عنقه طوقٌ معدنيٌ لامعٌ، وفراءٌ ناصعُ البياض، لا يشبه أيَ قطٍ آخر رآه في حياته، ويصل حجمه لحجم كلب صيدٍ عملاقٍ، يحدِق فيه بعينين وحشيتين، مخيفتين ينعكس فيهما ضوء القمر فيتوهجان بضوءٍ فيروزيٍ قويٍ، جعل قلبه ينبض في هلع، وعقله يصرخ في هلع: لا توجد قططٌ حقيقيةٌ بهذا الحجم.

ثمَ إنَ القطط لا تظهر من العدم فجأةً، ولا تتوهَج مخالبها بهذا الشكل المفزع.

تراجع خطوتين للوراء، موقنًا أنَ ما يعترض طريقه، هو أيَ شيءٍ إلَا أن يكون قطًا، فتمتم بتلك الآية التي حفَظَتها له جدته في صغره، تلك المرأة البسيطة رقيقة الحاشية، التي كانت تواجه كل مصيبةٍ في حياتها بدعاءٍ مختلف فعال:

- إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ..

كرّر الآية عدّة مراتٍ دون جدوى، فمازال القطّ على وقفته المتحفّزة، وما زالت نظراته تزلزله من أعماقه.

فهل هو مجرد قطّ شوارعٍ حدثت له طفرةٌ جينيَة فصار بهذا الحجم؟

إنه تفسيرٌ مريح نابعٌ من قراءته للقصص الخيالية، ولكنّ ما جعله يتأكد من كينونته غير الطبيعية، هو ذلك الصوت الخشن الذي خرج من حيث يقف القطّ دون أن يحرّك شفتيه، وجعل (مجدي) يرتجف في مكانه

- أسرع .. ولا تذهب لأيّ مكانٍ غير منزلك، إنّ الخلل يتفاقم، وستتسبّب في كارثةٍ لا يمكن علاجها.

بسمل وحوقل وهو متجمدٌ في مكانه وسط الظلام، لا يقوى على الهرب، ولا إبعاد عينيه عن عيني القطّ الجشعتين، ولا يعرف من توتره ماذا يفعل أمام كلّ الغرائب والأمور الجنونية التي تواجهه هذه الليلة!

خلع نظارته لمسح العرق الذي أغرق عينيه، فاختفى القط!

فأسلم ساقيه للريح دون أن ينظر خلفه، وهو يقسم بينه وبين نفسه أنّه لن يعود إلى منزله الذي يحاولون دفعه دفعًا للذهاب إليه! فلابد وأنّ مصيبةً تنتظره هناك، وهو ليس حمل مصيبةٍ جديدة من هذا النوع الخارق للطبيعة، يكفيه ما يعانيه من مصائب.

وأثناء ركضه، اصطدم صدمةً عنيفةً، بشخصٍ بدينٍ يكسي الرعب وجهه والهلع ملامحه، وكادا أن يسقطا أرضًا، لولا أن تمسّكا ببعضهما البعض في آخر لحظة.

كان منظر البدين مثيرًا للشفقة، مع قميصه المشجّر العجيب الذي يحشره حشرًا بداخل سرواله الضيق، والذي رفعه فوق بطنه بشكل جعله أقرب إلى الممثلين الهزليين، وعندما وقع بصره على وجه

(مجدي) المتألم، صرخ في هلعٍ، ورعبٍ شديدين:

- اهرب إنَّ الملثم يحرقهم دون رحمة؟!

ألجمته الصدمة هذه المرة، وهو يتلفَّت حوله في هلعٍ باحثًا عن ذلك العدوّ المخيف الذي يهرب منه البدين، عندما اندفعت من قلب الظلام امرأةٌ عجوزٌ واهنةٌ تركض بخطواتٍ متخبّطة، وتكاد تتعثر في ثيابها، وهي تسلك نفس الاتجاه الذي سلكه البدين، وعلى وجهها ملامح رعبٍ عظيم، وكأنها قابلت منذ لحظاتٍ ملك الموت نفسه.

ليظهر خلفها شخصٌ ملثَمٌ يرتدي زيًا أسودَ من قطعةٍ واحدةٍ، ويحمل سيفًا متألقًا، ضرب به المرأة العجوز ضربةً واحدةً، لتستحيل كومةً من الرماد الذي تصاعد منه بخارٌ لحظيٌّ داكن.

ليندفع بعدها الملثَم في الاتجاه الذي سلكه البدين، لتدوّي بعدها صرخةٌ رهيبةٌ رجّت قلب (مجدي) بين ضلوعه، وجعلته يرتجف كورقةٍ في مهبّ الريح، محاولا استيعاب كل هذا الجنون!

وقبل أن يفرَّ هاربًا، شعر بمن يقبض على كتفه من الخلف في قوّةٍ، فالتفت مذعورًا، ليجد الملثَم أمامه، وهو يصرخ به في غضب:

- أخبرتك أن تتوجه إلى منزلك على الفور أيّها الأحمق،لماذا لم تنصت لي.. إنّ وجودك في هذا المكان سيتسبّب في كارثة.

وكأنّما أصاب عقله نوعا من الجمود المؤقت، ففغر فاه وظل صامتا لعدة ثوانٍ، قبل أن يصرخ في هلعٍ، وهو يقارن بين زيّ (صلاح) الأسود، وزي الملثَم الذي قتل المرأة العجوز:

- صلاح.. لماذا تقتل هؤلاء الأبرياء، وماذا ستفعل بي، إنّني صديقك؟.

وفي اللحظة التاليّة، شقّت عشرات الصواعق الهادرة صفحة السماء، وارتجَت الأرض بعنفٍ، وكأنّهم يتعرّضون لهزةٍ أرضيةٍ قويّة، فدفعه (صلاح) بقوةٍ ليسقط جانبًا، في نفس اللحظة التي دوّى فيها انفجارٌ

هائلٍ، وانهار أحد العقارات المكونَة من عدّة طوابقَ في قوّةٍ على قاطنيه الغافلين، لتتناثر الأتربة، وتغرق كلَ شيء، وتتسبّب في انعدام الرؤية..

يليها انهيار عقارٍ آخر ، وآخر، وآخر.

ووسط انفجارات الصواعق، وسحب الغبار والسعال تحرَك (مجدي) كالأعمى مبتعدًا عن المكان، غير مصدقٍ أنَ (صلاح) صديقه قاتل، وأنّه وراء كلّ هذه الأحداث الرهيبة، وأنّ هذا القاتل؛ هو من أنقذه من الدفن حيًا تحت أنقاض العقار المنهار!

الصدمة هذه المرة كانت أعنف، وجعلت الأفكار تتصادم في عقله، وهو يفكر في ذعر: هل أنا في كابوس أم أهلوس؟ إنني لا أتعاطى أيّ مكيفات، أم هذا بسبب الكشري الذي تناولته في مكتبي؟.

وعندما همَّ بالركض، لمح بطرف عينه ملثَمَينِ آخرَين، يقطعان عليه الطريق من الخلف، في نفس اللحظة التي ظهر فيها ثمانيةٌ من الشباب اندفعوا صوب المنازل المنهارة لنجدة المصابين..

وما حدث في اللحظات التاليَة، كان أبشع شيءٍ رآه (مجدي) في حياته..

فقد توقف الملثمون الثلاثةُ، وتبادلوا نظراتٍ ذات مغزي لم يفهمها، لينقضّوا بعدها في تناسقٍ مدهشٍ على الشباب الثمانيَة، ليمزقوا سبعةً منهم إربًا دون أدنى لحظةٍ من التردّد..

ففي الثواني الأولى افترشت جثث ثلاثةٌ من الشباب المصدومين الأرض، بعد أن فقدوا رؤوسهم بضرباتٍ سريعةٍ من سيفٍ بتّارٍ متألقٍ يحمله أحد الملثمين، قبل أن تهتزّ الرؤوس والجثث وتتحول إلى أكوامٍ متجاورةٍ من الرماد الذي تصاعد منه البخار الداكن في كثافة.

في حين اخترقت قبضة ملثم ثانٍ محاطةً بقفّازٍ معدنيٍ لامعٍ قلب أضخم الشباب حجمًا، وانتزعته من صدره لتلقيه أرضًا، ليتألّق جسد

الشابَ القتيل، وقلبه الذي يبعد عنه عدّة أمتارٍ، ليصير رمادًا هو الآخر في مشهدٍ مرعبٍ يليق بأفلام الرعب، لا قتالٍ في منطقةٍ شعبيّةٍ فقيرة، كان من الممكن أن ينتهي ببعض الصراخ والتدافع.

ومن سلاحٍ مجهولٍ يحمله الملثم الثالث انطلقت ثلاث قذائفَ فسفورية حوّلت ثلاثةً من الشباب الذين لم يمتلكوا الفرصة للدفاع عن أنفسهم إلى رمادٍ، أمام عيني (مجدي) المذعورتين، والشابُ الثامن الذي لم يدري لمَ تركه هؤلاء القتلة حيًا، فانطلق يركض وكأنّما تطارده كلّ شياطين العالم.

ليغمض (مجدي) عينيه منتظرا اللحظة التي سيفقد فيها رأسه، متخيّلا مقدار الألم الذي سيشعر به قبل تحوله لكومةٍ من الرماد..

ولكنّ ما حدث كان أكثر رعبًا..

فقد أحاط به الملثمون الثلاثة كإحاطة السوار بالمعصم لدرجة أنّه كان يشم تلك الرائحة المعدنيّة المنفرّة الصادرة عنهم..

وهمّ أن يصرخ طالبًا الرحمة، عندما سمع أزيزًا عنيفًا يرجُ رأسه، وحرارةً مرتفعةً تجتاح كلّ خليّةٍ من خلايا جسده..

ليشعر بعدها بجسده يتفكّك، وينطلق عبر شلالٍ عجيبٍ من الضوء لفترةٍ زمنيّةٍ بدت كالأبد، وعندما استسلم للشعور المخدّر الذي ظنّ أنّه الموت، انفجرت في رأسه قنبلةٌ من الألم..

ليجد نفسه بعدها ممدّدًا على أرضيةٍ باردة ، وجسده ينتفض من الإرهاق..

كان يرغب في أن ينهض، ولكنّ أطرافه خذلته، فقرّر الاستسلام للنوم، أو الموت، فلا فارق لديه.

لم يعرف كم مرّ عليه من الوقت، ولكنّه استيقظ في النهاية، وكلّ عظمةٍ في جسده تؤلمه بشكلٍ بشع..

تحسّس الأرض الباردة من حوله، ثمّ جلس وهو يشعر بالدوّار.

المكان من حوله مظلمٌ، فلا يرى حتى كفّه فيه، وبطريقةلا إرادية هتف:

- أين أنا؟

وقبل أن يستوعب ما حدث، أضاء مصباحٌ خافتٌ ما حوله، ليرجّ المكان صوتٌ مشتعلٌ من الغضب:

- اللّعنة عليك يا (مجدي)، بحماقتك كدت أن تتسبّب فيكارثةٍ، تفسد عملنا بالكامل.

زلزلته العبارة، فلم يعرف بمَ يجيب، فهتف في توترٍ:

- من أنت؟

وعندما لم يحصل على إجابةٍ، أمسك رأسه بين كفيّه،وأخذ يتنفس ببطءٍ، فمازال يشعر بالدوّار، وحرارةٌ عاليةٌ تجتاح جسده، وعطشٌ شديد، مع شعورٍ عارمٍ بعدم الراحة، فقرّر أن يرطب رأسه ببعض الماء، ليشعر بتشوّش في بصره، فراح يتخبّط في المكان حتى عثر على الحمام، الذي بدا لعينيه مختلفًا عن حمام شقّته، فأوعز الأمر إلى عدم تركيزه وعدم ارتدائه لنظارته التي لا يعرف أين اختفت..

الماء ينهمر على رأسه، فيمنحه شعوزا بالراحة، يرفع رأسه لينظر حوله وقطرات الماء تغرق ملابسه، بعد أن زال التشوّش عن عينيه، ليشهق في ذهول.

فهو لم يكن في حمام شقّته، بل ليس في شقّته من الأساس..

أما ما أثار رعبه، هو الوجه الذي ينظر له عبر المرآة..

فلم يكن وجهه..

وهذه المرة فقد كلّ أعصابه، وتهاوى على أرضيّة الحمام الباردة فاقدًا

للوعي مرّة أخرى.

فما يحدث فاق تحمله لأقصى درجة.

*****

رجل الأسرار

العام: ٦٠٣ قبل الميلاد

المكان: صحراء الحجاز

قبل عدّة أيامٍ من اقتحام الملثمين لمعبد الأقزام، وبقلب صحراء الحجاز، عثر (عابد) على الصندوق المعدنيّ المغلق وسط الرمال، فظنّ أنّه عثر على كنزٍ أخفاه أحد اللصوص أو قطّاعِ الطرق في ذلك المدقّ الجبليّ غير المطروق والقريب من طريق القوافل والرعاة في قلب الصحراء.

وكان هذا يفوق كلّ أحلامه كراعي إبلٍ لم تتضمّن أقصى طموحاته إلا خيمةً تضمّه مع محبوبته (دانية) وينجب منها قبيلةً من الأطفال يساعدونه في رعاية الإبل التي لا يمتلك منها واحدة...

ولكن (دانية) لم تكن قريبة منه كاسمها، بل بعيدةً كنجمٍ يمنح الضياء، ولا يعرف عشّاقه..

دانية أعظم أحلامه المستحيلة..

الصندوق الكبير جعله يحلم بالكنز الذي سيبدّل حياته ويجعله من علية القوم، ويجعله أهلًا لـ(دانية)..

وبكلّ لهفةٍ حفر الرمال من حوله، وأخرج الصندوق المعدنيّ الكبير المليءَ بالنقوش من قلب الرمال، فلاحظ أنّه ثقيلٌ بشكلٍ يوحي بوجود مقتنياتٍ كثيرةٍ بأعماقه.. فحدّث نفسه في سعادة باللّغة المعينية ذات اللهجة الليحانية التي كانت تميّز أهل الحجاز في هذه الفترة:

- لابدّ وأنّه يحتوي على كنزٍ عظيم.

تأمل الصندوق المغلق لبرهةٍ، وغرق في تفكيرٍ عميق، ثمّ عزم أمره.. فالأفضل أن يعود بمحتويات الصندوق، لا الصندوق نفسه.. إنّ هذا أقلّ إثارةً للشكوك، وسيّده الجشع، سيعتبره من ممتلكاته لأنّه وجده بالصدفة عندما تعثّرت به إحدى نوقه..

عليه أن يفتح هذا الصندوق المصمت الذي لا قفل له قبل غروب الشمس، وموعد عودته مع الإبل..

وبكلّ عزمٍ أخرج خنجره، وحاول إيلاجه بين الغطاء وحافّة الصندوق، وبعد محاولاتٍ عدّةٍ فشل في فتحه، فأطلق سبّة..

جربَ أن يهشّمه بالحجارة، ولكنّه أبى، فأطلق سبّة..

حاول هزّه برغم ثقل وزنه على أمل أن يفتح من تلقاء نفسه دون جدوى، فأطلق سبّة..

وفي النهاية لفّ عباءته المهترئة التي حال لونها من كثرة الاستعمال حول الصندوق، واستمات حتى استطاع إخراجه من بين قبضة الرمال، وسحبه نحو ناقته، وهو يفكّر، أنه عند وصوله إلى مضارب قومه، سيحتال على سيّده حتى لا يراه.

وربما يكون حسن الحظ؛ فلا يقابله عند عودته، وهذا أفضل له، لأنّه على استعداد أن يَقتُل قبل أن يشاركه أحدٌ كنزه..

ووجد نفسه يردّد دون وعي:

- نعم سأقتل كلّ من تسوّل له نفسه مشاركتي كنزيالثمين، ولو كان

سيّدي نفسه.

وساعتها شعر بنشوةٍ عظمى، وأنّه أقوى بوجود الصندوق في حوزته.

ولكنّ كلّ هذه المشاعر تلاشت فور أن حمل الصندوق الثقيل الذي كاد أن يهشّم فقرات ظهره، فوق ظهر راحلته بعد أن غمره العرق، وتسلّخت قبضتاه من أثر السحب، وثبّته بحبلٍ ليفيّ غليظ، وحثّها على النهوض..

ففي نفس اللحظة صدرت تكّةٌ مكتومة من الصندوق المعدنيّ، وتألّقت فجأةً بعض نقوشه تحت العباءة، وانضغط لأسفل بقوةٍ رهيبة، جعلت الناقة تطلق خوارًا متألمًا، وهي تبرك.

نظر (عابد) للناقة المتألمة بغير فهم، ثمّ لاحظ الوهج النابع من الصندوق، والذي على أثره اشتعلت العباءة الوحيدة التي يملكها، والحشية التي يضعها على ظهر الناقة..

وقبل أن يتحرك ليأتي بأيّ ردّ فعلٍ، سقط الصندوق المتوهج على الرمال الساكنة ليصهرها من شدّة حرارته، بعد أن عبر من خلال الناقة التي تفجّر سنمها وأحشاؤها وأطلقت خوارًا مرعبًا، وكأنّما يأبى الصندوق أن يغادر مكانه.

لم يصدّق (عابد) الهول الذي أصاب الناقة التي افترشت جثّتها المحترقة الرمال، واعتراه خوف رهيب، فما يحدث أمامه من أفعال الشياطين.

وقبل أن يهمّ بالركض، رأى على البعد سحابةً من الرمال والغبار، فشكّ في أنّ من يركضون نحوه هم كوكبةٌ من فرسان قبيلته الأشدّاء، فهم وحدهم من يحرصون على الخيلاء، وعلى الظهور بهذا المشهد المبهر.

لم يكن يدري سبب قدومهم إلى هذا المكان غير المطروق، فلا يمكن أن تنتقل أخبار عثوره على الكنز بهذه السرعة..

على كل حال إنها نجدةٌ أتت له من السماء، فلم يكن يعرف كيف

يتصرف مع صندوق الشياطين المشتعل هذا، وكيف سيصدق سيّده أنَ الشياطين أحرقت إحدى نوقه، دون شهودٍ آخرين!

ووقف مرتعدًا يتأمل سحابة الفرسان التي تقترب منه مثيرةً حولها هالةً رهيبةً من الرمال، ثم شهق وقبضةٌ باردةٌ تعتصر قلبه..

هناك شيءٌ مريبٌ يحيط بالقادمين، خاصةً مع حركة خيولهم غير الطبيعية، فلا يوجد حيوان على الأرض قادرٌ على الركض بمثل هذه السرعة.

وعندما اقتربوا منه أكثر، تراجع للخلف وتعثّر، وأعظم مخاوفه تتحقق..

إنّهم ليسوا بفرسان..

بل ليسوا بأيّ شيءٍ يمكن أن يمنحه صفةً أو تعريفًا...

إنّهم مخلوقاتٌ من رمال..

وبدون تفكيرٍ انطلق يركض بأقصى ما تمنحه له قدماه النحيلتان من سرعةٍ، تاركًا خلفه الصندوق المتألّق الملعون، وجثة الناقة المشتعلة، وخلفه تركض الإبل التي فزعت وتفرقت، وهو يردّد في رعبٍ:

- إنّها لعنة الصندوق.. لعنة الصندوق.

وأثناء ركضه، لمح بعينيه تبةً رمليةً متوسطة الارتفاع فاختبأ خلفها، وهو يشاهد في ذهولٍ مخلوقاتِ الرمالِ المفزعةِ وهي تندمج بشكل مذهلٍ وتتحول لشخصٍ يعرفه جيدًا، ويخشاه الجميع.

الكاهن (ابن ورد)..

وبكلّ خوف الدنيا، أخذ يرتجف، غير مصدّقٍ أنّه كاد أن يتورط مع (ابن ورد) أخبث سحرة عصره.

وبرغم هلعه تابع من مكمنه الهول الدائر أمامه..

فقد تقدَم (ابن ورد) من الصندوق دون تردُدٍ، ووقف أمامه دون وجل، وضوء الشمس ينعكس على صلعته اللامعة، وهو يفحصه بعينيه الحادتين، ويده تعبث في لحيته البيضاء الطويلة بحركةٍ لا إراديّةٍ، ثمَ التفت خلفه، وراح يحدّث الهواء بصوت جهوري قائلًا:

- إنّ الأمر كما توقعت، ولن يتم بسهولة.. فالصندوق مطلسم، وما يحميه هو شيءٌ يفوق ما لديّ من معرفة، فماذا أنت فاعل يا (أحدب)؟.

كاد (عابد) أن يجن، وهو يشاهد جزءًا من الهواء يتماوج ويظهر من خلاله أبشع مخلوقٍ رآه في حياته. بجسده قليل الشعر، وقرنيه العظيمين الملتفين على جانبي وجهه كقرون الجديان، وعينيه الحمراوين المشقوقتين طوليًا كأعين الثعابين، وحدبته التي أجبرت ظهره على التقوس.

وبلهجةٍ معينيّةٍ سليمةٍ أجابه هذا الشيطان بشع الخلقة:

- اتفاقنا كان أن أقودك إلى الصندوق فور عثوري عليه، وقد نفَذت وعدي.. ما تفعله بالصندوق أو يفعله بك، عائدٌ إليك، إنّ من صنعوا هذا الصندوق جبابرة، لا قبل لسحرك بهم، إلّا إذا..

وهنا قال (ابن ورد) في لهفة:

- إلّا إذا ماذا أيّها اللّعين؟.

صمت (الأحدب) للحظاتٍ قبل أن يقول في صرامة:

- حرِرْني أمنحك السر.

ظهر غضبٌ عنيفٌ على وجه (ابن ورد)، وتوعّد (الأحدب) بالويل والثبور وعظائم الأمور، ولكنّ الشيطان كان يعلم أنّها فرصته الوحيدة ليتحرّر من قيد العبوديّة الذي قيّده به هذا الكاهن الخبيث إلى الأبد، والفرص المماثلة لا تتكرّر مرتين..

وبرغم أن الكاهن لم يستسلم لمساومة المارد (الأحدب)، وأشعل من

حوله نارًا عظيمة جعلته يتألم ويصرخ وكأنَ روحه تنتزع من جسده بأبشع الطرق.. إلَا أنَ الأحدب ظلَ على عناده، ولم يرضخ..

وشاب شعر (عابد) من هول ما يرى..

وفي النهاية انتصر المارد، ورضخ الكاهن لمطلبه، وأقسم أن يحرّره لو صدق..

ومن مكمنه سمع (عابد) صوت المارد الأحدب، الذي راح صداه يتردّد بشكلٍ مفزعٍ عبر الصحراء، وهو يقول في غلّ:

- إنّ هذا صندوقٌ لا يمكن فتحه، ولتستخرج أسراره عليك أن تكون أنت رجل الأسرار نفسه.

شهق (ابن ورد) في فزع، فهو يعلم جيدًا معنى حديث (الأحدب) ومعنى أن يصبح رجل الأسرار، إنّها مجازفةٌ كبرى حتى لساحرٍ مخضرمٍ مثله، لذا فإنّه صرخ في (الأحدب)، بأشدّ درجات الغضب:

- هل تهزأ بي أيّها اللّعين، أقسم أن أحرقك بالحديد والنار،فلا يبقى لك ذكرٌ بعد الآن..

وقبل أن ينفّذ تهديده، مدّ (الأحدب) يده للكاهن وقال في توتّر:

- لا داعي للتسرع والعقاب يا (ابن ورد)، سأجعلك ترى بأمّ عينك ما خفي عنك، وساعتها يكون لك الاختيار، ولكنّي بعدها سأكون حرًا، وسيسقط عني عهد الولاء.

ظهرت ملامح التفكير العميق على وجه (ابن ورد)، فبتواصله المباشر مع ذلك المارد الذي يستعبده، فهو يمنحه فرصةً سانحةً لمسّه وربّما قتله..

صحيحٌ أنّه قد وشم جسده بالنار بوشم الثعبان الحامي، لكن عليه أن يكون أكثر حذرًا..

وفي النهاية تمّ التواصل بينهما عن طريق اللّمس، ورأى (ابن ورد)

بعينيه أثر سحر (عزران) الذي كلف الأحدب بتتبعه، والتعويذة الحامية التي تمنع كشف ما بداخل الصندوق، وتأكد بأن الطريقة الوحيدة التي سيحصل بها على السرّ الرهيب، هي أن يتحول هو إلى رجل الأسرار، وأن يصير وحده هو الخريطة الحية التي تقود إلى (عين الحياة).

أمّا ما أثار دهشته، وسبب له ارتباكًا عظيمًا، هو ما رآه عندما تتبّع أثر الصندوق، وتاريخ صناعته، مستخدمًا علومه السحريّة الفائقة !

فالصندوق الذي يحاول كشف سرّه، لا ينتمي إلى زمنٍ قديمٍ كما كان يعتقد.

فأثره يدلّ على أنه لن يُصنَع إلّا في زمنٍ قادم..

زمنٍ يفصله عنه قرونٌ لا حصر لها..

ولا يفهم كيف يمكن هذا؟

ولا كيف أتى إلى زمنه؟.

الأمور في عقله مرتبكة، ولكنّه تأكّد الآن من أنّ هذا الصندوق هو وسيلته الوحيدة للوصول إلى (عين الحياة)، والتي كشف له سرّ وجودها، الإله القديم (شاتو) ذو الأوجه المتعدّدة، عندما استطاع بمساعدة أحدِ سحرة الجنّ أن يتواصل معه.

و(شاتو) هو كيانٌ خارقٌ من الكيانات القديمة التي سكنت أحد أبعاد الأرض منذ زمنٍ سحيق، ويمتلك قدراتٍ لا نهائيّة حسب مقاييس البشر، والذي بسط نفوذه على مساحةٍ هائلةٍ من الأرض، وعاصر بنفسه العصور الجليديّة، واندثار الحضارة عدة مرات.

واستمر على تواصلٍ مع كهنة آخر قبيلةٍ دانت له بالولاء والعبادة، بسبب قدراته اللامحدودة التي جعلته في نظرهم في مصّاف الآلهة، فقد امتلك القدرة على معرفة موعد الأمطار والفيضان، وموعد انجاب النساء، كما أنه من علّمهم ترويض النار، ومَنَحهم الوسائل المختلفة

لهزيمة أعدائهم، حتى بدأ فترة كمونه، وإن ظلّ وجوده وأسرار استدعائه، هو ميراثهم الذي حرصوا أن يُتناقل عبر الأجيال.

وعندما تواصل (ابن ورد) مع (شاتو) منهيًا فترة كمونه الطويلة، مستخدمًا نوعًا معقدًا من التعاويذ المحرّمة، بدأت بينهم أسوأ شراكةٍ في التاريخ، فقدّم له القربان الدموي المطلوب، ثلاث عشرةَ جاريةً عذراءَ من أعراقٍ مختلفة.

وطلب منه أن يمنحه سرَّ الخلود والشباب الذي أشيع أنّ هناك من توصّل له في العصور السابقة، فأخبره بطريقته المليئة بالألغاز عن (عين الحياة) والسبيل الشاقّ للوصول إليها، وكيف يمكن تتبّع أثرها، بعد أن وضع (عزران) أشدّ السحرة شرّا، وأكثرهم غموضًا بصمته عليها.

فجنّد العشراتِ من خدمه من الإنس والجنّ للعثور عليها، ووحده (الأحدب) الخبيث من أقتفى أثرها، وعثر على أقرب أثرٍ يقوده إليها بعد بحثٍ استمر لعقدين من الزمان.

وكان (ابن ورد) على استعدادٍ لتقديم المزيد والمزيد من القرابين والعطايا للكيان القديم، كي يصل لغايته.

فما يؤرق كلّ السحرة عبر العصور، هو أن تخونهم صحتهم، أو تهزمهم الشيخوخة، فينتقم منهم من سخّروهم لخدمتهم من قبائل الجنّ والشياطين والعلويين، تلك المخلوقات الكونيّة فائقة القدرة الذين يستعبدهم السحرة والمشعوذون بما امتلكوا من علومٍ استثنائيّةٍ ومعارف ضاربةٍ في القدم، تعود للماضي السحيق..

وكان (ابن ورد) قد بلغ من الكبر عتيًا، وإن لم يظهر هذا على هيئته.

وعندما أصبح هدفه الأوحد هو (عين الحياة)، كانت مسألة وقتٍ قبل أن يصل إليها، فلديه ميزةٌ عظيمةٌ لا يملكها غيره!

أنّه يعرف نوع السحر الذي وُصِمت به، فأثر السحر المحرّم لا يندثر،

طالما أنّ من يتتبّعه يمتلك علمه.

ولذلك كان (ابن ورد) على استعدادٍ تام لفعل أيّ شيءٍ للوصول إليها، مهما تكلّف من عناء وجهد. وهذا ما أجبره، برغم قلقه وتوتره على أن ينفّذ وعده لـ(الأحدب) ويحرّره من خدمته، فلديه من خدم الجنّ والشياطين، ما يكفي لإنفاذ كافّة أعماله..

صحيح أنّه لن يغفر للأحدب الخبيث تمرّده، ولكن لكلّ شيءٍ وقته، فقط عندما يصل للعين، ويمتلك بعدها كل الوقت والقوة..

وفور أن تحرّر (الأحدب) رجّت صيحته الصحراء،وجسده يتموّج ويثير خلفه عاصفةً من الرمال وهو يغادر المكان، بطريقةٍ جعلت قلب (عابد) يرتجّ في صدره، ولكنّ ما حدث تاليًا جعله على مشارف فقدان الوعي..

فقد وقف (ابن ورد) أمام الصندوق المتألّق، متجاهلًاالأدخنة الخانقة التي تتصاعد من جسد الناقة المحترق، والصهد الناتج عن الصندوق نفسه، وباعد بين قدميه، ثمّ بدأ يردّد ترنيمةً ثقيلةً بلغةٍ محرّمةٍ، جعلت كلّ شيءٍ يظلم من حوله، وهو يضع كفّيه على الصندوق ويقول بصوتٍ جهوري:

- يا سيّد الصحراء.. العهد.. العهد.. لبيتُ فأتيت.. لتأتي وتلبي.. باسم العهد الذي بيننا، أستدعي قوتك، لتؤازر قوتي.. وأستدعي سلطانك ليجبر ضعفي.. آن الأوان لتثبت ولاءك بعد أن أثبتت ولائي.

ثم تمتم بثلاث كلماتٍ مبهمةٍ ذات وقعٍ مقبض، لتحيط به دائرةٌ من نيرانٍ زرقاءَ مفزعة، تعلن بوضوح عن حضور (سيّد الصحراء) حاكم هذه المنطقة، وموافقته على مساعدته، إنفاذًا للعهد الشيطاني الذي أبرِم بينهما في وقتٍ سابق.

وما أن رأى (ابن ورد) الدائرة المستعرة بالنيران الزرقاء، حتى بدأ يحدّث الصندوق كأنّه شخصٌ حيٌّ قائلًا:

- ما كان لك.. أصبح لي.. لتفصح يا صندوق الأسرار عنأسرارك.. فلم تعد أسرارك.. وأصبحت أنا بما أمتلك من معرفةٍ وعهود.. رجل الأسرار..

ثمَ راح يتمتم بتمتماته الرهيبة.

التالي كان أعجب ما حدث في تلك الليلة المشؤومة، وأكثرها وحشيّة..

فقد صدرت عن الصندوق تكّةٌ مكتومة، واهتزّ للحظةٍ فأثار من حوله عاصفةً من الرمال، وعلى أحد جوانبه ظهرت لوحةٌ رقميةٌ لا يمكن أن تنتمي لهذا الزمن بأيّ حالٍ من الأحوال، وظهر عليها عدٌّ تنازليّ سريعٌ، فبدت كقنبلةٍ حديثةٍ على وشك الانفجار.

وما أن انتهى العدّ حتى انفتح الصندوق بدويٍّ هائلٍ كالانفجار، صانعًا موجة تضاغطٍ رهيبةٍ كادت أن تطيح بالكاهن (ابن ورد) لولا أن تقلصت حوله دائرة النيران الزرقاء التي صنعها (سيّد الصحراء)، واحتوت بداخلها كل آثار الانفجار، ليصرخ (ابن ورد) في رعب:

- اللّعنة، لا يجب أن يحدث هذا، إنّ هذا الصندوق لا يقود إلى العين، إنّه فخٌ لعينٌ لاقتناصي، لقد خدعني ذلك الأحدب اللعين!

وفي اللحظة التالية، انطلق من الصندوق ما يشبه سربًا من حشراتٍ فضيّةٍ مجهولةٍ ذات طنينٍ مرتفع، هاجمته واخترقت جسده في سرعةٍ مؤلمة.

ليتحول جسد (ابن ورد) إلى ما يشبه المومياء المحنّطة وليسقط من فوره على رمال الصحراء الساخنة، قبل أن يدوي في المكان صوت المارد الذي دعاه بسيّد الصحراء:

- ألف لعنةٍ.. أيّ سحرٍ هذا..

ليغادر بعدها المارد المكان بسرعةٍ رهيبةٍ، وفي أعماقه شعورٌ لم يجربه من قبل..

الفزع..

ليتلاشى الظلام، وتصفو السماء وتعود لطبيعتها، ويهبط حول مومياء (ابن ورد) أربعة خيوطٍ من الضوء السميك، تحوّلت دون مقدمات إلى أربعةٍ من الملثمين، الذين حملوا المومياء في حذر، وأرقدوها بعنايةٍ في الصندوق، الذي عاد لينغلق من جديد، محتويًا بداخله المومياء، ليرفع أحدهم يده نحو السماء، فيتألق الصندوق بضوءٍ رهيب يتبعه أربعةٌ من خيوط الضوء..

ليتلاشوا من المكان كما ظهروا، وبصحبتهم مومياء (ابن ورد) التي كانت عيناها تتحركان في رعبٍ هائل..

يدّل على أن الحشرات المجهولة قامت بتحنيطه حيًا..

ليسود الصمت تلك البقعة من الصحراء..

ولا يتبقّى في المكان إلّا بقايا الناقة المحترقة..

و(عابد) الذي أصابه الجنون!

من هول ما رأى..

*****

أثر الفراشة

العام: ٢٠٢١ م

المكان: غير معروف.

استعاد (مجدي) وعيه بشكلٍ تدريجيٍ، فنهض من رقدته ليجلس على أرضية الحمَام الباردة التي سقط عليها بعد فقدانه الوعي، مع شعورٍ غير مريح في معدته عزاه للجوع.

صحيح أنّ عقله صفا إلى حدٍّ كبير، ولكنّه مازال يشعر بالضياع..

وببطءٍ شديدٍ استعاد من ذاكرته كلَّ ما مرَّ بها من أحداثٍ قبل فقدانه الوعي، لتتفجَّر دهشته وذعره من جديد، ولتتوقَّف أفكاره عند نقطةٍ محدَّدة، فهبَّ واقفًا لينظرَ في مرآة الحمَّام التي ما زالت تسخر منه، وتظهر له وجه امرأةٍ شابَّةٍ مكتملة الأنوثة..

يتحسَّس جسده في وجلٍ، فيقلِّده خيالُ المرأة في المرآة بدقَّةٍ وتوقيتٍ مثاليَّين.

صدرٌ ناهدٌ قويٌ لا يمكن أن يمتلكه رجلٌ مهما كانت بدانته، وشعرٌ ناعمٌ قصير خدعه في البداية فلم ينتبه لحقيقته، وخصرٌ نحيل طالما سعى إليه دون جدوى..

إنَّه لا يتحسَّس جسده برغم شعوره بلمساته عليه!

لمع عقله ببعض الفهم فشهق من الصدمة.

فجسده كلَّ شيءٍ فيه يوحي أنَّه لامرأة.

حتى عندما رغب في افراغ مثانته، وجد أنَّه لن يمكنه أن يفعلها بالطريقة المعتادة للرجال، لأنَّه لم يعد يمتلك جسدًا رجوليًا حقيقيًا، بل جسد أنثى شابَّة متكامل الأنوثة، ربَّما لو قابلها في توقيتٍ آخر لهام بها حبًا..

وعلى الرغم من صدماته المتتالية، أطفأ نور الحمَّامبطريقة لا إرادية عوَّدته عليها فاتورة الكهرباء التي كانت ترهق ميزانيَّته، وميزانيَّة الجميع، وقرَّر أن يتفقَّد الشقَّة التي لم تكن شقَّةً هي الأخرى، بل مجرد غرفةٍ واسعةٍ فقيرةِ الأثاث، ملحقٌ بها دورة مياهٍ وثلاجةٌ مليئةٌ بعلب الأطعمة الجاهزة، أخرج إحداها بغير وعيٍ، ربَّما لجوعه الشديد..

فحص المكان كلَّه بحثا عن بابٍ، فلم يعثرْ على أيَّ أبواب..

الأمر يتعقَّد أكثر، فبعد كلِّ أحداث الليلة السابقة الجنونية، أصبح سجين جسد فتاةٍ مجهولةٍ، وبداخل سجنٍ آخر بلا أبواب..

إنَه يهذي .. لا شيء ممَا حوله يفسر كلَ هذا الجنون..

شعر بالمزيد من الضياع، وهو يضع علبة الطعام التي مازال يقبض عليها جانبًا، متسائلًا: هل هذه الأوهام،أعراضٌ جانبيةٌ ناتجةٌ عن أدوية الاكتئاب التي بدأ تعاطيها بعد انفصاله عن زوجته، التي بات يفتقد وجودها بشكلٍ كبير..

كم كانت طيِبةً هذه المرأة، ولكنَه برغم هذا عجز عن حبها، وها هو في محنته لا يبحث إلَا عنها، ومازال يتساءل هل فعل الشيء الصحيح؟

شعر بخفَة الجسد الانثوي الذي يتلبَسه، واستمتع بحركاته الرشيقة، بعد أن أرهقته الدهون والشحوم التي كانت تحتَل جسده القديم، والذي يفتقده بشدَة، فوجوده في هذا الجسد يفقده إحساسه برجولته، ولا يظنُ أنَه سيتأقلم معه مهما حدث...

تحركت معدته، فمدَّ يده صوب علبة الطعام، وفضَها، ثمَ هتف مندهشًا:

- أيُ طعامٍ هذا؟

فبداخل العلبة كانت هناك قنينة ماءٍ لا تكفي طفلًاصغيرًا، وعدَة أصابعَ من مادَةٍ رماديَةٍ غير مشجِعةٍ، وبعض كبسولاتٍ لن يضعها في فمه مهما حدث، فربما هي نوعٌ من الأدوية تخصُ صاحبة الجسد الذي تسكنه روحه .

حاول البحث في الثلَاجة عن طعامٍ حقيقيٍ فلم يجد،فقرَر الاكتفاء مؤقتًا بالماء القليل..

فتح قنينة الماء، وارتشف منها بحذرٍ، ليشعر فور وصول السائل لمعدته، بالارتواء، ونشاطٍ كبيرٍ يدِب في أوصاله.. فللسائل مذاقُ الماء، إلَا أنَ مفعوله كالعقاقير المنشِطة، وهذا دفعه ليتناول أحد الأصابع الرمادية ليقضم منها قضمةً صغيرة، ليهتف في حماس:

- ما هذه الروعة، إنه طعامٌ من الجنة.

ولم ينتبه إلّا وقد أجهز على جميع الأصابع الرماديّة،وتحاشى الكبسولات وإن كان في شغفٍ لتجربتها، متخذًا جانب الحذر..

وشجّعه النشاط الذي دبّ في أوصاله على فحص المكان بدقّةٍ، فتأكّد له الأمر..

إنّ المكان عبارةٌ عن زنزانةٍ مغلقةٍ بلا أبواب.

فحص الأرضيات، وطرقَ على الجدران بحثًا عن بابٍ سريّ، دون جدوى.

وأثناء تفحّصه لسقف الغرفة، وقع بصره على الحمّام، كان متأكدًا أنّه أطفأ أنواره عندما غادره! فمن أشعله؟

هبّ من مكانه، وذهب إليه محاذرا أن يفاجئه أيّ شخصٍ مختبئٍ قد يرغب في إيذائه، أو ما هو أسوأ، ليجد الحمّام فارغًا، وعلى مرآته، رسالةٌ مقتضبةٌ مكتوبةٌ بحروفٍ مضيئة :

- تحلّ بالصبر، وسيتمُ التواصل قريبًا.

منحته الرسالة بعض الأمل والهدوء النفسي، فطالما هناك وسيلةٌ للتواصل، فهذا يعني أنّ هناك من يراقبه، أو من سيخرجه من هذه الزنزانة الكئيبة، ويخبره عن سبب احتجازه في هذا المكان المريب.

وبكلّ حماسٍ قام بالنقر على المرآة، فلم يهدِه عقله لطريقةٍ أخرى يقوم بها بالردّ على الرسالة، فمحيت الرسالة السابقة، وكُتب بدلًا منها:

- ماذا تريد؟

كان يرغب بالفعل في مغادرة هذه الزنزانة التي تقيّدحريته، ولكنّه وجدها إجابةً سخيفة، فعليه أن يستغل الموقف للحصول على أجوبةٍ لما يثقله من تساؤلات، فهتف بأول اسم جاء في ذهنه، والذي بدأت

عنده كلَ هذه الأحداث غير الطبيعية:

-أرغب في لقاء (صلاح عبد الستار).

مُحيت الرسالة وكتب بدلا منها كلمةً واحدة:

- قريبًا..

ثمَ أعتمت المرآة، فجزَ على أسنانه من الغيظ، وهويتساءل في غضبٍ: لماذا يفعل (صلاح) كلَ هذا، لماذا أقدم على اختطافه، وحبسه في هذا المكان المريب؟

ثم تجمَد في مكانه عندما دوَت الفكرة المخيفة في عقله..

(صلاح) قادرٌ بالفعل على اختطافه وحبسه في هذهالزنزانة المغلقة.. فالنقود قادرةٌ على استئجار الرجال المتخصَصين القادرين على تنفيذ هذا الأمر بدقَةٍ وكفاءةٍ ولديه منها ما يكفيه هو وأحفاده، ولكن كيف استطاع نقل روحه لجسد تلك المرأة؟.

هل جعله فأر تجاربٍ لأحد تجاربه الملعونة؟ وهل هناك من هو قادرٌ بالفعل على نقل روحٍ أو وعي شخصٍ من جسد إلى جسد ؟

لقد شاهد أحد الأفلام الأجنبيَة المغرقة في الخيال تتناول نفس الفكرة، ولكنَ الأفلام شيء والواقع شيءٌ آخر..

فهل يعتقد (صلاح) أنه سيرضخ له أو يغفر له فعلته؟

ثم فكَر في هلع ماذا سيفعل طفلاه الآن، ومن سينفق عليهم وأمهم ربَة منزلٍ لا تملك أيَ مصدرٍ للدخل؟

إنَه سيقتل (صلاح) لو لم يُعِد له جسده، وحياته السابقة..

كم يتوق لتلك الحياة التي كان يرفضها بعد محنته هذه.

إنَ الانسان لا يملأ عينه إلا التراب حقًا!

عاد بعدها ليجلس فوق أحد المقاعد الوثيرة، وهو يتلفَت حوله في توترٍ، يخالجه شعور الفأر في المصيدة، والذي تراقب كلَ خلجاته عيونٌ لا تنظر له بنظرةٍ أكبر من حيوان تجارب.

مضى الوقت ثقيلًا عليه، لدرجة أن دارت في عقلهبعض الأفكار الشيطانيَة الخاصَة بالجسد الذي يسكنه، ولكنَه أنف أن يعبث في جسد امرأةٍ غريبةٍ قد تكون هي الأخرى ضحيةً لأفعال (صلاح) الدنيئة، فعاد ليستكين فوق الفراش، واستعاذ بالله من شيطانه الرجيم.

شعر بالملل والوقت يمضي عليه دون أن يفعل شيئًا، ففكَر: لو أنَ هناك بعض الكتب، لعاد لهوايته القديمة التي وأدها الزواج والمسؤولية، ثم قرَر الاستسلام للنوم، عندما لفت نظره توهُج مرآة الحمَام التي فقدت إعتامها، وتراصَت فوقها بعض الكلمات، التي قرأها على عجل:

- أنا هنا.

وعلى الفور صرخ (مجدي) باسم (صلاح) وهو ينعته بأقذع الألفاظ، متقزِزا في نفس الوقت من الصوت الأنثويَ الناعم الذي يخرج من بين شفتيه، فرآه يتجسَد أمام عينيه من العدم، بنفس ملابسه السوداء التي رآه بها في الليلة السابقة، فهتف في رعب :

- هل أصبحت الآن مشعوذًا، وتمارس سحرك الأسود على صديقك، لقد كدت أصاب بالخبال بسببك أيَها الوغد؟.

أشار (صلاح) إلى أحد المقاعد، وقال بصرامةٍ، وعيناه تشتعلان بغضبٍ ناريٍ مخيف:

- اجلس يا (مجدي)، فالوقت لا يسمح بهذه المهاترات.

كانت لهجة (صلاح) قاطعةً وصارمة، فأجبرت مجدي على الجلوس فوق أحد المقاعد التي احتوت جسده في حاشيتها المريحة، وهو يقولُ في توتر:

- ها أنا جلست، فهل لديك تفسيرٌ مقنعٌ لكلّ هذا الجنون الدائر، ألن تتوقف عن مقالبك السخيفة هذه؟

ردّ عليه (صلاح) بجديّة:

- الأمر خطيرٌ وليس مجرد مقلبٍ أو لعبةٍ حمقاء يقوم بها أحد الأثرياء كما تظن، ولو أنصتَّ لي دون محاولة استخدام ذكائك المحدود لعلمت كلّ شيء.

كتم مجدي غيظه، فهو في حاجةٍ ماسّةٍ لأجوبةٍ حاسمةٍ لكلّ التساؤلات التي تتصارع في عقله.

والأهمُّ أن يعرف مصيره بعد تلك الليلة الدمويّة التي عاصرها، فهزَّ رأسه أن أكمل، فاستطرد (صلاح) قائلًا:

- إنّ العالم يمرُّ بمحنةٍ عظيمةٍ، ونحن نحاول إنقاذه، ووجودك فاقم من الوضع بشكلٍ غير متوقعٍ.

اجتاح الضيق روح (مجدي) مع كلّ هذا الكلام الملغز، ومحاولة(صلاح) خلق وضعٍ كارثيٍ، يظهره أمامه بمظهر المنقذ الأسطوري، فهتف في نفاذ صبرٍ، وقد ضاقت روحه بما يسمع:

- بالله عليك يا (صلاح) لقد تعبت، كفَّ عن مقدّماتك التي لا طائل من ورائها، وأخبرني مباشرةً بما يحدث! وهل سيعود لي جسدي وحياتي السابقة؟

وبعد فترةٍ من الصمت أجاب (صلاح)، بطريقته الباردة:

- لا أنا ولا غيري قادرين على إعادتك إلى جسدك، أو حياتك السابقة، فليس من المفترض أن يكون لك أيّ وجودٍ أو حياةٍ من الأساس، فأنت مجرد نبتٍ شيطانيٍ، ظهر فجأةً في هذا الخطّ الزمني البديل، وقلب موازينه.

لقد تشككنا في البداية من أنّك عنصرٌ مدسوس في هذا المسار الزمني

لأغراضٍ تجسسيه أو تخريبية؛ نظرًا لكمونك وممارستك حياتك بشكلٍ طبيعي دون أيّ نشاطٍ معادٍ حقيقي.

ومع استمرار مراقبتنا لك اكتشفنا الكارثة، أنت شخصٌ نبت من العدم، بلا ماضٍ أو جذورٍ، ووجودك بدأ سلسلةً من الأحداث أثرت على مصائر الآلاف من البشر، فغيّرت سير الأحداث في هذا العالم كلّه، وحتى نصل لسرّ وجودك، فأنت خطرٌ كارثيّ يهدّد الحياة نفسها، ولابدّ من احتوائه.

أنصت (مجدي) وغضبه يتصاعد إلى حديث (صلاح) الذي مازال يحاول إقناعه بهرائه العلميّ غير المقبول، ويمنح شخصه البائس من الخطورة والأهميّة ما يجعله يقتنع أنّ كل ما يدور حوله مجرّد عبث..

فحديثه الجنونيّ، ينفي عنه كلّ ما مرّ به في حياته من نجاحاتٍ واحباطاتٍ، وذكرياتٍ تمتلئ بها ذاكرته.

وينفي وجود أطفاله وزوجته السابقة..

وكذلك ينفي صداقتهما..

كلّ هذا أثار أعصاب (مجدي) لأقصى مدىً، وجعله يتهوّر، ويندفع نحوه محاولا الاشتباك معه، ولكمه لكمةً قويّةً يفرغ فيها غضبه وتوتّره، ويعيد إليه عقله ويوقف هذه المهزلة ثقيلة الدم..

ولكنّ لكمته أصابت الهواء وتجاوزته، وكادت تفقده توازنه، ليعود (مجدي) ليزوم في ثورةٍ، وهو يرمق صورة (صلاح) الهولوجرامية المتقنة التي تشوشت للحظةٍ وعادت لسيرتها الأولى، ليتأكد أنّ الأمر كلّه مجرّد ألعابٍ تكنولوجيّةٍ حديثةٍ لا علاقة لها بالسحر كما اعتقد في البداية، فعاد ليجلس في مكانه، وهو يصرخ غاضبا:

- اللّعنة على سخافتك أيّها الحقير.. توقف عن حديثالمخبولين هذا، وأخبرني إن كنت عاجزًا عن إعادتي لهيئتي، أو لحياتي السابقة وزوجتي، وأطفالي، فلماذا أخضعتني لهذه التجارب الملعونة من الأساس؟ ثمّ من أين أتى لعقلك الفارغ الذي كان منغمسًا في اللهو

والملذّاتِ ومطاردة الفتيات كالخنزير الذي لا يهوى اللهو إلا في القذارة، مثل هذه الأفكار الجهنميَّة، ولماذا تهدر عليها أموالك؟

تأمله (صلاح) للحظاتِ ثم قال بنفس بروده السابق:

- مهما بلغ خيالك من جموحٍ، فلن يصل إلى عصب الحقيقة، الموضوع أغرب وأخطر مما تتوقع، وكي تفهمه ستحتاج لوقتٍ وسعةِ أفقٍ متناهيان.. هلمَّ أخبرني، ما هي معلوماتك عن (عين الحياة)؟ إنَّ معلوماتي عنك أنك قارئٌ مخضرمٌ، وقصَّة هذه العين لا بد وأنَّها قد مرّت عليك حتمًا، فقد كتب عنها العديد من الكتَّاب المهتمِّين بالخوارق والغرائب والأساطير.

للوهلة الأولى أحسَّ (مجدي) أنه يحاور شخصًا مخبولاً، مستنكرًا أن يحدّثه عن جسده الذي فقده، وحياته التي يرغب في استعادتها، وأطفاله الذين يرغب في رؤيتهم، فيحدّثه عن أسطورة عين ماءٍ قديمةٍ عفا عليها الزمن ولم تعد متداولةً على مواقع الانترنت إلَا على سبيل التسلية، وجمع المشاهدات، ممّا جعله يهتف في غضب:

- أما زلت مصرًّا على السخرية مني يا (صلاح)، ما علاقة كلِّ ما حدث بأسطورةٍ قديمةٍ لعينة؟! لا تحاول إيهامي بأنَّ ماء العين وحده هو القادر على إعادتي لحالتي الطبيعيَّة، نحن لسنا في إحدى قصص ألف ليلةٍ وليلة، كفاك عبثا وأنهِ هذه اللّعبة القذرة التي تمارسها على صديق طفولتك، إن كانت الصداقة تعني لك أيَّ شيء.

صمت (صلاح) لبعض الوقت ثمَّ قال في هدوء:

- أعلم أنك غاضبٌ ومرتبكٌ، وأنه لا يمكن إقناعك بأنّي لست (صلاح) الذي تعرفه، بل شخصٌ آخر قادمٌ من مستقبلٍ مظلمٍ لا يتمنى أن يراه بشريٌّ قطّ يدعى (باهر) وبأنّي استخدمت تقنيَّةً مستقبليَّةً للتنكُّر بشكل صديق طفولتك، في محاولةٍ مني لإبعادك عن إحدى النقاط الحرجة، التي أوشكت على التسبب في صدعٍ عنيفٍ في مجرى الزمن، وبأنّه لم يكن مقدرًا لك أن تُخلَقَ في هذا الزمن أو غيره، وبأنّك أصبحت جزءًا

من معركةٍ كونيةٍ رهيبةٍ تدور رحاها في كواليس هذا العالم منذ أمدٍ بعيد، و..

وهنا قاطعه (مجدي) في نفاذ صبر:

-ألن تتوقف عن مسرحيتك التافهة هذه يا (صلاح)، لقد فاض بي الكيل، أيّ مستقبلٍ مظلمٍ هذا الذي تتحدث عنه، لقد انتهيت هنا، ولن أبقى دقيقةً واحدةً في هذا الجسد المقرف، أنا رجلٌ ولست امرأة! ودعك من جو المؤامرات، والقادمين من المستقبل، وقصص نهاية العالم هذه، إنها أفكارٌ بائدة استهلكتها هوليود في معظم أفلامها، وكان معظمها سخيفًا..

فلو سينتهي العالم لن يكون منقذه شخصًا مثلك، ولن يتسبب في دماره من هو مثلي.

وهنا ظهر الغضب على وجه (باهر) وهو يقول في حدّةٍ:

-لقد تساهلت معك كثيرا يا (مجدي)، فتماديت أنت فيرعونتك، إنّني (باهر) ولست (صلاح)، ولو لم تنصت لي جيدًا، ولا تصرّ على مقاطعتي، سأتركك في هذا الجبّ الفراغيّ إلى أن تقضي نحبك دون أن تدري السبب.

حاول (مجدي) أن يفك شفرة حديثه الملغز، فلم يفهممنه أيّ شيء، فاندفع متسائلًا:

- ما معنى أنني في جبّ فراغي، وما علاقة (عين الحياة) الأسطوريّة بكل هذا الجنون، ولماذا تسفكون من أجلها كلّ هذه الدماء، وما علاقتي وعلاقتك بها، فلو لم تكن مجرد أسطورةٍ كما تحاول الايحاء لي، فما الضرر الذي سببته؟ وكيف نستطيع ايقاف هذا الضرر، أخبرني بالله عليك بحديثٍ مفهوم، فعقلي يكاد يجنّ من كلّ هذه الألغاز.

كان من الواضح أنّ (صلاح) الذي يصرُّ على أنه ليس صديقه، يفكّر بعمقٍ من تلك النظرة الشاردة التي تعكسها صورته الهولوجراميّة

شديدة الإتقان، وهذا جعل (مجدي) يحترم صمته رغمًا عنه، ويغرق في أفكاره المظلمة الخاصة، ولذلك انتفض (مجدي) في مكانه عندما بدأ صوته يدوي في المكان:

- الجبُ الفراغيُ هو آليَة انتقالٍ وسيطةٍ تمَ صنعها بآخرتكنولوجيا مستقبليَة كنّا نملكها بعد الغزو، لتحافظ على الثبات الخلويّ للبشر، ضمن مشروعنا السرّيّ للسفر عبر الزمن لمقاومة الغزاة.

ويوجد الجبُ الفراغيُ الذي تمَ تجهيزه ليناسب معيشةالبشر، في نقاطِ محوريَة تعترض سيال الزمن المتدفّق، وينعدم فيها الوقت ليصبح صفرًا، فيتوقَف تأثير الزمن على كلّ من يوجد بداخله، وينعدم تأثير من يوجد بداخله على الخطّ الزمنيّ الذي ينتمي إليه.

ونحن نستخدمه كملجأٍ آمنٍ لتلافي التغيرات المدمّرة التي تنشأ عند حدوث تموجَاتٍ زمنيَةٍ محدودةٍ، نتيجة تعديل سير أحد الأحداث المحوريَة في هذا الخطّ الزمنيّ، لنتحصَن فيه ونتلافى تأثيرها الزمني العاصف على بنيتنا البشريَة الهشّة.

وقد قمنا باحتجازك في أحدها، لكبح تأثير ظهورك العنيف على المستوى الفيزيائي والزمني، بعد تسببك في فوضىً عارمة، أوشكت على التسبّب في صدعٍ مرعبٍ في نسيج الزمكان.

وكلّ الدماء المسفوكة اضطرارنا، هي محاولةٌ منّا لإصلاح أخطاءٍ عديدةٍ نتجت عن ظهورك، وبدّلت في أحداثٍ مختلفةٍ عبر العالم، وأفسدت التوازن الذي كنّا نسعى إليه في هذا الخط الزمنيّ.

هز مجدي رأسه في يأس، ثم قال بصوت مرهق:

- سأسير معك في هرطقتك العلميَة هذه، وأفترض أنّي أفهم ومقتنعٌ بكلّ هذا الهراء، وكلّ مبرّراتك عن سفك الدماء، وعن قدرتك وقدرة رفاقك على التحكّم في الزمن، وخلق واقعٍ بديل في خطّ زمنيّ جديد غير الذي تحيا فيه، وأنّي ظهرت لكم كالعفريت في قلب الأحداث،

وتسبّب ظهوري في كوارثَ لا حصر لها، مما جعلكم تحتجزونني في هذا المكان المعزول الذي لا يمضي فيه الزمن.

ولكنّك لم تخبرني حتى هذه اللحظة، ما علاقة كلّ هذه الأحداث المختلّة، بأسطورة (عين الحياة)، وأقسم لك أنني لا أصدق نفسي وأنا أجاريك في كلّ هذا العبث، ولكنّني بحاجةٍ للفهم، فهلّا أسرعت قبل أن أجنَّ، واللّعنة على هذا الصوت الناعم المقرف.

لم يُجبه (باهر) على الفور، بل غاب صوته، وكأنّما تمّ قطع الاتصال الصوتيّ بينهما، ومن حركة وجه (باهر) الذي تبدّلت ملامحه لملامح شخصٍ آخرَ لا يشبه صديقه (صلاح) بأيِّ حالٍ من الأحوال، أدرك أنّه يتلقّى اتصالاً خارجيًا هامًا، اندمج معه بكلّ تركيزه، فغرق (مجدي) في أفكاره الخاصّة، مستدعيًا من أعماق ذاكرته كلّ معلومةٍ قرأها أو سمعها عن (عين الحياة).

ومع صفاء ذهنه نتيجة السائل المنشط، وجد المعلومات تتدفق إلى عقله دون جهد، فما يشاع عن (عين الحياة) أنها تمنح كلّ من يشرب منها الخلود، وأشهر من دارت حوله هذه الحكاية كان (الخضر) عليه السلام، والذي يقال أنه كان على رأس جيش ذو القرنين، الذي كان له صاحبٌ من الملائكة يقال له (رناقيل) فسأله: هل تعلم في الأرض عينًا يقال لها (عين الحياة) فدلّه عليها.

ثم جعل الخضر في مقدمة جيشه فاهتدى (الخضر)للعين، وشرب منها، وأنّه حيٌّ حتى زماننا هذا..

ولا أحد يدري إن كانت القصّة نفسها حقيقية، ولكنّ العين نفسها، وُجدَ ذكرٌ لها في كلّ الثقافات العالمية كتعبيرٍ عن حلم الإنسان بالخلود وبقاء الشباب الى الأبد.

فالرومان مثلاً كانوا يعتقدون أنّ (عين الحياة) توجد في الهند، وكان الهنود يعتقدون أنها في التبت، وهنود المكسيك يعتقدون أنّها في جزر

البهاما.

وحين اكتشف كولومبس جزر الكاريبي انتشرت شائعةً في أوروبا مفادها أنّ كولومبس اكتشف عين الحياة في الأراضي الجديدة.

وحين وصل المستكشفون الإسبان الى (البيرو) دُهشوا حين عرفوا أنّ الهنود الحمر يصدّقون بوجودها أيضًا، وحين سمع القائد (خوان بونس) أنّ هناك عينًا يطلق عليها هذا الاسم في فلوريدا ذهب إليها، ولكنّه وجدها ينبوعًا عاديًا، ما يزال يسمى باسمه، ويوجد حاليًا بمنتجع (سانت أوجستين).

وقطع أفكاره صوت (باهر) الذي قال في نفاذ صبر:

- إنّ (عين الحياة) حقيقية أيّها التعس، وكلّ الهول الدائر، بسببها.

زفر مجدي بقوةٍ، وقال في توتّر:

- لتكن حقيقيّةً أو غير حقيقيّةٍ، ما علاقتي أنا بها، أنا مجرد شخص بائسٍ فاشلٍ في حياته، لم يتمنّ الخلود قطّ، بل تمنى كثيرًا أن تنتهي حياته ليتخلّص من كل هذه الأعباء.

ثمّ لماذا هذه الطريقة المفزعة التي اتّبعتها لإحضاري إلى هنا، وهل هناك قطٌّ ضخمٌ متكلّمٌ أيضا، أم هي مجرد هلاوس نتيجة تلك التجربة الملعونة التي أخضعتني لها؟ وما طبيعة هذا السلاح الذي يحوّل البشر إلى رماد؟.

عادت الصورة الهولوجرامية الخاصّة بـ(باهر) لتتجهّم، ثم دوّى الصوت الممتلئ بالضيق في المكان:

- ما كلّ هذا العناد يا (مجدي)، لماذا لا تصدقني؟ أنت لم تخضع لأيّ تجارب من أيّ نوع، ووجودك نفسه لغزٌ علميٌّ عصيٌّ عن التفسير، والقطُّ لم يكن يتكلم، لو ركّزت في الصوت لوجدت أنّه صوتي أنا، وكان يصل إليك عن طريق جهاز الاتصال الفائق الموجود في الطوق المعدنيّ

الذي يحيط بعنق القطّ، الذي هو نفسه هو أحد أسلحة الجيش المهندسَة وراثيًا، والتي سيتمُ الاستعانة بها في المستقبل، والأشعة التي نستعملها في أسلحتنا، من نوعٍ خاص لم يكتشف في زمنك بعد، وهي تعمل عند ملامستها لأيَ كائنٍ حيٍ على زعزعة استقراره الخلوي، لتنسحق خلاياه في لحظات، وتحولَه إلى رماد لا يترك أيَ بصمةٍ أو أثرٍ زمنيٍ، وكأنَه لم يوجدوا من الأساس، فوجود بقايا أو جثثٍ قد تبدأ حدثًا زمنيًا يغيَر الواقع المفترض، وهو خطأ وقعنا فيه في بداية عملنا، لذا تمَ دعمنا من المستقبل بهذه الأسلحة التجريبيَة الحديثة التي نجحت نجاحًا باهرًا في تحقيق ما نصبوا إليه.

ولتعلم أنك لست أول الضحايا، ولن تكون آخرهم حتى نقضي على كلّ هذه الخروقات الزمنية، ونحن لسنا الأشرار في هذا الجانب من القصة.

وهنا لم يستطع (مجدي) الصمت فقاطعه قائلًا:

- ما زلت تتحدَث بالألغاز يا (صلاح)، دعك من كلّ هذا الهراء عن الزمن، والفيزياء، والهندسة الوراثيَة، لقد سئمت من كلّ هذه التخاريف، ولن أواصل معك لعبتك السخيفة هذه، ما الذي ورطتني، وورطت نفسك فيه؟

وعندما أجابه، تلاشت فكرة كونه (صلاح) تمامًا من رأسه.

وترسَخت في عقله فكرةٌ واحدة.

إنَ البشريَة تتعرض لأكبر محنةٍ في تاريخها.

و(باهر) يحمل على كاهله عبءًا مخيفًا..

*****

الاختراق

الظاهرة

العام: ٢٠٢١ م

المكان: القاهرة الجديدة.

- إنني هنا لسببٍ هام، وهو ما أجبرني على القدوم لمنزلك واختراق عزلتك يا سيد (لبيب)، فالظاهرة التي يتتبعها (القطاع) منذ ربع قرنٍ قد تكرّرت، والكثير من التقارير والمشاهدات التي تمّ رصدها، تدلّ على أنّها تكرّرت قبل قرنٍ كامل، وفي عدة بلدانٍ نائيةٍ وحضريةٍ عبر العالم، وهذا يعني أنّ دماءً كثيرةً ستسفك، وأنّ دمارًا هائلًا سيحدث، ولهذا أطلب مساعدتك.

قالها رجل طويلٌ، عريض المنكبين، له نظراتٌ غير مريحةٍ، موجّهًا حديثه نحو شخصٍ أربعينيٍ، مقرون الحاجبين، لديه ملامحُ وسيمةٌ حادّةٌ، وعينان لهما بريقٌ خاصٌ وشعرٌ فاحمٌ، وبنيةٌ رياضيّةٌ قويّة تميل إلى القِصَر.

فاعتدل ذلك الشخص في جلسته، وبدا عليه الاهتمام، وهو يبسط يده ليتناول منه الصور الباهتة التي تظهر خيطان مركّزان من الضوء يخترقان من السماء إلى الأرض، تأمّلها لبرهةٍ، قبل أن يقول ببطءٍ:

- عن أيّ ظاهرةٍ تتحدث يا سيد (رفيق) إنهما مجرد خيطان من الضوء، يمكن صنعهما بأرخص أنواع أقلام الليزر الموجودة في الأسواق، ولا يدلّان على شيءٍ، فما خطورتهما؟!

قُصّ عليّ القصة كاملة، دون إهمال أيّ تفاصيل، مهما كنت تعتقد في تفاهتها، ففي التفاصيل الصغيرة تكمن الحقائق، وأنت أهل من يعرف هذا.

ضاقت عينا (رفيق) للحظةٍ، وصمت كأنّه يفكّر، واندفع يقول في

حماس:

- اعذرني يا سيد (لبيب) فأنا من القليلين في هذا العالم الذين يعلمون حقيقتك الكاملة، وما أنت قادرٌ على فعله، فقد ترقّيتُ، وصرتُ من النخبة المسموح لها الاطّلاع على كافة الملفات السريّة التي تخصُّ (القطاع).

وقد قرأت ملفَّ إنجازاتك مرارًا، وخاصّةً تلك العملية العنيفة، التي قدتها ضدَّ (الجنجدور) تلك المخلوقات العابرة للأبعاد التي حاولت في غفلةٍ منّا تغيير بنية ومناخ الأرض تمهيدًا لغزوه، والذي مازلنا نعاني من آثاره مع تزحزح أحزمة المناخ، وتغير الطقس عبر العالم، وذوبان الكُتَل الجليديّة في القطبين، والعديد من الخسائر الاقتصادية التي كانت من مقدمات الأزمة العالمية الطاحنة التي تعاني منها دول العالم.

ذلك الحادث الذي على أثره قرّرت التضحية ببعض رفاقك لإنهائه، وكيف لم تسامح نفسك على أصحِّ قرارٍ كان يمكن اتخاذه في موقفك، فتقاعدت، وتركت الميدان برغم مآثرك فيه.

ظهر الضيق والحزن على وجه (لبيب)، عندما استعاد تلك الذكرى الرهيبة، ولكنّه لم يستمر لفترةٍ طويلةٍ، وهو ينصت لـ(رفيق) الذي كان يواصل بحديثه كشف المزيد من أسراره:

- إنّ ما دفعني للقدوم إليك يا سيد(لبيب)؛ هو الجانب السريُّ من شخصيّتك، فموقعي وطبيعة عملي لا تخفى عليك، وأهم جزءٍ فيه هو تنسيق المعلومات وعمل تقاريرَ مختصرةٍ ومركّزةٍ لمدير (القطاع)، فقد وجدت أنه لا يوجد شخصٌ مناسبٌ غيرك كي...

وهنا قاطعه (لبيب) في نفاد صبرٍ:

- كفَّ عن شرح ما يعلمه كلانا يا سيّد (رفيق)، وادخل إلى صلب الموضوع مباشرةً، فأنا وأنت ننتمي لنفس الجهة التي كنت أعمل بها، وأنت تدرك طبيعة عملي ككبيرِ المحققين الميدانيين في الجرائم

والأحداث الفوق طبيعية التي لا يمكن اسنادها لجهاز الشرطة العادي أو أيَ جهةٍ أمنيَةٍ أخرى.

كلّ بلاد العالم تمتلك هذا النوع من الأجهزة السريَة المتخصّصة، وأنت كنت منسقًا للمعلومات والتقارير في هذا الكيان السرّي، بل ونعتبرك جميعًا بنك معلومات متحرّك، كما أنَ لديك عقليّةً تحليليّةً منظمة بشكل نادر، ولولا تأكدي من نزاهتك، وبياض صحيفتك، لكنت الآن تحاكم بتهمة إفشاء أسرارٍ رسميّة.

ظهر الضيق على وجه (رفيق) من طريقة (لبيب) الجافة، وهو يسحب من حقيبته أحد الملفّات الورقيّة السميكة التي تحمل أوراقها شعار القطاع السرّيّ، وناولها لـ(لبيب) وهو يقول في لهفة:

- هنا توجد كافّة المعلومات التي قمت بجمعها عن الخطر العظيم الذي يهدّد عالمنا، عن (السفّاحين)، وسأقصُ عليك الأحداث بتواترها الزمنيّ كاملةً، فأنت من ترغب في التفاصيل، وأنا عاصرت بعضها بنفسي، والبعض الآخر هو ما تحتويه هذه التقارير.

وعند ذكر (السفّاحين) اعتدل السيّد (لبيب) في جلسته،وظهرت على ملامحه آثار الاهتمام والجدّية، وهو يقول في غضب:

- هل عاد هؤلاء المجرمون مجدّدًا؟

هزّ رفيق رأسه في هدوءٍ، وقال:

- وأبادوا (٣٤٣٣) روحًا في مصر وحدها، وأتوقع أن يكون هناك المزيد قريبًا .

صمت (لبيب) لبضع لحظات، وكأنّه يهضم ما سمع، وقد لمعت عيناه بنيران الغضب، ثم عاد يسأل (رفيق) في صرامة:

- إنّ عودة (السفّاحين) على أولويات القطاع منذ نشأته، ويتعاملون مع هذا الأمر بجديّةٍ كبيرة، وبرغم أنّي لم أعاصر ظهورهم، فأنا أدرك

خطرهم، فلماذا هذا التحرك المريب من جانبك، ما الذي يدور في الكواليس، ولا أعلم عنه شيئا؟.

تلفت (رفيق) حوله في توتُرٍ، ففهم (لبيب) ما يدور في خلده، وقال:

- إنَ المكان هنا آمنٌ بشكلٍ كاملٍ، تحدّث دون خوفٍ أو تردُد.

زفر (رفيق) في ارتياح، ثم قال بصوتٍ متوتّر:

- إنَ القطاع مخترقٌ يا سيّد (لبيب).

هبطت الكلمة على رأس (لبيب) كالصاعقة، فانتفض في مكانه هاتفًا:

- اللعنة.. ماذا تقول يا (رفيق)، ولماذا أخفيت الأمر عن رؤسائك ولم تتبع البروتوكولات المعمول بها في هذا الشأن؟ إنَ ما تفعله الآن خيانة عظمى، وتقصير رهيب.

أجابه رفيق بحزم :

- أنا لست خائنًا يا سيّد (لبيب)، فمستوى الاختراق هو ما دفعني لهذه المخاطرة غير المحسوبة، فلا تتعامل معي بمثل هذه الطريقة، ولا تجعلني أندم على اللجوء إليك.

شعر (لبيب) أنَ الصدمة قد جعلته يفقد أعصابه، وهو خطأ كبيرٌ لا يجب على محترفٍ مثله أن يقع فيه، لذلك عاد إلى مقعده، واستعاد هدوءه، وقال بصوتٍ مهتمٍ خالٍ من الاتّهام:

- حسنًا يا (رفيق)، لنتحدث بهدوء، ولتخبرني بكلّ ما جمعته من معلومات، ولكن قبلها أخبرني لأيَ مستوىً وصل الاختراق؟.

اكتسى وجه (رفيق) بالأهميّة وهو يقول:

- لأعلى مستوىً، الأمر شديد الخطورة، خاصّةً مع عودة (السفّاحين).

وبرغم توقّعِ (لبيب) للأمر، ولكنّه كان صادمًا أن يسمعه من بين شفتي رفيق، فـ(القطاع) برغم كونه أحدَ الأجهزة السياديّة المستحدثة فائقة

السريّة، إلا أنه درع الدولة الوحيد ضدّ الأخطار الخارقة للطبيعة والتي لا يمكن للعامّة أو أجهزة الأمن الأخرى استيعابها، خاصّةً مع غزو البشر للفضاء، وإعلانهم عن وجودهم بوسائلَ متعددةٍ، جعلتهم مطمعا لمخلوقاتٍ كونيّةٍ لا تعرف الرحمة أو التفاهم مع الأضعف منها.

ومعنى حدوث الاختراق، ووصوله إلى هذا المستوى غير المسبوق، أنّ الدولة فقدت درعها وقوّتها في مواجهة مثل هذه الاخطار. وأنّ ما يحمله إليه (رفيق) هو كارثةٌ عظمى، ستجبره أن يخرج من قوقعته ليذود عن وطنه وعالمه كما فعل دائما، فنداء الوطن أمانةٌ لا يستطيع خيانتها.

ولذلك وطوال ساعةٍ كاملةٍ، وبكلّ تركيزٍ أخذ ينصت لكلّ ما يقصّه عليه (رفيق) من شكوكٍ ومعلوماتٍ وتفاصيل.

وراجعه كثيرًا، في كل تلك الأحداث التي تمّ رصدها،عبر الأقمار الصناعيّة العسكريّة، وأقمار التجسّس السريّة التي تجوب العالم طوال الوقت، وتملكها دولٌ كثيرةٌ ولا تعلن عنها، والتي وقعت في شبرا، وفي تلك البلدة النائيّة الموجودة في صعيد مصر، وفي انديانا، وجنوب أفريقيا، والعديد من البلدان المختلفة عبر العالم، وأخذ عقله المنظّم يربطها بما لديه من معلوماتٍ سابقة، وأضاف إليها استنتاجات (رفيق) الخاصّة، وما وصل إليه بعقليّته التحليليّة الفذّة، ثمّ سأله سؤالا واحد:

- هل تعتقد أنّ الاختراق محليّ أم خارجي؟.

فأجاب رفيق في تردّدٍ:

- أعتقد أنّ الاختراق مزدوج، فـ(السفّاحين) لا يعملون وحدهم هذه المرّة، وهناك مزاعم عن قوىً خارقةٍ تتحرك من خلف الأبعاد تمّ رصد آثارها عبر الأثير، وإن كان لا يمكنني الجزم، أو أيّ من العلماء بحقيقة وجودها، وطبيعة التهديد الذي تمثله، ولكنّها معلومةٌ لا يمكن تجاهلها، فهذا ما تعلّمناه في عملنا.

وبرغم كمُ الصدماتِ التي تتوالى على عقل (لبيب) ، ولكنّ وجهه لم يكشف هذه المرّة عن مقدار غضبه، وهو يهتف في صرامةٍ:

- الأمر بالفعل شديد السوءِ والخطورة، وبرغم ماتحمله من معلوماتٍ وتفاصيل، ولكن علينا جمع المزيد منها.. فالمعلومات هي السلاح الوحيد والحاسم في كلّ المعارك، هل لديك إحداثيات الموقع الأخير الذي ظهر فيه السفّاحون في جنوب مصر؟.

لمعت عينا (رفيق) في ظفر، وهو يشير إلى الملف قائلا:

- الملف الذي أمامك به كل البيانات، وقد قمت بنسخها بنفسي يدويًا، كي لا يتمّ رصدي عن طريق آليّة النسخ والتعديل المراقبة بالذكاء الصناعيّ في القطاع، وأنا على استعدادٍ تامٌ لأن أذهب معك لآخر العالم، لنوقف هؤلاء الملاعين، ونستعيد القطاع من بين براثنهم..

تأمله (لبيب) في امتنان، ثمّ قال بصرامةٍ:

- إنك لن تذهب معي لأيّ مكانٍ يا (رفيق) فالمَيدان ليس ملعبك وله رجاله، وجودك بداخل القطاع أكثر فائدةً لنا من وجودك خارجه، كلّ ما عليك فعله أن تكون طوال الوقت على اطّلاعٍ كاملٍ بكافّة المستجدّاتِ، وتبلغني بها بشكلٍ مباشر، دون أن تستخدم أيّ وسيلةٍ تمكّنهم من كشفك أو تتبعك، فكل خطوةٍ يجب أن تكون محسوبةً، فمصير دولتنا، بل والعالم أجمع أصبح على المحك.

وهنا شملت (رفيق) الحماسة، فهتف في قوة:

- أنا تحت أمرك يا سيّد (لبيب) ، ولكنّك لن تستطيع أن تواجههم وحدك.

هزّ (لبيب) رأسه، قبل أن يقول ببطءٍ وبشكلٍ غامضٍ:

- لن أكون وحدي.

لم يفهم (رفيق) تلميحه، ولكنّ (لبيب) كان يدرك بشكل قاطعٍ، أنه قد

آنَ الأوان للاستعانة ببعض رفاقه القدامى الذين يثق بهم ثقةً عمياء، من نخبة مقاتلي القطاع السابقين.

إنها مهمةٌ غير رسميةٍ، سيعمل فيها بدون دعم القطاع، وربما ضدّه أيضا، إن صدقت شكوك (رفيق) التي ترقى بعد ما رآه في التقارير إلى كونها حقيقةً مرعبة.

إنّ العالم، في خطرٍ كبير، كشف عن نفسه دون أن يبالي برصده..

وعليه أن يتحرك.

ولذلك وفور أن غادر (رفيق) متخفيا، كما أتى متخفيا،قام بفتح هاتفه المحمول وضغط على أيقونةِ جروب ينتمي لأحد برامج التواصل الاجتماعيّ، الذي يقتصر استخدامه على الصينيين وحدهم، وكتب كلمةً وحيدة:

- الآن..

وعلى الفور شاهد ثلاث مشاهداتٍ للرسالة دون إجابة.. فابتسم للحظةٍ، ثمّ أرسل رسالةً أخرى تحتوي أوامره وتعليماته لهم بلغةٍ مشفَرةٍ، وأرفق معها إحداثياتِ موقعِ تلك البلدة النائيةِ، التي كانت آخر مكانٍ شوهد فيه السفّاحون.

ليتّجه بعدها نحو الحائط الشرقيّ لغرفته، ويضغط على جزءٍ خفيٍ منه، فانكشفت له خزانةُ أسلحةٍ سريّةٍ شديدة التطور، انتزع منها سلاحًا آليًا سريع الطلقات، وبعض القنابل اليدويّة شديدة التدمير، وتميمةً معدنيّةً خاصّة، أحاط بها عنقه وأخفاها أسفل قميصه، وبدأ يعد حقيبته الخاصّة..

وعندما انتهى منها، أغلقها في سرعةٍ، ثم ردّد بصوتٍ حاسمٍ:

- لتبدأ الحرب.

* * * * *

الزوهري

العام : ٢٠٢١ م

المكان: صعيد مصر.

ساد التوتّر ساحة البلدة، وأصابع رجالها المتحفّزة تتحرّك على أزندة أسلحتهم، ويكفي تحرُّكٌ واحدٌ خاطئٌ من (لبيب)، ليتحول جسده إلى مصفاةٍ مع كمِّ الأسلحةِ الموجهَةِ نحوه.

ولكنّ (لبيب) لم يبالِ بهم، ووجّه نظراته الحادّة نحو أقرب الرجال إليه، وكأنّه هو من يحمل السلاح لا العكس، وسأله بصرامة:

- أين المسؤول الحكوميّ عن هذا المكان؟

وقبل أن يجيبه الرجل الذي أصابته نظرات (لبيب) الحادة بمزيجٍ من التوتّر والرهبة، ارتفع صوت العمدة (فاضل) من أحد زوايا الساحة المكتظّة بعربات المهجّرين، وهو يقول في صرامةٍ أكبر:

- من أنت أيّها الغريب، وماذا تريد من المسؤول عن البلدة؟.

تأمّله (لبيب) للحظاتٍ، ثمّ كتم شهقته، وعقلُه يسترجع ملامح الوجه التي لم تتغير رغم مرور عشرِ سنواتٍ على آخر مرّةٍ قابل فيها صاحبها، ليقول بصوتٍ هادئٍ أخفى اندهاشه، وما تصطرع في عقله من أفكار:

- أنت.. لم أتوقع أن أراك هنا.

وعلى الرغم من تفاجؤِ كلّ من في المكان بحديثه، والذهول الذي اعترى وجه العمدة، إلّا أنّ العمدة تجاهل نظرات الجميع وردّ مبتسمًا:

- ولا أنا.. لقد نما إلى علمي أنك تركت القطاع.

وأشار لرجاله أن يبعدوا أسلحتهم عن الغريب، وهو يستدير ويوجّه حديثه إلى (لبيب) قائلًا بصوتٍ منخفضٍ، حرص ألّا يسمعه غيرهم:

- لن يصلح حديثنا هنا يا سيد (لبيب)، هلمَ معي إلى الدوار..

ووسط نظرات الدهشة من الجميع سارا سويًا يقطعان ساحة البلدة نحو الطريق المؤدي إلى الدوار كأصدقاءِ قدامى، ولم يفسد اللحظة إلّا صوت الشابُ المسلّح المسؤول عن حماية القافلة، والذي هتف في استنكارٍ:

- القافلةُ جاهزةٌ للرحيل يا عمدة.

استدار العمدة ليواجهه، وقد اتسعت عيناه في غضبٍ، ثمَ قال في غلظةِ تؤكّد سطوته ونفوذه:

- لن يرحل أحدٌ الآن يا (خالد)، كونوا على أهبة الاستعداد حتى أنهيَ حديثي مع الضيف الكريم..

ثمَ جذب (لبيب) من ذراعه، وأكمل السير وهو يقول في دهشةٍ:

- أنت بعد كلَ هذه السنوات.

أجاب (لبيب) دون أن ينظر نحوه:

- صَدِّقني يا سيد (فاضل)، أنا هنا في زيارةِ غير مرتبةِ أو رسمية، ولم أنسَ القاعدة التي تلمَح إليها، والتي تؤكد أنَ كلَ اللقاءات والأحداث من تصاريف القدر، والمصادفات مجرد ترتيب استثنائي منه.

وما أردت أن أوضحه لك، أنني جئت إلى بلدتك متتبعًا الأحداث و(السَفاحين)، ولم أتوقع أن أقابل أيًا من زمرتكم هنا، إنَه ترتيبٌ استثنائيٌ للقدر بالفعل.

هزَّ العمدة رأسه في فهمٍ، ولمعت عيناه بشكلٍ غيرمسبوق، ثمَ ساد الصمت بينهما حتى وصلا إلى الدوار، ودخلا معًا إلى غرفة العمدة الخاصَة التي أغلقها خلفه في احكام، وهو يقول بلهجةِ محمَلةِ بالاعتذار:

- كنت أتمنى أن أقوم معك بواجب الضيافة، ولكن كماترى نستعد

للرحيل من أجل بدايةٍ جديدة.

ردّ عليه (لبيب) في تفهُّمٍ:

- دعك من هذه الشكليات يا سيّد (فاضل) فأنا هنا لشيءٍ أخطر، وبحاجةٍ ماسّةٍ لما ينقصني من معلومات، فحتى الإدارة التي كنت أنتمي إليها لا تملك معلوماتٍ كافيةٍ عن هؤلاء (السفّاحين)، وأعتقد أنّك تملك هذه المعلومات، ولكن أخبرني أولًا، كم عمرك الآن يا سيّد (فاضل)؟!.

ابتسم العمدة لتلميحه، وقال:

- أربعمائة وثلاثة وثلاثون عامًا، أيّها الزوهري.

بادله (لبيب) الابتسامة، وهو يقول:

- هذا يعني أنّك عاصرت ظهورهم منذ البداية!.

هزّ العمدة رأسه في ايجابٍ، وأجاب:

- بالطبع، وعليك أن تتأكد من أن وجودنا على هذهالأرض؛ هو سبب ظهور (السفّاحين)، أنت تعلم أنّنا أبناء (عين الحياة)، وأنّ وجودنا يصنّف عند البعض خرقًا لكلّ نواميس الطبيعة والزمن..

فـ(عين الحياة) هي ميراث الأربعة الأوائل، واستطاعواالاحتفاظ بكمٍّ كبيرٍ من مائها الذي يمنح العمر الطويل الذي يشبه الخلود، والذي اقتسموه معنا نحن الأحفاد، قبل أن يختفوا ذلك الاختفاء الغامض، مع كبيرهم (عزران)، دون أن يتركوا وسيلةً واحدةً تمكّننا من معرفة موقعهم أو موقعها.

ورغم البحث المستميت من أفراد زمرتي عن العين عبر القرون، لم يصل إليها أحد.

ولا تنسى أنّكم أيّها (الزوهريون)، رفضتم بقدراتكم الخاصّة مساعدتنا في العثور عليها، لأنّكم تعتبرونها سلاحًا لا يمكن السيطرة عليه، وأنّه لو

تدخّل القطاع، لكانت الحروب بيننا مشتعلة.

وهنا ابتسم (لبيب) ثمّ قال بلهجة من لا يرغب في الدخول في جدالٍ لا طائل من ورائه:

- وقد صحّت توقعاتنا يا سيّد (فاضل)، فالإنسان لم يخلق ليحوز القوّة المطلقة، أو الخلود، ومتى حصل على بعضها تجبّر، وقد أقسم أفراد جماعتي ألّا نعين طاغيةً وألّا نصنعه.

لم يبادله (فاضل) الابتسام هذه المرّة، فقط هزّ رأسه مؤمّنًا على كلماته وقال في أسىً:

- كان عندكم بُعد نظرٍ بالفعل.

وصمت وتجهّم وكأنّه يستعيد ذكرى سيئة.

ممّا دفع (لبيب) بدوره للصمت، وهو يستعيد بعض ذكرياته مع أفراد جماعته من (الزوهريين)، أحد أسلحة القطاع السريّة، والذي شرُف بقيادتها لفترةٍ من الزمن.

والذين ساعدوا (القطاع) في الوصول إلى أسرارٍ مدفونةٍ أخفاها القدماء والفراعنة عمّن جاؤوا بعدهم، بقدراتهم الخارقة على تتبّع أثر الكنوز والثروات، والأسرار المدفونة، قبل أن يتمّ حلّ هذا القسم، بعد أن قرّروا الحياة كأفرادٍ طبيعيين، وفضّلوا أن يتم نسيانهم بعد أن تحوّلت قدراتهم الخاصّة إلى نقمة، فجعلتهم مطمعًا لمخلوقات العالمين من إنسٍ وجن.

صحيح أنّ هذه القدرات قد أهّلته في البداية للالتحاق بـ(القطاع)، قبل أن تظهر مهارته الخاصّة كمحقّقٍ ميدانيّ، ويصبح أهمّ رجاله.

وأنّهم برغم انتهاء عمل رفاقه من الزوهريين مع القطاع إلّا أنّ صلتهم به لم تنقطع، واستعان بهم في العديد من القضايا التي امتازت بكونها خارقةً للطبيعة، حتى استقال هو من القطاع، وباعدتهم الأيام أكثر.

فهو ورفاقه من الزوهريين تربطهم صلةٌ خاصَة، لم تكن لتنشأ بشكلٍ طبيعيّ أبدًا، لولا أن تتبَعهم رجال أحدُ المشعوذين المصريين شديدي الثراء الذي كان يعتنق الكابالا الباطنيَة اليهودية، وقاموا باختطافهم في طفولتهم من أسرهم من محافظاتٍ مختلفة، والذي أخضعهم لطقوسٍ شيطانيَةٍ جماعية جعلتهم جميعًا على تواصلٍ دائمٍ، وخاضعين بشكلٍ تامٍّ لسيطرته.

فالزوهريون هم حلقة الوصل بين عالم الإنس وعالم الجن ولذلك يسعى وراءهم المشعوذون والسحرة ويحاولون الوصول إليهم بمختلف الطرق، فلهم القدرة علي الوساطة الروحية، واستشعار الأحداث قبل وقوعها، والتواصل مع العالم الروحاني الناريّ، أي الجن، وتحضير سادته، كما تتمُّ الاستعانة بهم لمعرفة أماكن الآثار والكنوز المدفونة في باطن الأرض.

لقد توقعوا بعد أن حرَرهم القطاع من قبضة المشعوذ الذي استنزف دماءهم، وأذاقهم صنوف العذاب، أن تزول قدراتهم هذه كما هو شائع فيعودون لحياتهم الطبيعية، ولكنَها على العكس تعاظمت لدى بعضهم، لتدحض فكرة الطفل النوراني المبارك، والذي تبهت قدراته عند البلوغ أو فور تجاوزه العاشرة من عمره.

ولأن (لبيب) يدرك جيدًا، أنَ سبب الرفض كان حتميًا، وأنَ الوقت مهمّ، لذلك فإنَه قرَر أن يدير دفَة الحديث قائلًا:

- إنَها مسائلَ قديمةٌ تمَ حسمها، ولا داعي لفتحها الآن يا سيَد (فاضل)، نحن الآن بصدد مواجهة عدوٍّ غامضٍ شديد الدمويَة، ولابدَّ من الاستفادة من كلَ ثانيةٍ، فالوقت عاملٌ مهمٌّ جدًا لمنع سقوط ضحايا جدد.

هزَّ العمدة (فاضل) رأسه، وقال:

- لديك كلَ الحقَّ في هذه النقطة يا سيَد (لبيب)، لِنَعُد لموضوعنا، فأنا موقنٌ من أن سبب ظهور هؤلاء السَفاحين في الوقت الحاضر، وخلال

القرون المنصرمة، هو عثور كبيرنا (عزران) على (عين الحياة)، وإنشاء زمرتنا.

وأنَ هدفهم غيرَ المعلن هو محونا من الوجود، ربمًا لمنعنا من التدخُل في مسار التاريخ البشريّ، الذي قد يعتبرونه تهديدًا متعاظمًا لمستقبل البشريّة، متناسين أنَ وجودنا قد يكون هو أصحُ ترتيبات القدر بالنسبة لها.

أدار (لبيب) المعلومات في رأسه، ثمَ تساءل في حيرةٍ:

- أهذه معلومات، أم مجرد استنتاجاتِ خاصّةِ بك؟

أجاب العمدة على الفور:

- بل هي استنتاجاتٌ محضة، ولكنَها ترقى لكونها حقائقَ، لقد منعنا البشريّةَ من خوض حروبٍ ضروس، وأنهينا بمجهودٍ رهيبٍ الحرب العالمية الثانية، والتي قُدّر إجماليّ عدد ضحاياها بأكثر من ستين مليون قتيل مثّلوا في ذلك الوقت أكثر من اثنان ونصف في المئة من إجماليّ تعداد السكان العالمي، ووضعنا البشريّة على الطريق الصحيح في أوقات حرجة، قبل أن يظهر السفّاحون ويبدؤوا في حصدنا.

الأمر لا يحتاج لذكاء خارقٍ، يا سيّد (لبيب) لنجد الرابط بيننا وبينهم، نحن أولًا وأخيرًا السبب في ظهورهم.

صمت (لبيب) لبرهة، لم يزعجه فيها (فاضل) حتى قال بصوتٍ متشكّكٍ:

- إنها نظريةٌ تستحق الدراسة بالفعل، ولكنّني غير مقتنعٍ بها، لو كانوا يعمدون إلى حصد أبناء (عين الحياة) والذي لا يتواجد منهم أكثر من أصابع اليدين في زمننا هذا، فلماذا أنت على قيد الحياة بعد أن حصدوا هذا العدد الرهيب من سكان بلدتك، ولماذا يسفكون الدماء بهذه الضراوة؟.

ظهر التفكير العميق على وجه (فاضل) الذي تحدَث بغير وعيٍ، وكأنما يحدَث نفسه:

- عندما ظهر السفَاحون قبل ثلاثمائة عام حصدوا نصفنامع استخدامهم عنصر المفاجأة، وفي كلّ ظهورٍ تالٍ لهم كانوا يطيحون بأحدنا.

إنهم يترصدوننا بشكلٍ خاصٍ، ولا أدرى لماذا يسفكون كلَ هذه الدماء، ولا يبالون برصدهم في هذا العصر بالذات؟، و...

عاد (لبيب) ليقاطعه قائلًا:

- في الأمر شيءٌ مريبٌ بالفعل، شيءٌ غير مفهوم، ربما ظهروا منذ ثلاثمائة عامٍ لسببٍ آخر غير وجودكم، ومعرفة السبب قد تكشف لنا الكثير..

مطّ (فاضل) شفتيه في حيرةٍ، وبان على ملامحه أثر التفكير العميق، وهو يقول في تردّدٍ:

- أنت تعرف أنّ (عين الحياة) لم تمنحنا العمر الطويل فقط يا سيد (لبيب)، بل منحت كلًا منًا قدراتٍ خاصّة ميّزته عن باقي البشر، وبرغم كونها لا ترقى لقدرات الأوائل، فإنّها كانت مفاجئةً لنا، وربّما أوحت لبعضنا أنّهم أصبحوا نصف آلهة.

فأوّلنا كان قادرًا على بثّ الحياة في الأراضي البوار.

والثاني كانت لديه القدرة على الانتقال الآنيّ أو اللحظيّ في الأماكن الخالية التي لا تحدّه فيها عوائق..

وثالثنا امتلك قدرةً هائلةً على التبصُر، فاستطعنا منععشرات الكوارث المحقّقة قبل أن تحيق بالبشرية، بعد أن دوَن في كتابه أحداثًا تعود للماضي السحيق، وتمتد لبداية الحضارة، كما دوَن أحداث خمسة قرونٍ مستقبليّةٍ قبل أن يحصدوه ويحرموننا من فيض معرفته، وهو الوحيد

الذي كان يعرف مكان كتاب (تحوت) وما يحتويه من علومٍ وفنونٍ سحريّة.

ورابعنا تمكّن من الطيران دون أجنحةٍ، وتحريك الأشياء عن بعد..

وخامسنا امتلك الرؤية الخارقة، فكان قادرًا علىالرؤية عبر عقول وعيون وأرواح الأشخاص، وإخضاعهم لسيطرته.

وهناك من كان قادرًا على استيعاب كافّة العلوم دونمجهود، وتطويعها لصناعة أسلحةٍ رهيبةٍ، لدرجة أنه أطلق على نفسه لقب (أريس) إله الحرب في الميثولوجيا الإغريقيّة.

وأكثرنا قوّةً من امتلك القدرة على القتل بمجرد ذكر اسم الضحيّة المقصودة، فأطلقنا عليه لقب (عزرائيل) ملك الموت.

وأخطرنا من امتلك قوّة الكلمة والصوت التي اكتشف سرّها الفراعنة، والتي كانت تخاطب المستوى الروحيّ للوجود، وتستحضر القوى الكونيّة (النيترو) لأنّها كانت تستخدم نفس لغتهم المقدّسة، والتي كانت تستحضر الطاقة الإلهيّة التي خُلقت بقوة الكلمة عند النشأة الأولى، بعد أن تمكّن من ترتيل الأسماء الحقيقيّة للأشياء التي أطلقتها الكائنات الكونيّة على الموجودات منذ الأزل.

لقد كنّا قادرين على حكم الكون كلّه، ولكنّ معظمنا آمن أنّ (عين الحياة) هبةٌ من الخالق للمصطفين على عكس الأوائل الذين اتخذوا طريق الشرّ والعنف، وقرّرنا أن نستغلّ ما منحته لنا من قدراتٍ في حماية البشر، لا استعبادهم و..

عاد (لبيب) ليقاطعه في فضول:

- وأنت يا سيّد (فاضل)، ماذا امتلكت من قدرات؟

صمت العمدة لبرهة ثم قال بتردّدٍ:

- أنا امتلكت المناعة يا سيّد (لبيب) فلا يمكن لأحدٍ في العالمين قتلي

قطّ مهما حاول، وربّما لهذا ما زلت أنا على قيد الحياة، برغم محاولات (السفّاحين) العديدة لاغتيالي.

ظهرت الدهشة على وجه (لبيب)، وهو يقول:

- وماذا يعني هذا؟

مطّ العمدة شفتيه ثم أجاب:

- معناه أنّني لن أموت إلّا حين يأذن لي خالقي، وأنّه لا يوجد سلاحٌ على وجه الأرض قادرٌ على ردعي، ملك الموت وحده من يمتلك هذه القدرة عندما يحين أجلي.

ظنّ (لبيب) أنّه سيكتفي بهذه العبارات التي لم تشرح أو توضّح الكثير، ولكنّ العمدة مطّ شفتيه، ثمّ ملأ صدره بالهواء، وأطلقه في زفيرٍ عميق، قبل أن يستطرد قائلا:

- الخلود كما ذكرت يا صديقي لم يخلق للبشر، فهو فخٌ رهيب، إمّا أن يورثك يأسًا عظيمًا أو يجعلك طاغيةً جاحدًا لا يمكن ردع شرورك..

كما أنّه نقمةٌ كبيرة فأنت تحيا وكلّ من حولك يموتون، أهلك، أصدقائك أبناؤك، أحباؤك، وأعداؤك، فتفقد حياتك معناها وغايتها..

كما أنّك مجبرٌ على التنقل طوال الوقت كي لا يثير طولَ عمرك وشبابك الدائم الشكوك من حولك، وعليك كلّ فترةٍ من الزمن أن تبدأ حياةً جديدةً، وهو أمر مرهقٌ بشكلٍ لا يصدق.

وأدركت أنا هذه النقمة في المائة سنةِ الأولى، وفي المائة الثانية كنت قد زهدت الأمر، فحتى لو لم يكن جسدك يشيخ، فروحك نفسها تشيخ، وأنت ترى كلّ من حولك مع ذكرياتك يطويها جناحا الموت والنسيان، وتشاهد بعينيك البشر وهم ينحدرون في أخلاقهم، ويتبعون شياطينهم وأهواءهم، والحياة تسير وتتبدّل، وكأنّها تهرع بسرعةٍ نحو نهايتها.

إنّ الحياة لمثل هذا العمر جحيمٌ مقيم، لم أتحملها وحاولت بكلّ جهدي

انهاءها دون فائدة، بعد أن دبَت الخلافات بين بعض أفراد زمرتنا، وتجبّر بعضهم كما توقّعت جماعتك، وحاولوا إخضاع الآخرين لسلطانهم.

فلم يعد بعض أبناء (عين الحياة) إلا أبناء الشيطان، بعد أن استخدموا قدراتهم، في العبث بالتاريخ الانسانيّ مدّعين أنّهم يقومون بتقويم البشريّة، متناسين إرادة الخالق وحقّ البشر في تقرير مصيرهم مهما كان مظلمًا.

لتستعرَ في ليلةٍ سوداء أوّل حربٍ أهليّةٍ بين أفراد زمرتنا، مما تسبّب في مقتل بعضنا، انقسامنا، وهروب العديد منّا إلى أقاصي الأرض.

ونأيت أنا عن الجميع لوقتٍ طويلٍ، ثمّ قرّرت أن يكون لوجودي فائدةً، فتعاونت أنا وبعض رفاقي مع حكومتك لفترةٍ من الزمن، وهكذا التقينا قبل عشر سنواتٍ، ثمّ ضاق صدري من الأمر، وقرّرت هجر كلّ شيءٍ، لأبدأ حياةً جديدةً بسيطةً، خاليةً ممَن يعاملونك كفأرِ تجاربٍ أو سلاحٍ قاهرٍ لا إرادة له، وعلى عاتقي قامت هذه البلدة التي لَعِنَت بوجودي فيها، وها نحن نهجرها، فالماضي لا يتركنا ما حيينا..

وأثناء محاولتي التكيُف مع حياتي الجديدة، حدث التواصل بيني وبين بعض الفارين من زمرتنا، وعلمت أنّ أحد المارقين، قرّر أن يعيد الحلم القديم بالسيطرة على العالم، وبأكثر الطرق دناءة.

وعبر سنينٍ طويلة أعدّ خطته الرهيبة، بقيامه بالتحالف مع (الجنجدور) متوحشي البعد السابع الذي مكّنته قدراته المتعاظمة من التواصل معهم.

وهم ذلك الجنس الوحشيّ، الذي استطعتم ردع فرقة استطلاعهم الأولى بواسطة القطاع، ومساعداتٍ غير مباشرةٍ ممَن قرروا مساعدتكم من أخيار جماعتنا، لم تحيطوا بهم علما.

ظهرت المعاناة على وجه (لبيب) الذي صُدم من حديث (فاضل)، وقال

في دهشةٍ:

- إذًا فقد كان هذا المارق من زمرتك هو من فتح بوابَة الأبعاد، وكبّدنا هذا العدد الهائل من الضحايا، وأجبرني على أصعب قراراتٍ في حياتي، إنّها ليست مصادفةً أن تتقاطع خيوط القدر وأن نلتقي هنا.

هزّ العمدة (فاضل) رأسه في تفهّم، فأكمل (لبيب):

- إنّني من حديثك أستطيع أن أجزم، أن المتجبّرين من زمرتك، وتجاوزاتهم، هم من تسببوا بالفعل في ظهور (السفّاحين) وإن لم يفسر لي كيف علموا بوجودكم، ولا دمويتهم، ولا قتلهم للأبرياء، فحتى الأطفال والنساء والرضّع لم يسلموا منهم، ثمّ من أين لهم كلّ تلك التقنيّات المتطورة، هل استولوا عليها من (أريس)؟

هزّ فاضل رأسه نافيًا، وقال في أسىً:

- لقد حصد السفّاحون (أريس) و(وعزرائيل) وأصحابَ القدراتِ المؤثّرةِ في موجةِ هجومهم الأولى، إنّهم انتقائيون بشدّة، ولا تنقصهم المعلومات عنّا، ويعرفون قدرات الجميع، ومن عليهم قتله قبل من.

هزّ (لبيب) رأسه متفهمًا، فهذه المعلومة يعلمها جيدًا عن السفّاحين، وهذه النقطة بالذات ما زالت تحيّره، فلماذا يكبّدون أنفسهم عناء قتل بعض الأشخاص في المناطق التي يظهرون فيها دون غيرهم، لماذا لا يقتلون الجميع، هل هم بحاجةٍ إلى شهودٍ على عملهم البغيض أم أنّ وراءهم سرًّا آخر؟!

وحينما لم يصل (لبيب) بتفكيره لجديد، عاد ليقول:

- إنّ الأمر محيّرٌ بالفعل، مازلنا عاجزين عن معرفة من هم السفّاحون؟ ومن أين أتوا؟ وعقلي يرفض تصديق تفاصيلَ كثيرةٍ في قصّتك.

ظهرت ملامحُ صراعٍ داخليٍّ على وجه (فاضل) وكأنّ هناك ما يعجز عن الافصاح عنه، ثمّ قال:

- إنَّ الامر يحتاج لأن تعرف القصّة كلّها كما حدثت، كي تقرّر أيّ جانبٍ من الحقائق ستصدق.

هزّ لبيب رأسه متفهمًا، وقال:

- كلّي آذانٌ صاغية..

وهنا علت طرقاتٌ قويّةٌ على باب غرفة العمدة الخاصّة، فقام إلى الباب، وأزال مزلاجه وفتحه متوقعًا أن يجد أحد رجاله، ليجد أمامه ثلاثة رجالٍ، وامرأةٌ لهم هيئةٌ عسكريّةٌ واضحةٌ، يقفون على عتبة الباب بملامحَ صارمةٍ، فابتسم بفراسته عند رؤيتهم، ودعاهم للدخول وهو يقول في حماسٍ لا مبرّر له:

- لقد وصلت قوّتك الضاربة، يا سيّد (لبيب).

ظهرت الجديّة على وجه (لبيب) وهو يصافح رفاقهالقدامى الذين استجابوا لندائه، ويشير لهم بالجلوس، وهو يقول في امتنان:

- لقد حضرتم في الوقت المناسب كما تعوّدت منكم، هلمّ يا عمدة قصّ علينا القصّة من البداية..

ثمّ استدار لرفاقه، ووجّه حديثه لهم قائلا:

- أتوقع أن تكون هذه القصّةُ، أعجب ما ستسمعونه في حياتكم أيّها السادة.

استجاب له الجميع، وجلسوا على مقاعدهم..

وعندما شرع في قصّ القصّة، اتّسعت عيونهم دهشةً..

فلم تكن أعجب قصّةٍ سمعوها في حياتهم..

بل كانت أكثرها دمويّةً..

ووحشيّة.

حاملة القلادة

لا تثق في نظرك أبدا

العام: ٨٩٩ قبل الميلاد

المكان: الحدود الهندية البنجالية.

تواري القمر خلف مجموعةٍ كثيفةٍ من السحب الرماديّة، منذرًا بقرب هطول الأمطار التي لم تتوقف عن الهطول طوال الليلة السابقة، فساد ظلامٌ دامسٌ غمر ذلك الممرّ الطينيّ الزلق، المحاط بتلك الأشجار العملاقة التي يبلغ عمر بعضها عدّة قرون، في واحدةٍ من أخطر مناطق العالم، مستنقعات (سواندربان) الهنديّة..

تلك المستنقعات التي تمتدُّ عبر غابات (سونداربانس) الكثيفة ذات الأشجار المعمَرة، والتي من ضخامتها تبتلع في داخلها دلتا الجانج، والبراهمابوتر، والميجنا في خليج البنجال.

ومن قلب الظلام الذي أخفى تفاصيلَ كلّ شيء، وتحت رذاذ المطر الخفيف المتسلّل من بين فروع الأشجار المتشابكة كمظلّةٍ، ظهر ضوءٌ ساطعٌ وهاجٌ أنار ذلك الجزء المعتم من الغابة، وانعكس ضياؤه على جذوع الأشجار العملاقة التي تحيط بهم بشكل عشوائي، فصنع لوحةً مخيفةً من الظلال، وظهر الطريق المظلم، وكأنّه يمتد بلا نهاية.

كان الضوء من الشدّة، فأخفى تفاصيلَ ومعالمَ من تحمله، ولكنّ بنيتها الضخمة، وتضاريسها الخارجيّة، أكّدت أنّها أنثى، وهي تخترق عتمة المكان في ثقةٍ على متن جوادٍ حالكِ السوادِ، تتبعها قافلةٌ من العربات الخشبيّة ذات الأقفاص المعدنيّة، التي يقودها مجموعةٌ متباينةٌ من الرجال والنساء ينتمون لبلادٍ وعرقيّاتٍ مختلفةٍ من كلّ أنحاء العالم.

وبجوار عربات القافلة الاثنتي عشرة، تحرك مجموعةٌ أخرى من الفرسان على جيادهم كوسيلةِ تأمينٍ إضافيّةٍ، على الرغم من أنّ ما

تحمله العربات لا يستأهل كلّ هذا الاهتمام أو كلّ هذه الحراسة .

وعندما انعطف الطريق المحاط بالأشجار جهة اليسار، انعطفت قائدتهم معه، وهي تقلّل من سرعة اندفاع جوادها، وتشير لمن يتبعها أن يحذوا حذوها، فالطريق كان منحدرًا بشكلٍ مزعجٍ وخطير.

لم تكن المسافة المنحدرة كبيرةً ربما لا تتعدى المائتي متر، ولكنّ انتشار الوحل في هذا الجزء من المستنقعات، جعل العبور كابوسيًا.

وبكثير من الصياح، وضربات السياط اللاهبة على ظهور الخيل، والتعاون بين أفراد القافلة في دفع العربات التي علقت عجلاتها في الوحل، انتهى ذلك الجزء الوعر من الطريق، وعادوا لسيرهم البطيء نحو الجزء الأعمق من الغابة، لا يهديهم عبره إلّا الضّوء الساطع، الناتج من تلك القلادة العجيبة التي تحملها قائدتهم الغامضة، التي تابعت عبور القافلة، للطريق المنحدر في شيءٍ من القلق.

أحمقٌ من كان يظنُّ أنّ هذه العربات الخشبيّة أفضل وسيلةٍ لعبور مثل هذه المستنقعات الرهيبة..

جوادٌ يتعثّر ويتهشّم قائماه الأماميّان، فيفترش جسده الأرض الطينيّة، ويسقط صاحبه عن ظهره وهو يسبّ، فتتوقّف القافلة اضطراريًا..

تصرخ القائدة في غضبٍ، مذكّرةً الجميع أنّهم لا يملكون الوقت، وكلّ دقيقةٍ في هذه المرحلة لها ثمنها..

فيتقدّم راكب الجواد من جواده العاجز الذي لازمه لفترةٍ طويلةٍ في رحلته، فيرمقه الجواد في استعطاف، فيشهر خنجره بسرعةٍ وينحر عنقه دون رحمة، ويتعاون بعدها مع بعض رفاقه على إبعاد جثته عن الطريق، لتعود القافلة للسير..

وبينما تفكّر القائدة في الخطوة التالية بعد نجاح أتباعها في عبور تلك العقبة، كان أتباعها يحلمون ولو بساعةٍ واحدةٍ من الراحة، لهم ولجيادهم التي تجرّ خلفها منذ طلعت الشمس تلك العربات الخشبيّة

ذات الأقفاص المعدنيَة المغلقة بإحكام، والتي تحتوي بداخلها على عيّناتٍ مختلفةٍ من الحيوانات التي قاموا بجمعها خلال رحلتهم الطويلة من كلّ بقاع العالم، والتي انتهت بهم إلى هذه المستنقعات الرهيبة على حدود الهند.

كان المشهد كلّه عجيبًا وغريبًا ومريبًا.

وكأنّهم يعدون العدّة لتكرار مهمة نوحٍ عليه السلام على الأرض، دون امتلاك سفينةٍ عملاقة..

ومن ملامحهم تشعر أنهم ينتظرون طوفانًا آخر، أو أن كارثة على وشك أن تحيق بمن في الأرض جميعًا، وهم يفَرون منها في هلع.

الطريق كثيف الأشجار ينعطف من جديدٍ، فينعطفون معه، وبعضهم يزفر في راحةٍ، بعد أن نجحت مظلّة الأشجار هنا في عزل الطريق عن المطر تمامًا، فظهر لهم صلصاليًا جافًا، ولكنّه أشدُ ظلامًا حتى مع الضوء الساطع الذي يشع من جهة قائدتهم.

وعندما توغلوا بين الأشجار أكثر، زاد الظلام أكثر، فتوهجت تلك المصابيح الصغيرة، التي أضافتها قائدتهم بنفسها على جوانب العربات الخشبيَة، التي صنع لها أمهر النجارين والحدّادين الهنود، تجاويف خاصةً في بدن العربات.

صحيحٌ أنّهم انبهروا بها عندما فوجئوا بضوئها، وخلب لبّهم وجود ضوءٍ دون نارٍ أو مصدرٍ للطاقة، ولكنّهم تمنوا لو كانت قدرتها على الاضاءة أكبر، لأنّ الظلام في هذه المنطقة حالكٌ وثقيلٌ ومقبضٌ، وضوؤها لا يقارن بما يأتي من تلك القلادة المضيئة التي تحملها قائدتهم.

والحقيقة أنّ هذه المصابيح لغزٌ محيّرٌ من ألغاز تلك القافلة العجيبة، فالمصابيح نفسها لا مثيل لها في هذه الحقبة الزمنيَة، كما لن يُصْنَعَ مثلها قبل عشرات القرون.

ولكنها لن تكون أول أو آخر الأشياء العجيبة التي يرونها في رحلتهم الطويلة هذه..

رائحة كبريتيد الهيدروجين الأقرب للبيض الفاسد، والناتجة عن تحلّل المواد العضويّة تنتشر في المكان، وتطبق على الصدور؛ ولكنّهم يتجاهلونها، رغم ما أثارته في نفوسهم من ضيق.

فلن تكون أشنع من رائحة الجثث المتعفّنة التي اضطروا لقضاء ليلةٍ كاملةٍ بجوارها في (وادي الموتى) بعد أن أغلقت الأمطار الطريق، وجرفت مقابر تلك البلدة التي تركوها خلفهم منذ زمنٍ بعيد، وأخرجت أحشاءها، وهم في طريقهم إلى هذه المستنقعات الرهيبة.

القافلة تتحرّك بتؤدةٍ خلف جواد قائدتهم التي يطلقون عليها لقب (حاملة القلادة) والتي ظهرت تفاصيل هيئتها الخارجية أخيرًا، خاصّةً مع خفوت الضوء الذي تحمله، والذي راح ينعكس على قناعها الذهبي، وحلّتها اللامعة في شكلٍ خلابٍ، يتنافر مع همجيّة المكان الذي يجاهدون للسير فيه، بشكلٍ مثيرٍ للتساؤلات: فكيف تكون امرأةٌ مهما كانت قوّتها، قائدةً لتلك المجموعة المتباينة من الرجال والنساء، خاصّةً في ذلك العصر الذي لا يؤمنون فيه إلّا بالوحشيّة والقوّة الجسديّة؟

ثمّ من أين لها بمثل هذه الثياب العجيبة، التي تختلف عما يرتديه جميع من في القافلة، والتي لا يمكن أن يكون قد تمّ حياكتها يدويًا أبدًا، ولا صناعتها بإمكانيات ذلك العصر البدائيّ..

لغزٌ آخر يضاف لألغاز تلك القافلة العجيبة.

وأسئلة بلا إجابة.

صوت المخلوقات البريّة التي أزعجها ظهورهم المفاجئ، يُحيل المكان إلى سيركٍ كبير، جعلهم يتلفّتون حولهم في قلقٍ، وجميعهم تعصف بهم رياح الخوف من المجهول، إلّا رجلًا واحدًا مقنعًا، ضخم الجثّة، له نظراتٌ حادّةٌ، لم يخلع قناعه عن وجهه قطّ، أمام أيٍ من أفراد القافلة

منذ بدأت رحلتهم هذه قبل ثلاث سنواتٍ بعدد أقلّ من الموجودين الآن.

وظلّ مجهول الهويّة بالنسبة للجميع، مع التزامه جانب الصمت، ممّا أجّجَ الشائعات حوله! فبعضهم يقسم أنه جاسوسٌ للقائدة! والبعض يرى أنه مجرد مرتزق نذر الصمت والعزلة حتى يؤدي مهمته! والبعض لم يبالِ بحقيقته، فجميعهم لا ينتمون لمكانٍ واحد.

وإن هاب الجميع قوّته الغاشمة، بعد أن شاهدوا مهارتهوضراوته في القتال، بعد أن أنقذ العديدين منهم من موتٍ محقّق، عندما هاجمهم رجالُ القبائل من آكلي لحوم البشر عند عبور الحدود.

أمّا الإشاعة التي لم يتقبّلها الكثيرون عنه، هو ما أشاعتهتلك المرأة صهباء الشعر، والتي أعلنت لرفيقتها من قبل أنها تكره هيئته ورائحته النتنة، وهذا لم يكن فيه أي تجنٍ منها عليه، فبالفعل كانت هناك رائحةٌ خبيثةٌ تنبعث منه أقرب لرائحة التعفن، وكأنّه لم يستحمّ في حياته قطّ.

ثمّ أخبرتها بقصّته الرهيبة، والتي لم تترك صديقتها فردًا يستطيع فهم لغتها في القافلة، إلا وقصّتها عليه: حيث أخبرتها أنها كانت عائدةً من الخلاء ذات ليلةٍ مقمرةٍ، ورأته يفترس أحد الخنازير البريّة الحيّة الذي كان يصارع بين يديه، ويشرب دماءه في جشعٍ، بل أقسمت أنها رأت له أنيابًا كأنياب الضواري، وأنه أخفى وجهه البشع خلف قناعه عندما شعر بوجودها، ولم تستطع من رعبها فضحه في حينها.

البعض آمن بقصّتها والبعض أحالها لملاعيب الجنّ والشياطين، ولكنّها كانت قصّةً جيّدةً لقضاء ليلة شتاءٍ طويلة.

وبينما كان كلّ من في القافلة يفكّر في الراحة، كان ذلك الرجل الصامت المخيف مشغول البال بشدّةٍ، ربّما لأنه يعرف ما لا يعرفه باقي أفراد قافلته من أسرار، ويعرف ما ينتظرهم في نهاية الرحلة، بل وما أخفته عنهم قائدتهم الغامضة! وأيضا لسببٍ آخر شديد الأهميّة، هو أنّ هدفه الذي يسعى خلفه منذ ثلاث سنواتٍ كاملة، بات قاب قوسين أو

أدنى من التحقق..

ولذلك كان حريصًا على أن يكون بالقرب من قائدتهم طوال الوقت.

صوت مخلوقات الغابة المنزعجة من ضجيج القافلة، يثير توتّر من فيها، ويعبث بأعصابهم، خاصَة وأن الظلام المحيط بهم، يهيّئ الفرصة لهذه المخلوقات المفترسة لتهاجمهم دون إنذار.

وعلى عكس التوتّر السائد بين أفراد قافلتها، راحت عينا (حاملة القلادة) الصفراوان، الساحرتان، المليئتان بالثقة والقسوة، تمسحان كلّ شبرٍ في المكان باهتمام فائقٍ، وكأنّهما تبحثان عن شيءٍ خفيٍّ يتجاوز حدود الرؤية.

تقدمتهم المرأة المهيبة على صهوة جوادها قويّ الصدر، والذي يخرج البخار من منخريه دون توقفٍ، وفي يدها تتألق تلك القلادة المضيئة، التي كان من الجليّ أنّها تضيء لهم الطريق، وتحدّد لهم المسار الواجب عليهم اتّباعه، كي لا يضلوا الطريق أو تبتلعهم المستنقعات التي لا ترحم..

وهو الخطر الذي حذرتهم منه قائدتهم، وهي تشدّد على أحد رجال القافلة، والذي كاد أن يبتلعه المستنقع عندما خالف توجيهاتها، وأراد بجواده أن يختصر الطريق، فنجا هو بفضل رفاقه وغرق الجواد:

- لا تثق في نظرك أبدًا..

وهي القاعدة الأساسيّة التي باتوا يأخذونها جميعًا على محمل الجدّ، بعد أن رأوا ما كاد يحدث لرفيقهم، فلا هزل عند عبور هذه المستنقعات الرهيبة، فخطأ واحدٌ كفيلٌ بأن يمتصّك المستنقع، وتغرق بأعماق الماء الآسن وطبقات الطين الهشّ.

وبرغم التوتّر السائد، وصعوبة حركتهم، والوحل الذي كسا أجساد الجياد وعجلات العربات، مازالت نصائحها تدوي في رؤوسهم:

- لو تفرقنا لأيّ سببٍ من الأسباب، وإذا هُيئَ لكم أنَ سطح العشب، أو ضفَة الشاطئ تربة صلبة، فلا تثقوا في نظركم أبدًا، واختبروا موطئ كلَ قدمٍ، فكلَ هذه الافتراضات يمكن أن تكون شراكًا خادعةً، فَتحْتَ طبقة السطح قد يكون هناك خزانٌ خطيرٌ من المياه يمكن أن يبتلعك أنت وجوادك في لحظات.

وهم فقدوا في رحلتهم حتى الآن خمسةً من الرجال، وسبعةً من النساء، فلم تكن الرحلة آمنةً، أو سهلة بأيّ حالٍ من الأحوال.

لم تخدعهم هذه الساحرة عندما أخبرتهم عن صعوبة تلك الرحلة، وما سيلاقونه من أهوالٍ حتى يصلوا في نهايتها لأعظم كنوز الأرض، التي عرضت عليهم بعضها، ومنحتهم البعض الآخر على هيئة حليٍ ذهبيَةٍ وجواهر.

ولكنَهم لم يتوقعوا أن يأخذ الأمر كلَ هذا الوقت، والمجهود، والدماء، ولكنَهم في أعماقهم يدركون أنَه يستحق، فما منحته لهم قادرٌ على تحويلهم إلى أثرياء، فما بال الكنز نفسه الذي تغترف منه.

وما رأوه منها خلال الثلاث سنواتِ المنصرمة، جعلهم يثقون بها ثقةً عمياء، على الرغم من طريقتها غير المريحة في الحديث ونظراتها القاسية التي تشعُ خبثًا، ولون عينيها الغريب، وتلك الأدوات العجيبة التي تحملها، والتي لم يروا لها مثيلًا من قبل، والتي تستخدمها بكلَ بساطةٍ، وكأنَها ساحرةٌ عتيدة.

كما أنَها خلال رحلتهم عبر مدن العالم، ليجمعوا تلك الحيوانات التي ستُقدَم لحارس الكنز حسب زعمها، كانت تتحدَث بلغاتٍ ولهجاتٍ مختلفة، بعضها لم يسمعوا بها في حياتهم، وهم القادمون من كلَ بلاد العالم.

وحتى هذه اللحظة كانوا جميعهم يجهلون شكلها، وأصلها، ومكان نشأتها.

فلا يعرف أحدٌ من هي صاحبة القلادة، ولا من أين امتلكت كلّ هذه المعرفة، والقدرات، والأدوات السحرية؟!

كما أنّ تلك القلادة التي تحملها لا يبدو أبدًا وأنّها من صنع البشر، فهي مصنوعةٌ من معدن عجيبٍ برّاقٍ، وتتألق بضوءٍ مجهولٍ لا يعرفون من أين ينبع.

صحيحٌ أنّهم برفقتها ارتكبوا الكثير من الأعمال الوحشيّة،وسفكوا أنهارًا من الدماء، ولكنّ عزاءهم الوحيد أنّهم كانوا يدافعون عن أنفسهم، وعن كنزهم الأسطوريّ، الذي لن ينتهوا منه لو ظلوا ينفقون منه جميعا لألف عام حسب زعمها.

تقدّم جوادها ببطءٍ، وهو لا يتوقف عن نفث البخار من منخاريه، وكأنّ بصدره مراجل تغلي، مما جعل فارسًا ضخمًا ذو لحيةٍ كثيفةٍ، يقول في نفاد صبر:

- ألا يمكن أن نسرع قليلًا فالجياد متعبة، وجميعنا بحاجةٍ للراحة، فالسير بمثل هذه الطريقة يجعلنا فريسةً سهلةً للحيوانات الضاريّة أو أيّ متربص.

أشارت له (حاملة القلادة) بحزمٍ أن يلتزم الصمت، فبلع لسانه على الفور، في مفارقةٍ عجيبةٍ تدلُ على مدى سطوتها عليهم..

وظلت لبضع دقائق على سيرها البطيء، وخلفها تتحرك قافلة العربات، وراكبي الجياد، حتى دوّى أزيزٌ مفاجئٌ جعلهم جميعًا يجفلون، وجعل بعض الجياد تتوتّر وتطلق صهيلًا مرتفعًا، ليتبعهم فيه تلك الحيوانات الموجودة بداخل الأقفاص، وهم ينظرون لظهر المرأة، التي تألقت القلادة التي تحملها بشدّة، حتى كاد ضوءها يبتلعها، قبل أن يخفت الضوء، ويتحول لضوءٍ متقطّعٍ مريب..

وأمام بركةٍ من الماء الآسن غطى سطحها ورق الأشجار الجاف توقّفت المرأة، وأشارت لرجالها أن يترجّلوا، ويسيطروا على جيادهم.. .

في حين راحت القلادة تواصل نبضها المتقطع.

وعندما بدأت تتحرك في يدها، أطلقت المرأة سراحها، وهي تتابعها بنظراتٍ شرهةٍ مليئةٍ بالظفر حتى استقرت في منتصف بحيرة المياه الداكنة، وأخذت تدور حول نفسها، كشمسٍ صغيرة، تسببت في ذعر الجياد، فصرخت المرأة:

لتستعدوا جميعًا، ولتسيطروا على هذه الجياد، لا نريد لشيءٍ أن يفسد علينا الأمر، لقد أوشكنا على الوصول..

وبسرعةٍ وطاعةٍ تامةٍ هبط الرجال والنساء المنهكون من فوق جيادهم وعرباتهم، وتمسك كلّ منهم بلجام جواده، ليسيطر عليه، وهم يحلمون جميعًا باللحظة التي سيصلون فيها لكنزهم.

في حين مسّت هي جبهة جوادها بطرف إصبعها، فسكن على الفور وتجمدت عيناه، وكأنما فقد الوعي بطريقةٍ مجهولة..

لتعود وتتبع القلادة ببصرها الحاد، وتراقبها وهي تدور في دوائر دقيقة متقاطعة، قبل أن يخفت ضوءها، وتعود لتستقر في يدها، وهي تطلق ذلك الأزير المتقطَع.

وبكل قوةٍ وحماسٍ قبض الرجال والنساء على ألجم جيادهم، وهم يتابعون تلك النقطة المتوترة بقلب البحيرة، التي أخذت تفور وتغلي، بشكلٍ لم يروه من قبل.

ليحدث بشكلٍ مفاجئٍ تفريغُ هواءٍ هائلٍ، وانفجارٌ مكتومٌ، تبعه اندفاع موجاتٍ من الريح الباردة والماء والوحل لوثت وجوههم وملابسهم وجيادهم، وكادت أن تطيح بهم، لولا تمسكهم بجيادهم في قوة.

لينشق الماء عن قوسٍ معدنيٍّ مضيءٍ هائلِ الحجم أضاء المكان من حوله كشمسٍ ساطعةٍ، وظهر لهم نصفه السفليّ غارقًا في المياه، وعلى جانبيه ما يشبه محركات الدفع للسفن الفضائيَة شديدة التطوُّر التي لم يرَ أحدٌ منهم مثلها قطُ، وراح يرتفع ببطءٍ من قلب البحيرة، في مشهدٍ

مذهلٍ جعل قلوبهم تخفق في عنف.

واستمر الأزير لفترة من الزمن يصحبه صوت فوران الماء، قبل أن يهدأ كلُ شيءٍ، ويسود صمتٌ رهيبٌ، فعادت قلوبهم لتخفق بقوَةٍ، وهم ينظرون جميعًا، صوب قائدتهم التي لمعت عيناها بقوَةٍ، وسمعوها تردِّد في انتصار بلغةٍ مفهومةٍ لغالبيتهم:

- أخيراً.

ومع كلماتها سرت في أجساد من فهموا كلماتها، طاقةٌ هائلةٌ من الحماس، جعلت كلَ ذرَةٍ من التعب تزول، وهم يرمقون القوس المضيء في رهبةٍ، لتقول في لهفةٍ:

- الآن سيهبط الجسر..

وكالسحر ارتجَ القوس المعدنيُ وازداد توهُجًا، وانفتحت في منتصفه فجوةٌ كبيرة، وظهر خلفها ظلامٌ دامسٌ بثَ الرهبة في نفوسهم، وكأنهم ينظرون لمدخل قبرٍ عميق.

ثم تحرَك فوق سطح الماء المخادع، جسرٌ من معدنٍ لا يصدأ، يمتد من موقع الفجوة، إلى حيث تقف المرأة، التي امتطت جوادها، الذي عاد على الفور لحالته الطبيعية..

فتحركت فوقه بخطواتٍ سريعةٍ مسموعةٍ، وهي تشير لهم أن يتبعوها، وخلفها تحرَكت قافلة العربات والجياد صوب الفجوة التي ما أن عبرتها حتى اشتعلت بداخلها أضواءٌ هادئة، جعلت المقنَع الذي كان يراقب تطوُر الأحداث في صمتٍ، يحثُ جواده ليتقدَم القافلة، وهو يردِّد في قلقٍ:

- إن هذا يفوق السحر.

لم ينتبه أحدٌ لحديثه المخيف، وهم يعبرون خلف قائدتهم في سرعةٍ، بعد أن بدأ المطر في إغراقهم، فلم تشأ الطبيعة أن تنتهي رحلتهم، قبل

أن تضع بصمتها الخاصَة.

وبمجرد عبورهم الفجوة، شهق الرجال والنساء في قوَة وقد استَل كلَ منهم سيفه، وتحضَروا لمواجهةِ دامية..

فأمام أعينهم الهلعة وفي منتصف ساحةِ معدنيةِ عملاقةِ تُضاء بإضاءةِ خافتةِ خفيةِ، كان هناك المئات من الهياكل العظمية المرعبة لمخلوقاتِ غير أرضيةِ نافقة، بداخل أقفاص عرضِ زجاجيةِ مغلقةِ، بدا من الأوضاع التي اتخذوها أنهم قضوا نحبهم جوعًا وعطشًا.

لتصرخ قائدتهم في غضبِ، بلغتها غير المفهومة:

- اللَعنة.. لقد ماتت كلَ العينات.. وفشلت المهمة بعد كلِ ما بذلته من جهد.

وهنا صرخ فيها الرجل الضخم ذو اللحية بنفاد صبر:

- ما الذي يحدث، وما هذا المكان اللَعين، هل ستنتهي رحلتنا إلى مقبرة، وهل سيكون مصيرنا مثل تلك الكائنات النافقة، هل وعدتينا بالكنز، ثم تقودينا إلى حيث لا يوجد إلا الموت ؟.

ظهر الغضب على ملامح قائدتهم، وهي تقول في ثورةِ، مع إدراكها لمقدار جهلهم، وهي تتحدث بنفس لغة الملتحي التي فهمها الرجل المقنَع، وبعض من ينتمون لعرقيَة صاحب اللَحية:

- الآن وقد وصلتم إلى هنا، لم يعد هناك داعٍ للمزيد من الخداع، إنُها ليست مقبرة، بل سفينة فضاءِ نجمية، وهؤلاء كانوا مهمتي، ولا أحد كان أحرص مني على حياتهم، ولكن فشلت أنظمة الإعاشة عندما غبت عنهم هذه الفترة الطويلة.. إنك لن تفهم أيَ شيءِ مما أقول، ولكنَي أخبرك أنَ الأمر خارجُ عن إرادتي، ولم أرغب في أن يصل لهذه النهاية السيئة..

وهنا دوَى صوت الرجل المقنَع الذي تخلَى عن صمته أخيرًا، والذي كان

يتابع حديثها الغامض بفهمٍ كاملٍ، قائلًا في صرامةٍ:

- من أي عالمٍ أنت أيتها اللعينة، إنها المرّة الأولى في حياتي التي أقابل فيها مخلوقًا من جنسك، إنك لا تنتمين للبشرِ، ولا للجنِّ، ولا للشياطين.. فمن أيِّ جحيمٍ أتيتِ؟

وهنا صرخت المرأة بلغةٍ مجهولةٍ، وهي تنزع ذلك الجزء من الدرع الذهبيّ الذي يغطي وجهها، لتظهر ملامحها البشعة..

فتلك العينان الصفراوان الفاتنتان لم تكونا العينان الوحيدتان الموجودتان في وجهها، بل كان لها عينٌ ثالثة في منتصف جبهتها التي تعلوا وجهها الأخضر المجعّد الذي تمنَوا لو أنهم لم يقابلوه في حياتهم.

وتوتّر الرجال، وصرخت النساء، وهاجت الحيوانات في أقفاصها، ليسود صمتٌ رهيبٌ بعدها، وهم يقارنون بين ملامحها الحاليّة، والصورة التي رسموها لها في مخيّلتهم، بعد أن فتنتهم عيناها.

وبعد لحظاتٍ من تفكيرٍ عميقٍ، وبلا تنسيق، بدأ الرجال والنساء الذين شهروا سيوفهم في تحفّزٍ، يتقهقرون إلى الخلف صوب الفجوة المعدنيَة المفتوحة، ساعين لمغادرة تلك السفينة النجميَة، التي لم تعد في نظرهم سوى قبرٍ معدنيٍّ رهيبٍ، متناسين فكرة الكنز والثراء، في نفس اللحظة التي أغلقت فيها الفجوة في سرعةٍ لتجهض مخططهم.

وانطلق من ركن الساحة مئاتٌ من الحزم الضوئيَة، التي أحاطت بكلّ واحدٍ منهم في إحكامٍ، وسجنته في لمح البصر بداخل أحد الصناديق الزجاجية التي فشلوا جميعًا في تحطيمها، عدا ذلك المقنّع الذي تجاوز تلك المفاجأة بسرعةٍ يحسد عليها، وأخذ يتمتم بكلماتٍ من لغةٍ مجهولةٍ وعيناه تتّسعان في قسوةٍ، وهو يتقدم نحو واجهة الصندوق الزجاجيّ، ليضع كفّه عليها فتتحول في لحظةٍ واحدةٍ إلى فتاتٍ، وهي المصنوعة من موادٍ غير أرضيةٍ شديدة الصلابة، ليخرج من محبسه ببساطةٍ وعيناه تشعّان بالغضب، قائلًا:

- نهايتك على يدي أيّتها اللّعينة..

لتصرخ فيه تلك المخلوقة المخيفة بلغتها الأصليّة، وهي تواصل نزع درعها الذهبيّ، ليظهر صدرها العجيب متعدّد الحلمات، ويداها القصيرتان ذات الأصابع الطويلة، قبل أن تعيد صراخها بلغته كي يفهمها قائلةً:

- كنت أدرك منذ البداية أنّك مختلفٌ عنهم جميعا.. لقد نجوت من أهوالٍ لا يمكن لبشرٍ أن ينجو منها .. كان الخطأ خطئي، ولم يفت أوان تصحيحه..

ظهر الغضب على وجه المقنّع، وهو يقول في احتقار:

- من أنت أيّتها الحقيرة لتتوعدي (عزران).. أنا لا أختلف عنهم فقط، أنا أختلف عنكم جميعًا، ولن أسمح أن تضيع الثلاث سنواتِ الفائتة هدرًا، ولن أتراجع قبل أن أعرف منك مكان (العين)..

قالها ثمّ ابتلع ريقه، وهو يتأمّل ملامح اليأس على وجوه الأسرى بداخل الأقفاص، ويكمل بنفس القسوة والصرامة والغضب:

- وحدي من يعلم حقيقتك.. وحدي من يعلم طبيعة مهمتك البغيضة.. وكيف تسللتِ مع رفاقك إلى أرضنا وكواكبَ أخرى سبقتها بمركباتكم الطائرة، لتحصدوا سكانها دون رحمةٍ، فتستعبدون بعضهم، وتجعلون البعض الآخر طعامًا لكم، بعد أن تجبرونهم على التكاثر والنمو بطرقكم الجهنمية..

وصدقيني أنا غير مهتمٍ لو أفنيتم نصف هذا الكوكب، ولكنّك لن تغادري لعالمك قبل أن أصل إلى (العين)، وأحقّق مأربي منها.

وهنا صرخت فيه المخلوقة، وعينها الثالثة تتحرك بتوافقٍ مدهشٍ مع عينيها الأخرتين:

- إنّك خطيرٌ بالفعل أيّها المقنّع، كيف وصلت إليك هذهالمعلومات؟

أطلق (عزران) ضحكةً ساخرةً من خلف قناعه ثم قال بحقدٍ:

- لقد تلصّصت بقدراتي الفريدة على عقلك أيّتها الحقيرة.. العين موجودةٌ بالفعل، ولها الفضل في بقاء رفاقك على قيد الحياة حتى هذه اللحظة.. بعد أن تحطمت مركبة نقل العيّنات، التي كنتم على متنها على بعد آلاف الأميال من مركبتك الأم..

وكان عليكِ أن تقطعي نصف العالم للوصول إليها، ومن أجلها جمعتِ كلّ هؤلاء الغافلين، وفي طريقك الطويل قررتِ استكمال مهمتك، بجمع عيناتٍ أخرى من البشر والحيوانات غير من فقدتيهم في حادث المركبة، مستغلّةً الضعف البشريّ تجاه الذهب، الذي عميتِ به عيونهم عن حقيقة شخصيّتك وهدفك الأصليّ.

فما أنت إلّا نخّاسة كونيّةً لعينة، لا ترانا إلّا مجرد عيّنات من غذاءٍ جيّدٍ ستحملها لكوكبها، ولكنّ (العين) حقيقيّةٌ، وبفضلها أنت هنا، وهذه العين لن تكون إلّا لي ولذريتي.

قالت في غضب:

- أنت لا تفهم.. لا تفهم.. العين ليست كما تظن.

ردّ عليها بصرامةٍ:

- لقد تلصّصت على أفكارك.. وأعلم طبيعة تأثيرها على البشر، وأنّها موجودةٌ في أحد كهوف الصحراء، وبفضلها ما زال من تبقى من رفاقك على قيد الحياة.. فقط عليّ أن أحدد موقعها بدقّةٍ، فعقلك منيعٌ في هذه النقطة، وليست قراءة العقول وحدها، هي الطريقة الوحيدة لاستخلاص المعلومات من عقلٍ عنيدٍ كعقلك.

وأنا لا يهمني أن أمزّقك إربًا من أجل أن أستخلص منك كل ما أريد من معلوماتٍ، وأستولي على تلك الأداة العجيبة التي ستوقف الحماية الرهيبة التي وضعتيها على مكان كمونهم بعد أن تَلِفَتْ أداتك القديمة،

فأنت كائنٌ ضعيفٌ هشّ بشعُ الخلقةِ لا أكثر، ولا تأثير لفتنة عينيك عليّ.

وللمرّة الأولى تضحك تلك المخلوقة فيتجعّد وجهها أكثر، وهي تشاهد في محدّثها التجسّد الكامل للغرور البشريّ، والثقة المفرطة في النفس، لتقول في عبث:

- لقد استخلصتَ من عقلي الكثير بالفعل، ولا تتوقع أيّ انتصاراتٍ أخرى، إنّ في جعبتي الكثير من وسائل الردع غير تأثيرِ عينيّ الفاتنِ على البشر، ثمّ من أين لك هذه القدرة الفائقة؟ وهل تعتقد أن من هي مثلي وبكلّ قدراتي ستستسلم لك ببساطة؟.

وهنا جاء دور (عزران) ليقول في عبثٍ مماثلٍ، وهو ينزع قناعه عن وجهه:

- لست وحدكِ من تخفين الأسرار أيّتها اللّعينة، وحان الوقت لتعرفي، وتدركي مقدار تفاهتِكِ، ومع من تتعاملين.

وفور أن نزع قناعه، صرخت النساء، وشهق الرجال من هول الصدمة، وعلى وجوه الجميع ظهرت ملامح رعبٍ هائلٍ، وإن كتمت الصناديق الزجاجية أصواتهم، وهم يفكرون في لوعةِ أيّ جحيمٍ ألقي بهم ليروا كلّ هذا الهول.

فوجه (عزران) لم يختلف عن وجهها بل فاقه بشاعةً، بتلك النتوءات العظمية التي كانت تشوهه، وأنيابه التي تشبه أنياب الضواري، التي منحته سَمتا شيطانيًا مرعبًا.

إذًا لم تكن تكذب المرأة صهباء الشعر أو تتوهم ما رأته..

ومع المفاجأة غير المتوقّعة انعكس بعض الرعب والدهشة على وجه المخلوقة المجعّد، وهي تهتف في هلع:

- أيُّ شيءٍ أنت؟.. إنك لست بشريًا..

نظر نحوها باحتقار، وهو يقول في اشمئزاز:

- ما أنت إلا مخلوقة جاهلة، تظنين أنك تملكين علوم الكون كله.. ولكنك مقارنة بما أملكه من معارف وعلومٍ، فأنت نكرة.. أنا بالفعل لست بشريًا خالصًا.. أنا الهجين، والأول من نوعي، أنا من أمتلك علم وقدرات العالمين.. أنا سيدك فلتسجدي لي خضوعًا واحترامًا.

تألقت عينا المخلوقة في ظفر، وهي تتفحصه في لهفةٍ قائلةً:

- بل أنت عينةٌ نادرةٌ، تفوق كلّ ما حصلت عليه من عيناتٍ طوال رحلتي.

وعلى أثر عبارتها المستفزة، صرخ فيها (عزران) بغضبٍ، وأنيابه يسيل منها الزبد قائلًا:

- أنا لست عينةً أيتها الحقيرة، سترين الآن قدراتي يا جامعة الحيوانات.

قالها ثمّ باعد بين ساقيه وفرد كفيه أمامها، بعد أن تمتم بعباراتٍ من لغةٍ يجهلها الجميع، ليقول بعدها في صرامةٍ:

- والآن أيتها العاهرة القادمة من وراء النجوم، لم يعد هناك داعٍ للتلصص على عقلِك مع خشية انكشافي، أو إضاعة المزيد من الوقت، الآن تخضعين لسيطرتي وإرادتي، وتكشفين لي كلّ أسرارك.

وهنا صرخت المخلوقة بلغةٍ أكثر غرابةً، فنشطت آليةً دفاعيةً من سقف السفينة، احتجزته على الفور بداخل شبكةٍ من الصلب، وهي تصرخ في وجهه:

- بل أنت من تخضع لي ولسيطرتي أيها الهجين المغرور..أنت أفضل العينات على هذا الكوكب، وستكون تعويضًا كافيًا عمن فقدتهم، فالفشل لا يغفر في عالمي.

وهنا رجّ صوته المكان، وهو يتمتم بتلك اللغة المجهولة الثقيلة على الأذن، لتتمزّق الشبكة المعدنيّة من حوله وتسقط عند قدميه،

فيتجاوزها وهو يتقدم منها ببطءٍ مواصلًا ترديد كلماته التي أثارت رعبها، وأصابتها بشللٍ تامٍ في أطرافها، ثمَ أحاط رأسها بكفَيه، وثبّت عينيه على عيونها الصفراء الثلاثة المذعورة.

وهنا راح جسد المخلوقة يرتجف في قوةٍ بين يديه، وبدأ يخرج من فتحات وجهها وعيونها دمٌ أزرقٌ داكنٌ، وهو يواصل التمتمة في تصميمٍ وقسوة.

وبعد مرور عدَة دقائقَ من صراع عقليّ رهيب، تركهالتسقط على الأرض المعدنية جثةً هامدةً فاقدةَ الحياةِ..

ليصرخ هو في ظفر:

- الان أصبحت العين ملكي، الآن أنا لا أقهر.

راح الرجال والنساء يرتجفون في الأقفاص، ولم يبالِ بذعرهم، بل ضاعفه، عندما أشار نحوهم، وقال في صرامةٍ:

- وأنتم أيضا ملكٌ لي.. والان تبدأ رحلتنا الحقيقيَة..

ونظر الرجال المعزولون بداخل الأقفاص الزجاجيَة نحوهفي رعبٍ، ظنًا منهم أنَه يتوعدهم، ثم إلى جثة المخلوقة الخضراء ذات البشرة المجعَدة الفاقدة الحياة، متوقعين مصيرًا أشدَ سوادًا ينتظرهم.

ولم يستطع بعضهم أن يتحكّم في مثانته فبالوا على أنفسهم.

ولم يبالِ (عزران) بما يحدث داخل الأقفاص، فتركهم، ودخل معتمدًا على ما استخلصه من معلوماتٍ من تلك المخلوقة الفضائيَة إلى مخزن السفينة العملاق، وأحضر من أحد خزائنها جهازًا لوحيًا مربعًا تأكّد من صلاحيته للعمل، ووضعه في نطاقه، ثم فعَل تقنية التخفِي لتعود السفينة الفضائيَة لمكمنها بعد مغادرته، وعاد إلى القاعة، ووقف في منتصفها يرجمهم بنظراته الرهيبة، ثم أشار نحو الأقفاص وقال بصوت صارمٍ:

- هيّا..

لتتفجر الأقفاص الزجاجيّة في دويّ هائلٍ، ليجد الرجال والنساء، أنفسهم أحرارً.

ليصرخ بهم في صرامة، بصوتٍ تردّد في عقولهم، متجاوزًا عقبة اللغة:

- اسجدوا لإلهكم الجديد.. أنا من سأمنحكم القوّةَ والثراء..

وبلا تردّدٍ سجد الجميع لذلك الهجين الرهيب، وكلّ منهم يتمنى لو قضى في أيّ مرحلةٍ من مراحل الرحلة ؛عوضًا عن أن تكون هذه نهايته..

ولكنّها لم تكن النهاية

بل البداية لشرٍّ رهيب..

شرٌ لا قِبَلَ لأحدٍ به.

شرٌ امتلك طريقه نحو هزيمة الموت والخلود.

*****

طقوس

العام : ٨٨٨ قبل الميلاد

المكان: صحراء الحجاز.

انطلقت الخيول تنهب الأرض نهبًا بحوافرها العظمية، في حين لم يتوقف راكبوها عن وكزها بطريقةٍ مؤلمة، ليزيدوا من سرعتها أكثر في محاولةٍ منهم للّحاق بجواد سيّدهم الجديد (عزران) الذي كان ينطلق به كالريح؛ صانعًا خلفه سحابةً من الرمال والغبار الكثيف، مندفعًا به عبر مدّقٍ رمليٍّ طبيعي بصحراء الربع الخالي، دون أن يلتفت أيّ منهم للوحات الطبيعة الخلاّبة التي تصنعها الكثبان الرملية مع أضواء الشفق الحالمة، فجميعهم متوترون، ومنهكون إلى أقصى درجة، بعد أن قطعوا نصف العالم ليصلوا إلى هنا، متتبّعين كالقطيع خطوات سيّدهم

الجديد، الذي لا يملك في قلبه ذرة رحمة.

وعلى رأس جيشه الصغير، قطع ما يفوق الألف كيلو متر الأخيرة في عشرة أيام نفق خلالها عددٌ غير قليلٍ من الخيول، في محاولةٍ منه للوصول في الموعد المحدّد إلى تلك النقطة التي توجد فيها (عين الحياة)، قبل تراصف الكواكب المعنيّة التي ستحول بينه وبين دخول تلك المنطقة التي تسيطر عليها قبائل الغيلان.

لقد أعدّ خطته التي بدأت منذ ثلاث سنواتٍ، عندما قادته الصدفة، أم لنقل ترتيب القدر كما يؤمن، إلى لقاء (حاملة القلادة) التي كانت تَعِدُ الرجال والنساء الأقوياء بالكنز الأعظم، وتدفع لهم بالذهب..

وهو يدرك جيدًا تأثير الذهب على البشر، فقرّر أن يصحبها في رحلتها ليستولي على الكنز كلّه لنفسه، ليمتلك السلاح الأقوى في هذا العالم الذي ينبذه..

وكيف أنّه استطاع ذات ليلةٍ بقدراته الشيطانية التسلل إلى عقلها، وصدمته حقيقة كونها ليست بشريّة، وسببُ وجودها الحقيقي.

ثم عثر في عقلها على كنزٍ آخر، لم يحلم بوجوده على الأرض، برغم أنّه سمع إشاعاتٍ عن شيءٍ شبيه، وأدرك أنّها تملك المصدر الوحيد للقوّة التي تهب الشباب والخلود، وهو شيءٌ لم يطف بخاطره قطّ، فلازمها في رحلتها، للاستيلاء على هذا الكنز الثمين..

وطالت رحلته كثيرا حتى وصل إلى هذه المرحلة، وهو مصمّمٌ على إنهائها، دون المزيد من الانتظار، قبل أن يُحظَرَ عليه دخول المنطقة التي توجد فيها العين، وبدء الغيلان طقوس العزلة.

والتي يقومون خلالها بمنع الغرباء كافّةً من دخول مناطق نفوذهم، والتي تمتدُّ من ثلاثة أشهرٍ إلى عامٍ كاملٍ بالتوقيت الأرضي، في مواسم التزاوج، والتي ينقطعون خلالها عن العالم.

لذا كان عليه أن يبدأ سعيه نحو غايته، فور مغادرته للسفينة النجمية،

دون إضاعة المزيد من الوقت.

وهو ما نوى عليه.

لن يوقفه شيءٌ، ولا شخصٌ، مهما كانت كينونته.

وكلّ من سيعترض طريقه وطريق جيشه المحدود،سيمزّقه إربًا، وينثر دماءه لتتخضب بها رمال الصحراء كما فعل مع قطّاع الطرق، الذين حاولوا-لسوء حظهم- أن يشتبكوا مع رجاله، ويسلبونهم مؤنهم وخيولهم.

كانت معركةً قصيرةً، حُسِمَت في دقائق، وأبرزت قدرات (عزران) الوحشيّة، التي كان يكبح جماحها في رحلتهم الأولى خوفًا من انكشاف شخصيّته.

فقد شاهده جيشه الصغير، وهو يشتبك مع قطّاع الطرق دون أيّ لحظة تردّد، ويتحرك بينهم كالإعصار..

فيتصدى لسيف هذا، ويبقر بطن هذا، ويجزُّ الأعناق في ضراوةٍ وقسوةٍ ليس لها مثيل، أثارت الرهبة في قلوب أتباعه قبل أعدائه..

ولكنّ ما أثار رعبهم لأقصى مدىً، هو انقضاضه الوحشيّ على آخر المهاجمين، وتلذّذه بنهش لحمه حيًا بأنيابه، ولعق دمائه كالحيوانات المفترسة.

فلم يعد (عزران) يبالي بإخفاء وحشيّته أو شخصيّته الحقيقية.

ليوقن جميع أتباعه أنّه يبعد عن البشريّة بفراسخ.

فربّما كانت قائدتهم السابقة قاسيةً ومخادعةً، ولكنّه طاغيةٌ لا يرحم، فأطاعوه طاعةً عمياء..

فهم هذه المرة يعلمون حقيقة من يقودهم، ويرتجفون كلّما تذكروا ملامحه المفزعة، والتي فسّرها كلّ منهم على حسب ثقافته، والبلد التي جاء منها، فبعضهم رآه شيطانًا، والبعض رآه تجسيدًا لإله الشرّ، وأما

القادمين مثله من الصحراء، فقد أيقنوا أنه من (المغربين)، وهم حسب الأثر والقصص المتداولة بين قبائلهم الوثنية، الأشخاص الذين لديهم عرقٌ من الجنّ، والمولدين نتيجة لقاءِ حميمي بين جنيّ وإنسيّة.

وحسب ما يشاع نادرًا ما يظلون على قيد الحياة بعد انجابهم بفترةٍ بسيطة، وبطريقةٍ ما نجا قائدهم المفزع.

وكونه ساحر عتيد، أضاف حوله هالة أخرى من الهيبة والرهبة..

فأمام أعينهم استطاع بقدراته الخارقة، وسحره المكين، الصمود بوجه (حاملة القلادة) وقتلها، وأخرجهم من سجنها الرهيب.

جميعهم شهدوا هذه الوقائع، وجميعهم أجبروا على استكمال رحلةٍ لم تَعُدْ لديهم رغبةٌ في استكمالها، عدا أربعةٍ منهم، لم يبالوا بطبيعة القائد، ولا هيئته المفزعة، في مقابل المنحة العظيمة التي وعدهم بالحصول عليها..

فهؤلاء الأربعةُ العتاةُ، قُدّت قلوبهم من شرٌ خالصٍ، شمّ رائحته فيهم، واستعذب أصحابه، وجعلهم بقربه، وأخبرهم بسرّه، ومنحهم السلطة والسيادة على الآخرين، ولم يخذلوه قطّ..

لذلك تجده نصب أعينهم، وهم يشرفون على كلّ مراحل الرحلة.

والعجيب أنّ المرأة التي بينهم كانت أشدّهم حزمًا وبطشًا وإثارةً للرعب في قلوب كلّ من في القافلة، فمن يتذمر، أو يحيد عن الطريق أو يحاول بدء تمرد، كان سيفها الذي لم تنظّف حدّه من الدماء قطّ يطيح بعنقه..

فلو كان سيّدهم الجديد هو الشيطان، فهم أعوانه وحواريه.

واستمروا بقيادة الجيش المحدود وسط الصحراء، حتى جثم الظلام عليهم، ولم يعد بالخيل قدرةٌ على الاستمرار أكثر، فتوقف سيّدهم، وسمح لهم بالتخييم لهذه اللّيلة، ليرتاحوا، ويريحوا الخيول المنهكة..

وبأجسادٍ مرهقةٍ، هبطوا من فوق خيولهم التي تكفّل بها رجالهم، ليحظوا ببعض الراحة، والطعام الذي بدأت نساء القافلة بمعاونة بعض الرجال في إعداده بعد أن أشعلوا حلقاتِ نيرانٍ متعدّدة..

ولكنّ سيّدهم استدعى أربعتهم برسالةٍ عقليةٍ واضحةٍ، اعتادوا منه على استعمالها معهم، لينفرد بهم، ويخبرهم أن يتبلغوا على عجلٍ ببعض الطعام الجاف، ويستبدلوا خيولهم، لأنّهم لن يحظوا بالراحة التي تمنوها، فالجزء الأهَم من الرحلة على وَشكِ البدء..

وبرغم تعبهم وإنهاكهم، أطاعوه بلا تردّد، وخلال دقائقَ معدودةٍ، كانوا قد انطلقوا خلفه في طريقهم المظلم، على ضوء تلك القلادة التي انتزعها من صاحبتها، بعد أن قرأ في عقلها طريقة عملها..

وبعد السير في دروب الصحراء المعقّدة، التي أصبحت أكثر رهبةً وإفزاعًا مع حلول الظلام، وقربَ منتصف الليل كانوا قد وصلوا إلى إحدى المناطق الجبلية التي تعجُّ بالكهوف المتباينة في الحجم، والتي اشتهرت بسقوط النيازك بقربها، فالربع الخالي يعجُّ بمثلها.

وهنا أمرهم أن يهبطوا عن خيولهم، ويقيّدوا أقدامها كي لا تضلّ، فنفّذ الأربعة ما طلبه منهم في سرعةٍ ومهارةٍ يحسدون عليها، وقد زادوا على تعليماته بأن قيّدوا الخيول إلى بعضها البعض، كي يصعّبوا عليها طريق الفرار، أو أن تغادر المكان على غير هدىً..

وصهلت الخيول اعتراضًا، ولكنّهم تجاهلوها، وهم يراقبون قائدهم المخيف الذي وقف يتشمم الهواء لما يتعدى دقيقةً كاملةً، قبل أن يستدير نحوهم قائلًا:

- لتنزِعوا ثيابكم جميعها.

وبرغم شذوذ الطلب وغرابته، إلا أنّ أول من استجاب له كان المرأة، وهي تقول دون حياءٍ أو خجل:

- سمعًا وطاعة.

وخلال وقتٍ بسيطٍ كانوا جميعهم عرايا، ووقف هو أمامهم يتأمَلهم في ثباتٍ لبعض الوقت، ممَا أثار توتَرهم، وهم يفكّرون في الحكمة من وراء طلبه العجيب، ليقول بصوته المتحشرج:

- استعدوا.. سيكون الأمرُ مؤلمًا..

وعلى غرار ما قالته المرأة، ردّد الجميع، وقلوبهم يعصف بها خوف هائل:

- سمعًا وطاعة..

ليقترب منهم في هدوءٍ، ويرسم بالتتابع بإصبعه الذيكان في برودة الثلج، طلسمًا معينًا على صدورهم جميعًا ، ثم يبتعد عنهم، ليتبادلو النظرات، فلم يترك إصبعه أدنى أثرٍ على جلودهم كما توقعوا، ولم تكن برودته ذات شأنٍ كبيرٍ يحتاج لتحذيرٍ أو تهويل..

ولمدة دقيقةٍ كاملةٍ ظلوا على وقفتهم، يحدّقون فيه منتظرين أمره التالي وبرد المساء يعصف بهم، ولكنه ظل على صمته يرمقهم بثباتٍ دون أن يهتزَ له جفن، وهو يتمتم بتمتماته المجهولة، التي جعلت قلوبهم تنقبض.

وفجأةً شعروا بالنيران تحرق صدورهم..

وتحوّل مكان الطلسم البارد، إلى كتلةٍ من اللهب والطلسم يُنقش بالحرق على جلودهم..

وهزّت صرخاتهم المكان، وتردّد صداها عبر الصحراء..

فالألم لا يطاق، ولم يجدِ معهم التحذير المسبق..

ومع زيادة حدّةِ الاحتراق، عجزت أقدامهم عن حملهم،وسقطوا جميعًا على الأرض الصخرية يصرخون من الألم، الذي لم يتخيلوا في أبشع

كوابيسهم وجوده..

فلم يقتصر الألم على أماكن الاحتراق وحدها، بل شعروا بدمائهم نفسها تغلي، وعيونهم تكاد تقفز من محاجرها.

والأسوأ أنهم لم يفقدوا الوعي، لترحمهم الغيبوبة المؤقتة من ألم الاحتراق، ورائحة جلودهم المتفحمة..

ولعدة دقائقَ ظلوا يتلوون، ويصرخون، دون أن تحيد نظراته عنهم، حتى سكن كلّ شيء..

الألم..

والصرخات..

والاحتراق..

وعمَ الهدوء المكان..

ليشير لهم أن يرتدوا ثيابهم على عجلٍ ، ويتبعوه..

كان الأمر سهلًا، ولكنّ التنفيذ كان صعبًا مع جلودهم الملتهبة، ولكنّهم أطاعوه صاغرين، وهم يشعرون أنّ كلّ عظمةٍ من عظامهم قد تهشّمت، وبأن أجسادهم قد فقدت كلّ طاقتها، إذ لم يملك أيّ منهم رفاهية الاعتراض.

فلا أحد يجرؤ..

ومع الوقت، بدأ يزول كل وجعٍ جرّاء ما أصابهم، وإن تكاثرت في عقولهم الأفكار المرعبة.

وكان أكثرهم حزنًا المرأة التي تشوّه صدرها، فبرغم طموحها، ودمويتها، مازالت أنثى يزعجها وجودُ بثرةٍ في بشرتها، لا رسمٍ غائرٍ لطلسمٍ محترقٍ على صدرها، وإن لم تغادر أيّ من أفكارهم رؤوسهم..

وراحوا يتحركون بأسرع ما يمكنهم للّحاق بسيّدهم، الذي سلك طريقًا

صخريًا هابطًا ينتهي عند مدخل أحد الكهوف العملاقة التي لا تختلف عن أي كهوف أخرى حولهم، وقلوبهم تخفق من خوفٍ مجهولٍ تسربت رائحته إلى أنوفهم، ممتزجةً برائحة جلودهم المحترقة..

ولم يكن الأمر يحتاج إلى تفسير، فالطلاسم من متطلبات المرحلة القادمة التي يجهلون عنها كلّ شيء.. وسيّدهم لا يقبل الأسئلة.. لذا فإنّهم تابعوا السير في نفس الطريق، الذي سبقهم إليه.

وعندما وصلوا إلى مدخل الكهف الصخريّ المظلم، وجدوا سيّدهم ينتظرهم هناك، والعجيب أنّه كان يعطي ظهره للمدخل ويواجههم بوجهه المفزع، وقد باعد بين قدميه، وفرد ذراعيه على جانبيه، وأخذ يردّد بعضًا من كلماته المخيفة، التي كان وقعها عليهم شديدًا...

لم يكن الأربعة يملكون أيَ شيءٍ يفعلونه فوقفوا كالتماثيل، يشاهدون ما يحدث أمام الكهف ..

وكان ما دار أمامهم رهيبا..

فبمجرد أن انتهى سيّدهم من آخر كلمات تعويذته المظلمة، ارتجَ المكانُ بصرخةٍ عظيمةٍ بدت وكأنّها نابعةٌ من باطنِ الأرض، كادت تخرج لها أرواحهم من أجسادهم، وهم ينظرون نحوه في هلع..

ولكنّ نظراته الشاخصة أخبرتهم أنّه لا يراهم، بل إنّ عقله وتركيزه في عالم آخر..

وعندما دوّت الصرخة مجددًا، كان لها وقعًا أشدّ على نفوسهم، واهتزّت الأرض تحت أقدامهم، فتشبثوا ببعضهم البعض، كي لا يطيح بهم الارتجاج، دون أن يفهم أيّ منهم حقيقة ما يحدث، ولا دورهم فيه، حتى عندما استعرت الطلاسم على صدورهم، وتألّقت بضوءِ وهّاجٍ، لم يفهموا ما يحدث..

وعندما دوّت الصرخة الثالثة كانوا على وشك الانهيار، فما يحدث

أمامهم يتخطى أيَ شجاعةٍ، وأيَ تحملِ بشري..

وقبل أن يتجاوزوا اضطرابهم، توتّر الهواء من حولهم، وأصبح أكثر سخونةً، وتماوج بشدَةٍ ليظهر أمامهم مخلوقٌ ضخمٌ، غزيزُ الشعرِ، بَشِعُ الخلقةِ، له قرنانِ عظميان ملتفان، وعلى وجهه كل غضب الدنيا..

مخلوقٌ أقرب إلى تلك الغوريلا التي صحبوها معهم في رحلتهم الطويلة بصحبة (حاملة القلادة)، ولكنّه أضخم، وله أنيابٌ حادّة أضخمُ من أنيابِ سيّدهم بكثير، ممّا أثار فزعهم، فهمّوا بالركض هربًا من هذا الهول المتجسّد أمامهم، عندما تردّد في عقولهم صوت (عزران) يحذّرهم من أن يخطوا من أماكنهم خطوةً واحدة، ليصيبهم شللٌ مفاجئٌ من الرعب..

وبدون أن تهتزَّ شعرةٌ واحدةٌ في جسده، بدأ يتحدثُ بلغته المجهولة إلى المخلوقِ الغاضب.

والعجيب والمخيف في نفس الوقت أنهم فهموا حديثه، وحديث ذلك المارد الرهيب الذي لقبه (عزران) بـ(سيّد الجبال والغيلان) وهو يقول بكل ثبات:

- يا سيّد الجبال والغيلان.. أتينا لمملكتك في سلام.. واستدعيناك لائذين.. فامنحنا الإذن بحقِّ الدمِ المقدّسِ.. وعلى مشارف مملكتك تركنا لك الثمن.. بالدمِ سيُدفع، وبسلطانك سنعبر.

وارتجف الأربعة عندما علموا أنَهم يواجهون كبير الغيلان الذي يحكم هذا الجزء من الصحراء، والذي كان من الواضح أنّه غير سعيدٍ أو ممتنٍ لهذا الاستدعاء.

ومن صوته الغاضب ظهرت ملامح احتقاره لسيّدهم،الذي اهتزَّ الجبل نفسه لحضور هذا الغول المهيب، ولم يهتزَّ هو، وهو ينصتُ لكلماته الغاضبةِ التي تشعُّ غلًا:

- كيف لك أيّها الهجين الحقير، أن تستدعي سيّد الجبال والغيلان. وبأيِّ

حقٍ تتمنى أن يمنحك الإذن. إنّ فئتك لا مكان لهم في مناطق نفوذنا. ولولا قَسَمُ الدمِ لمزقتك إربًا أنت وحيواناتك الأربعة، الذين لا يمنعني عنهم إلا الطلسم المقدّس.

وهنا لمع الفهم في عقول أتباعه، وأدركوا الحكمة من الطلسم والألم، وكانوا ممنونين لأنّ سيّدهم قد حصنَهم به، وإلا لمزقهم إربًا هذا الغول الغاضب، الذي توقعوا من فحوى حديثه لسيّدهم، أن تنشب بينهم معركةٌ رهيبةٌ ، كما حدث مع (حاملة القلادة) من قبل.

ليفاجئهم صوت (عزران) الهادئ، وهو يقول بلغته الغامضة التي باتوا يفهمونها جميعًا، وكأنُها لغتهم الأم، بعد وشمهم بالطلسم:

- أنا متمسّك بقَسَمِ الدم.. وبقانون العبور.. ستمنحنا الإذن لنبقى في مملكتك ما بقيَ من الليل.. وبعدها لن ترانا في حدودها مرّةً أخرى.. والثمن مدفوعٌ مقدمًا..

وهذه المرّة صمت الغول الذي لم تلامس قدماه المشعرتان الأرض لحظةً واحدة، وهو يطفو في فراغ المكان، وقد بدا وكأنّه يَزِنُ الأمور في رأسه الضخمة، قبل أن يقول بقسوةٍ:

- لتعلم أنّ قَسَمَ الدمِ وحده، هو ما يجبرني على التعامل معك، ومَنحِكَ الإذن، ولكنْ ثانيةٌ واحدةٌ إضافيّةٌ بعد شروق الشمس، ستكون أنت وحيواناتك الأربعة في عداد الأموات.. ففور أن تبدأ طقوس العزلةِ، لن يمنعني عنك سحرٌ ولا طلاسم.. ولتعلم أيّها الحقير.. أنّ التفافك على قوانيننا، لن يتكرّر مرّةً ثانية، وأنّ مباركة (شاتو)، بطاقةُ أمانٍ لمرّةٍ واحدةٍ فقط.

لمع غضبٌ مُستعِرٌ في عيني (عزران)، وهو يقول بصوتٍ ثابتٍ:

- كلّ التحيّةِ لسيّد الجبال والغيلان.. نحن لن نحتاجَ كلّ هذا الوقت.. ولن ننتهك قوانين العزلة.

لم تعجب لهجته الغولَ الذي رضخ مرغمًا للقوانين والعهد حتى ينتهيَ

الوقت ليَفْتِكَ بهذا الهجين غيرِ نقيِّ الدماء، كي لا يجرؤ أمثاله على مجرد التفكير في عبور حدود مملكته، وأخذ يزومُ ويخوزُ كالثيران، وقد عاد الهواء الساخن ليعصف بالمكان، قبل أن يختفي كلّ أثرٍ له، ليستدير (عزران) نحو مدخل الكهف، وهو يهتف بهم في صرامة:

- اتبعوني.

كانت أعصاب أتباعه الأربعة قد تدمَّرت حرفيًا، فما حدث أمامهم فاق أبشع كوابيسهم، لدرجة أنّ أحدهم قد شاب شعره خلال ذلك اللقاء الجهنمي، وفكّر آخرٌ في قتلِ نفسه، فمن الشائع أنّ مواجهة غيلانِ الجبال تترك أثرًا نفسيًا سيئًا لا يمحى في النفوس الضعيفة، ممّا يجبر البعض على الانتحار الفوريّ، للتخلّص من هذا الضغط النفسيّ الرهيب.

ولكنّ صوت (عزران) كان أشدُّ وقعًا وإفزاعًا على نفوسهم، فتبعوه جميعًا مهرولين، إلى داخل الكهف المظلم، ليكتشفوا ويا للعجب أنّهم قادرون على الرؤية في الظلام دون جهد..

إنّ الطلسم يمنحهم قدراتٍ لم يحلموا بها قطّ.

وعندما اعتادت أعينهم الرؤية أكثر، وظهرت لهم تفاصيل الكهف، تركّزت أعينهم على سيّدهم الذي حمل صخرةً متوسطةَ الحجمِ، وألقاها إلى عمقِ الكهف، لتتوهّج شبكةٌ ضوئيةٌ متقاطعةٌ للحظةٍ، على أثرها انفجرت الصخرة، وتحوّلت إلى فتاتٍ منثور..

وشهقت المرأةُ في رعبٍ، في حين قبض الرجال على سيوفهم بشكلٍ لا إراديٍ، بينما تقدّم سيّدهم من الجدارِ الصخريّ القريبِ من شبكةِ الموتِ الخفيّة، ووضع الجهاز اللّوحي في تجويفٍ خاصٍ به لينطلق أزير خافت، وليعبر بعدها المكان دون تردّد..

لم يفهم أيٌ منهم كُنْهَ ما حدث، ولكنّهم تبعوه دون تردّدٍ يدل على ثقةٍ عمياء، فمن قهر حاملة القلادة، وتحدّى سيّد الغيلان، قادرٌ على هزيمة شبكةِ الموت، ثم توقّفوا وكلّ ملامحِ الدهشة ترتسم على وجوههم.

فالكهف هائلُ الحجمِ لم يكن مهجورًا أو خاليًا، بل مجهزًا بشكلٍ عجيبٍ لم يروه في حياتهم من قبل، ففي كلِّ مكانٍ تتناثر أجهزةٌ، ومعدّاتٌ، وتوابيتُ معدنيةٌ عجيبةُ التصميمِ، بعضها تمّ سحقه وتدميره بشكلٍ همجي.

وبداخل ثلاثة توابيتَ غيرِ مهشمةٍ، ذاتِ واجهاتٍ زجاجيةٍ مصفّحة تمدّد ثلاثةٌ من المخلوقات ذاتِ الوجه المجعّد، بعيونهم الثلاثة، وهيئتهم البشعة الشبيهة بهيئة (حاملة القلادة)، تتّصل بهم شبكةُ أنابيبَ معدنيةٍ، تنتهي إلى خزانٍ معدنيٍّ ضخمٍ، مزوّدٍ بمضخّةٍ تسحب من عين ماءٍ قريبة..

لم يفهم أيٌّ منهم ما يرونه بأعينهم..

فوقفوا مشدوهين، في حين لم تستطع المرأة أن تمسك لسانها، وهتفت دون وعيٍ:

- ما هذا بحقِّ الآلهة؟.

ولم يردَّ عليها أيٌّ منهم، فالوحيد الذي كان يفهم ما يدورحولهم، ويعرف حقيقة هذه الأشياء، كان سيّدهم الذي تلصّص على عقل (حاملة القلادة)، وعلم منها حقيقةَ هذا الكهف.

فبعدَ القذيفةِ المدمّرةِ مجهولةِ المصدرِ التي أعطبت مركبةَ جمع العينات التي كانت تستقلّها (حاملة القلادة) هي ورفاقها، وهم بعيدون عن مركبتهم الأمِّ وسط هذا العصرِ البدائيّ، أجبروا على الهبوط اضطراريا، في هذه المنطقة.

ولم يكن هبوطًا سلسًا أو هادئًا، بعد أن تدمّرت أجهزة التوجيه، فارتطمت المركبةُ التي فقد قائدها كلَّ سيطرةٍ له عليها ارتطامًا عنيفًا بالرمال، ممّا أدى إلى انفجارِ محرّكها الأيسرِ، وموت اثنين من رفاقها على الفورِ، وإصابة الثلاثة الآخرين إصاباتٍ فادحة، ونجت هي بمعجزةٍ مع إصابةٍ محدودة.

ولم يكن أمامها إلّا تحويلَ أقربِ الكهوف إليها إلى جناحِ طبيٍّ خارقٍ، بعد أن نقلت إليه كلَّ ما أمكنها إنقاذه من القسم الطبيّ في مركبتهم المحطّمة من مؤنٍ وأجهزةٍ ومعداتٍ، ومن ضمنها توابيتُ حفظِ العيّنات النشطة، التي لها مصدر طاقةٍ خاصٍ ومنفصلٍ، لتحافظ على حياتهم بعد أن دخلوا جميعًا في غيبوبةٍ عميقة..

ثمّ أدركت أنّ التوابيت نفسها لن تحقق هدفها، فهم بحاجةٍ لمصدرٍ دائمٍ يمدُّهم بالسوائلِ لترطيبِ أجسادهم، وحقنهم بالعقاقير المنشّطة التي ستعملَ على مداواةِ إصاباتهم الجسيمةِ، وتجديد خلاياهم حتى يتمَّ شفاؤهم بالكامل.

وعندما عثرت على عين الماء المتدفّقة بداخل الكهف، خطرت لها فكرةٌ عبقريةٌ، فمع بعض العمل، وباستخدام وصلاتِ التبريد في المركبة، وبعضَ المضخّات المحدودة، يمكنها أن تحوّل العينَ إلى مصدرٍ دائمٍ يمدّهم بالرطوبة، والعقاقير الشافية.

ولأنّ خصائص الماء في كوكبها تختلف بشدةٍ عن خصائص الماء على كوكب الأرض، لذا فإنّها عملت على تغيير تركيبِ ماء العين بمواد نادرةٍ من عالمها، وأضافت عليها بعض العقاقيرِ المنشّطةِ، وأصبحت تمدُّ رفاقها بسبلَ الحياة.

وبرغم هذا لم تكن سعيدةً، فمن المتابعة المستمرة لمؤشراتهم الحيوية أدركت أنهم لن ينجوا جميعًا، وأنّ عليها أن تظلّ بجوارهم، حتى تستقر حالتهم، وبالتالي فإنّها لن تستطيع بدءَ رحلتها صوب المركبة الأم في وقتٍ قريبٍ، لتعود بها من أجل إنقاذهم، ومغادرةِ هذا الكوكب المشؤوم.

وهنا قرّرت أن تكمل الشقَّ الثاني من مهمتها.

وتعمل على مداواةِ المصابين من عيّنات البشر الذين نجوا من عملية الهبوط العنيفة، والتي حصدتهم من بلدان العالم المختلفة..

وكانت المفاجأة الرهيبة..

فبعد أن حقنت أحد المصابين، بنفس الخليط المنشط الذي يجري في عروق رفاقها، رأت ما أذهلها.

فكلّ كسوره التأمت بشكلٍ سريعٍ، واختفت كامل جروحه وكدماته، وذهبت عنه كلّ آثار تقدمِ السنّ، واستعاد قوّته في وقتٍ قياسيّ، وعاد شابًا فتيًا، ومنحه الخليط قوّةً بدنيّةً غيرَ متوقَعَةٍ جعلته يحطّم قيوده المعدنيّة بكلّ بساطةٍ.

ودون أن تمنحه فرصةً ليفهم ما يحدثُ له، قامت بصعقه بسلاحها الخاصّ للسيطرة عليه وأخضعته للدراسة، متوقّعةً أن تستخرج من دمائه ما يمكنُ أن يفيدَ في علاجِ رفاقها.

وخلالَ ساعاتٍ محدودةٍ، تحوّلت إحدى زوايا الكهف إلىمعملٍ محدودٍ، وعن طريق بعض الأجهزة التي لم تتوقع أن تظلّ صالحةً للعمل بعد الحالة المزرية التي وصلت إليها المركبة.

وبكلّ حماسٍ بدأت أبحاثها عليه، وهو فاقدٌ للوعي، وانهتها بتشريحه حيًا.

لتجد أنّ الخليط الذي صنعته قد أخّرَ عمليةَ الأيضِ وهَدمِ الخلايا، بل عمل على تجديدِ التالفِ منها، واستنفر قواهُ الكامنةَ، كما حفّزَ خلاياه لتصنع حولها غشاءً مزدوجًا، يقلّل من تأثير مرور الزمن عليها، وأنّ هذا الخليط سيجعل من يتناوله من البشر أطول عمرا بشكلٍ لا يقاس.

أي أنّ مرور عامٍ كاملٍ، سيكونُ تأثيره على الخلايا كمرور يومٍ وربّما أقل، وبالنسبة لقِصَرِ دورة حياةِ هذه المخلوقات البشريّة، فهذا يعني أنّها منحتهم ما يشبه الخلود..

ومع كلّ مصابٍ تحقنه بالخليط، كان فضولها يستعر، وحماسها يتصاعد فالنتائج كانت مذهلة، وتأثير ماءِ العينِ كان مختلفًا من فردٍ لآخر.

ومع غمرةِ اندماجها في أبحاثها، لم تدرك أن المصابين البشريين الذين استردوا عافيتهم يتآمرون عليها.

وأنهم استغلوا فترةَ كمونها التي تشبه النوم وحاولوا الفتك بها وبرفاقها، وكانت مواجهةً رهيبةً بينهم، دمَروا خلالها الكثير من محتويات الكهف، فقرَرت أن تُجهِزَ عليهم، مكتفيةً بما سجلَته من معلوماتٍ وملاحظاتٍ ستحملها معها لعلماء كوكبها..

وبكلِّ قسوةٍ ودمويَةٍ، اشتبكت معهم في معركةٍ ضاريةٍ لم تتوقع أن تكون بهذه الصعوبة، وقضت على بعضهم فهي في كوكبها عالمةٌ فذَةٌ، ومقاتلةٌ لا يُشقُ لها غبار، وإن صمد البعض منهم في وجهها حتى أنهكوها مع ما حازوه من قدرات.

وأثناء انشغالها في الصراع مع أحد المصابين الذي منحه الخليط قوَةً بدنيَةً هائلة، استغَل مجموعةٌ منهم المعركةَ الدائرةَ، وقواهم الوليدة في الفرار والعودة لأوطانهم.

ومع تأخُرها في تتبَعهم والوصول إليهم مع افتقارها لأدواتها المتطورة، ووسيلة نقلٍ سريعةٍ مع تحطُم المركبة، أدرك الفارون كُنهَ الهبةِ التي حصلوا عليها.

وعندما تكاثرت الأقاويل حولهم، أفصح بعضهم عن السرِّ، وانتشرت قصَةُ (العين) لتتحول إلى أسطورةٍ يتمُ تناقلها عبر الأجيال.

لتنذر نفسها بعدها لاصطيادهم قبل أن يتكاثروا،ويتحول سكانُ الكوكب لمخلوقاتٍ لا يمكن السيطرةُ عليها في رحلاتِ صيدهم التالية..

فقد صُنفت مخلوقات الأرض لديها على أنها من أفضل أنواع الغذاء، والكوكب على بدائيَته مزرعةٌ كبيرةٌ وسهلةٌ لحصدِ هذه المخلوقات.

وكلَ هذا لم يكن يعني (عزران)، فما يهمه أنَه وصل إلى (العين) سواءً أكانت طبيعية أو مُخلقة، وقبل أن ينفذ مخزونها، ويجفَ ماؤها بسبب استهلاكه من قبل رفاقها المصابين، راغبا في أن تمنحه الخلود، وتمنحه

الوقت الكافي للتناسل وإنجاب سلالةٍ من صلبه تدين له بالولاء، ليحقّق طموحه الأكبر بفرض سلالته وهيمنته على العالم، ويحقّق انتقامه، ويمحوَ من سجلّه لفظ المنبوذ.

فسخّر كلّ ما امتلكه من قدراتٍ وعلومٍ سحريّةٍ من أجل هذه اللحظة، وقَبِلَ على مضض احتقار سيّد الجبال والغيلان له، كي يحقّق هدفه ويحظى بغنيمته..

وها هو هنا، مع من اصطفاه من أتباعه نواةَ مملكته الجديدة، لا يمنعهم عن العين شيء.

وأمام (العين) أقسم أن يدفع كلّ من آذاه أو سخر منه أو احتقره الثمن غاليًا..

فقط عليه في البداية، أن يُجهِزَ على المخلوقات الثلاثة الغارقة في الغيبوبة فهو لن يترك خلفه أيًا من أعدائه أحياءً ليتعقبوه في وقت تالٍ، معتمدًا في هذه المهمة على أتباعه.

فقسم الدم والعبور سيمنعه من سفك دمائهم في عرين سيد الغيلان والجبال بنفسه كي لا يمنحه الذريعة لمهاجمته مع زبانيته والفتك به، وهي معركةٌ لا طائلَ من ورائها، وأتباعه البشريون كفيلون بها، فهم لم يقسموا هذا القسم، ولا يخضعون لقوانين عالمه، وبعدها ستكون العين ملكه..

لقد استعّد جيدًا عندما علِمَ موقعها، وعلم من يحكم هذه البقعة من الصحراء ، وكيف يتخطى عقبته، باستخدام سطوة الإله القديم (شاتو).

فقط عليه الآن أن يستعّدَ للخطوة الأخيرة..

السيطرةُ على العين، وإخراجها من منطقة نفوذ الغيلان وسيّدهم..

فهؤلاء الحمقى لا يعلمون أيّ قوةٍ تقع في نطاق حدود مملكتهم.

ولذلك استدار فجأةً ليجفلَ أتباعه، فأشار لهم أن يقتربوامن الصناديق، التي تهشمت واجهاتها الزجاجيَة المصفَحة بمجرد أن لمسها بأصابعه، وأمرهم أن يجهزوا على من فيها..

وسالت دماؤهم الزرقاء لتُغرِق أرضيَةَ الكهف..

ليقف هو أمام العين، ويبدأ في الجزء الأخير من خطته..

فالعينُ لن تظلَ في موقعها، ولن يعرف مكانها إلا من يمنحه سرَها..

ومستخدما أعتى دروب السحر وأعقدها وضع لعنته على الكهف، وبصمته على العين، قبل نصفِ ساعةِ فقط من شروقِ الشمس..

وعندما انتهى من عمله الرهيب، استدار لأتباعه الأربعة، الذين كانوا في أقصى حالات التوتَر، وهو يقول في صرامة:

- لقد مَنَحتُكم الطلاسم الحماية، والقدرة على عبور حدودِ مملكة ذلك الوغد سيِد الجبال والغيلان.. وأتممنا مهمتنا بنجاحِ ساحقٍ، ولكنَ كلَ ما سعينا إليه سينتهي عند شروق الشمس لو لم نغادر مملكته، فهو يتحينُ الفرصة للتنكيل بنا، بعد أن أجبرته على قبولنا في منطقة نفوذه.

لذلك، وكي تنجوا بحياتكم عليكم أن تخرجوا خارج حدود مملكته قبل الشروق..

لا تأخذكم رأفةٌ بخيولكم.. عليها أن تخرجكم من المكان ولو نفقت، وبعدها لن نهرب من أحدٍ في هذا العالم، لأنه سيكونُ بالكامل تحت سيطرتنا..

قالها، ثمَ هرع يركض وهم خلفه، متجنبًا أن يستعمل قدراته السحرية في الانتقال كي لا يثير حفيظة الغيلان.

وبسرعةٍ ولهفةٍ غادروا الكهف وهبطوا حيث تركوا خيولهم، ومزقوا قيودها، وامتطوها، وانطلقوا بها في سباقٍ مع الزمن.

ولأن حسابات (عزران) دائمًا دقيقة، كانوا قد عبروا حدود مملكة

الغيلان مع أولَ خيوطٍ للشمس..

وعندما حاول سيَد الجبال والغيلان المتربّص بهم مهاجمتهم هو وبعضٌ من أبطش رجاله من الغيلان، منعهم حاجز خفيٌ من تتبّعهم بعد أن بدأت طقوس العزلة، واستطاع هو وحيواناته الأربعة.. كما يطلق عليهم.. الهرب.

وصرخاته الغاضبة، كانت أكبر دليلٍ على أنَ سيَدهم قد ربح معركته..

وعندما وصلوا إلى الموقع الذي تركوا فيه جيشهم، لم يجدوا إلاَ متاعهم متناثرًا في عشوائيّةٍ في كلَ مكان، والكثير من الدماء تخضّب الرمال.

لم يعثروا لهم على أدنى أثر..

وقبل أن يسأل أحدهم عن مصيرهم..

دوّى صوت (عزران) في عقولهم :

- لقد كانوا هم ثمن العبور، إنَهم مُلكٌ للغيلان الآن.

وعلى الرغم من قسوة أتباعه، ولكنّهم ارتجفوا، وهم يتخيلون مصيرَ رفاقهم الرهيب بين أيدي الغيلان في سجونهم المظلمة، وفي عالمهم الوحشيّ، الذي سمعوا عنه في طفولتهم حكاياتٍ مفزعة.

وكان هذا يعني أنَ مهمتهم انتهت..

وأنّه بوصولهم للعين سيبدأ عهدٌ رهيبٌ على الأرض.

والبشرية.

لا

قواعدَ مسبقة

الجهنمي

التاريخ: ٨٨٨ قبل الميلاد

المكان: هضبة التبت.

قرب غروب الشمس انتهى (عزران) من حفرِ النجمة الخماسيَةِ المقلوبةِ على الأرض الصخريَة القاسية، فوزَع على أطرافها خمسةً من الشموع السوداء المصنوعة يدويًا من دهون الموتى بدقَةٍ متناهية.

وبمهارةٍ كبيرةٍ قام بحفرِ دائرةٍ خارجيَةٍ شديدةِ الاتقان، يُطلق عليها دائرةَ الحماية، حول النجمة المقلوبة وبئرٍ مطويَةٍ بالحجارة كان يستخدمها رهبان التبت في جلب الماء، حتى جفَت على يديه بعد أن أعمل عليها سحره، في ذلك المعبد الصغير الموجود فوق ربوةٍ مرتفعةٍ بالقرب من أعلى جبال هضبة (چينك زانك)، أو (هضبة الهيمالايا) كما تعرف الآن، وفي أكثر أماكنها نائية، والذي أصبح تحت سيطرته، بعد أن أسر الرهبان الثلاثين الذين يقومون على خدمة المعبد وزائريه، وقيَدهم بمساعدةِ تابعيه الأربعةِ بطريقةٍ غير آدميةٍ وألقاهم متكدُسين في غرفة تخزين الطعام المظلمة، دون أن يمتلكوا أيَّ قدرةٍ على الحركة أو الاعتراض.

ومن إحدى زوايا الصومعة التي كان يؤدي فيها الكاهن التبتي الأكبر طقوسه اليوميَة، أحضر فرشاةً بدائيَةً، وقارورةً من الفخار تحتوي على سائلٍ أحمرَ قانٍ، وبدأ في رسم مجموعةٍ معقَدةٍ من النقوش والأرقام والطلاسم، بداخل فراغات الدائرة بدقَةٍ شديدةٍ يحسده عليها أمهر الرسامين.

والعجيب أنه كان يعتمد على ذاكرته فقط..

وهذا شيءٌ نادرًا ما يقوم به ساحرٌ مخضرمٌ يدرك خطورةَ ما يقوم به، فعند تنفيذ مثل هذه التعاويذ المعقّدة، يكفي خطأ واحدٌ ليفسد العمل، أو ينقلب على صاحبه، ولكنّه كان يمتلك مهارةً عاليةً على الحفْظِ، وذاكرةً فريدةً، لم تخذله يومًا

وهو يدركُ هذه النقطة جيدًا، وقد سعى إليها، حتى أنّ معلمه وأباه الروحيّ (نيريا) أطلق عليه لقب (الجهنمي) فلم يكن يعجزه شيء.

وهذا أشبع نوعًا من الغرور لديه، وجعله موضع كراهيَةِ كلّ من يتعامل معه، خاصّةً مع القناع الذي يرتديه على الدوام، والذي لم يرهُ أحدٌ بدونه قطُّ.

ولم يكن معلمُهُ شخصًا عاديًا هو الأخر، بل كان أحدَ أعظم ثلاثةِ من السحرة في هذا العصر، حيث كان من مؤسسي الطائفة (القبلانية) أقدم مدارس السحر اليهودية، وأكثرها ظلامًا، ووحشيّةً.

وبرغم كونِ معلمه يهوديًا قحًا، إلا أنّه لم يبخل عليه بأيّ من علومه، أو أسرارِهِ، أو معارفِهِ المحرّمةِ، فقد وضع نصب عينيه بعد أن تبناه، ومنحه اسمه، أن يجعل منه خليفته، بعد أن لمس لديه غريزةً متّقدةً، وذكاءً مخيفًا، ودرجةً عاليةً على الحفظ، واسترجاع المعلومات، وسرعةً مذهلةً في تَعَلِمِ اللغات، وهوسًا كبيرًا بفكّ الطلاسم لم يرها في أيٍّ من تلاميذه قطُّ..

فهو يراه وريثه الشرعيّ برغم أنه ليس من صلبه، بعدعجزه عن انجابِ من يحملُ ميراثه الدنس، نتيجةً عهدِ قطعه في بدايةِ حياته عندما باع روحه لأحد الشياطين، وأقسم ألّا ينجب من صلبه ذريةً، كما هي عادة التضحية لدى السحرةِ من ممارسي طقوس السحر الأسود وفنونه، فلا شيء بلا ثمنٍ في هذه العوالم الملعونة.

ومع مضي الأيام، رأى (نيريا) حلمه يتجسّد أمام عينيه في وريثه العنيف الذي اكتسب عداوةَ كلّ رفاقه..

ويومًا بعد يومٍ كان انبهاره ب (عزران) يزداد بسبب جرأته، وسرعة استيعابه وإتقانه وتنفيذه لأصعب التعاويذ، وأكثر ما خلب لبّه؛ هو ذاكرته القويّة، التي كانت تلّم بأدقّ التفاصيلِ، فعلّمه كيف يقّويها وينّميها أكثر، فذاكرته هي أقوى أسلحته، وعليه أن يحافظ عليها، فالرقاع والمخطوطات إلى زوال، وبسببها ضاعت الكثير من المعارف والعلوم التي كان من الممكن أن تغير وجه الحياة في كلّ العوالم.

وبينما (عزران) يتشرّب خلاصة العلوم والفنون المحرّمة من معلمه الأريب، كان يبطن في أعماقه خططًا ومشاريعَ أخرى.

فطموحه أكبرُ من أن يكون مجرد ساحرٍ مهما بلغت قوّته وما حازه من قوىً، ومعارف، وأسرارٍ مظلمة.

فهو يحلم بالهيمنة، والقوّة المطلقة.

إنّه يعلم أنّه مختلف..

وهذا الاختلاف ظلّ نقمته، وسرَّ عدم ثقته بنفسه طوال حياته، وأجبره على ارتداء قناعه، حتى تعلّم أهمَّ درسٍ في الوجود: أنّ الاحترام، لا يولد إلا من رحم الخوف.. ولكي يخشاكَ الجميع، ويقدموا لك فروض الولاء والطاعة، عليك أن تتحلى بالقوّةِ المطلقةِ والجبروت، وأن يكون اختلافك هو سرُّ تميُّزك، والموت هو الرحمة الوحيدة التي تمنحها لأعدائك.

وهذا ما جعله يصبرُ، ويتحمل طريقة (نيريا) القاسية، حتى تشرّب وأتقن على يديه كل العلوم والفنون السحرية، والسفليّة التي ستمكّنه من أن يحقّق مخططه الطموح.

بل وخاض في جلّ الأمور المحرّمةِ التي لم يجرؤ أيّ ساحرٍ آخر على تجربتها قبله أو بعده، وتواصل مع الكيان العلوي (شاتو) متعدّد الوجوه في بُعده السريّ، والذي لم يجرؤ معلمه على مجردِ ذكر اسمه، ممّا أقلق الساحر اليهودي العجوز وجعله يتساءل في حيرةٍ بينه وبين نفسه، عن

الهدف الذي يسعى إليه، وما يخفيه في أعماقه، وإن أدرك بدهائه أنه شيءٌ لا قبل لأحد به من العالمين ..

وعندما باتت جرأته تخيفه، طالبه بالتروي؛ فراح يردِّد على مسامعه الحكمة التي تعلمها على يديه: أن المغامر وحده من يحصل على الغنيمة الكبرى، وأنّ المتردِّد سيظل في مكانه دون تقدُّم.

وهو أقسم بينه وبين نفسه، وألا يستسلم لما فرضه عليهالقدر، وسيصنع قدره الخاص.

وأنَّه لن يوقفه شيء.

أيّ شيء.

الظلام يلتهم ملامحه المخيفة التي قام بدهانها بطلاءٍ أبيضَ شاحبٍ فجعلها أكثر وحشيَة.

ولكنّ الظلام لم يكن يعنيه، فهو قادرٌ على الرؤية في أشد الأماكن ظلمةً وحلكة، فلاختلافه مميزاتٌ كثيرة، كان يعميه قنوطه الدائم عن رؤيتها.

هيئته الضخمة منحته سمت مصارعٍ، وحركته السريعة جعلته أقرب إلى الأشباح، وأنيابه أظهرته كالضواري.

ووسط الصمت الشامل، رجّت المكان زمجرته المروعة، وهو يتنفس بشكل متلاحقٍ سريعٍ، وكأنَّه يعاني من فرط التنفس، وفي عقله لم يكن هناك سوى فكرةٍ واحدة محت بجوارها كلّ أفكاره الأخرى..

فها هو قاب قوسين أو أدنى من أن يمتلك إلى الأبد، أعظم قوّةٍ في الوجود.

القوة القادرة على قهر الموت، ومنحه الخلود، والشباب الدائم، والذي لم يحظَ به مخلوقٌ مثله قطّ..

أن يمتلك (عين الحياة).

صحيحٌ أنّه بذل من أجل الوصول إليها وقتًا كبيرًا، ومجهودًا مضنيًا، وسفك في طريقه أنهارًا من الدماء، ولكن لا شيء سيجبره على التوقف، حتى لو أفنى البشرية كلّها.

وها هو على وشك حصدِ ثمارِ عمله الرهيب.

ولذلك عمل بحماسٍ على الانتهاء من تلك التعويذة المعقّدة التي يقوم برسمها بداخل الدائرة التي تحيط بالنجمة الخماسيّة المشؤومة.

تلك التعويذة التي حذره (نيريا) من مجرد محاولة تجربتها، لأنّها قد تكون سببَ هلاكه، فلكلّ ساحرٍ حدٌّ يجب أن يتوقف عنده.

وهو لم يكن يؤمن بالحدود، وكانت ثقته في نفسه وفي سحر اليهود الذي أتقنه على يد معلمه المخضرم، ثقةٌ عمياء.

وبعد ست ساعاتٍ كاملةٍ كان قد انتهى من رسم آخر حرفٍ في التعويذة، فأخذ يتنفس بسرعة ويخرخر كالقطط..

وطوال ساعةٍ كاملةٍ، طفا جسده في فضاء الصومعة بنفس وضعية التأمل العميقة التي يمارسها الرهبان، وراح يصفّي بها عقله، ويستعيد قواه المهدرة، استعدادا للّحظة الحاسمة التي سيبدأ فيها أخطر طقوس يمكن أن يقوم بها ساحرٌ عبر التاريخ..

كان يعلم أنّه على وشك خرقِ قوانين العبور، ونقض أقدم عهودٍ ومواثيقَ تمّ وضعها بين ملوك الجنّ بعد معاركَ ضاريةٍ، كما أنّه سينتهك طقوس العزلة التي فرضها الغيلان.

ولكنّه فعل ما هو أكثر من هذا، ولم يعد هناك مجالٌ للتراجع .

فكلّ متراجعٍ خاسر..

وهو لن يخسر هذه المعركة، ولو تحدى شياطين الكون أجمع..

ولذلك، وبكل هدوءٍ، أنهى جلسته التأمليَة، وهبط جسده بانسيابيَةٍ على الأرض الصخريَة الباردة، لينهض بعدها بكامل قوته وحيويته، وكأنَه نسي المجهود المضني الذي بذله في الإعداد للتعويذة المحرمة.

ليخرج بعدها من الصومعة، فينتفض من أماكنهم معاونيه الأربعة، وهم يتأملون في رهبةٍ، ملامحه التي لا تَمتُ للبشر بصلة، والتي ازدادت وحشيَة..

كانوا ينتظرونه منذ ساعاتٍ في ساحة ذلك المعبد الصامت الذي تفوح منه رائحة بخورٍ عتيقةٍ مكتومة، ويكاد يقتلهم الترقب والقلق، ليبادرهم قائلًا بصوته العجيب الأقرب إلى الزمجرة:

- اتبعوني، فقد حان الوقت.

وكأنَ صوته صاعقةٌ مزلزلةٌ ضربت أجسادهم فانتفضوا لها بقوَة، برغم ما تظهره هيئتهم من قوَةٍ وجلدٍ.

فهم على وشك حضور أخطر وأعظم حدثٍ في تاريخ البشريَة، بصحبة أكثر مخلوقات العالم وحشيَة، والذي أقسموا له على الولاء والطاعة، دون أن يأمنوا مكره، فمصير رفاق رحلتهم السابقة مازال يؤرِّق أحلامهم، والذين قدَمهم بدمٍ باردٍ قربانًا للغيلان.

في البداية كان جشعهم، وطمعهم هو ما يقودهم..

والآن لا يقودهم إلَا خوفهم منه..

وهذا جعلهم يتبعونه بخطواتٍ مهرولةٍ صوب الصومعة، مقرُ إقامة كبير الرهبان السجين.

وعند باب الصومعة، أمرهم بخلع ثيابهم، فأطاعوه دون تفكير، ليظهر على صدر كلَ منهم الطلسم الغائر المحترق، والذي تألق فور أن سمح لهم بالدخول، ليتذكروا مواجهتهم الرهيبة السابقة مع من يستعدون لتحديه الآن.

ولدقيقةٍ كاملةٍ ظلَّ (عزران) على صمته، فلم ينطق أحدهم بحرف، حتى قطع الصمت ليقول بصوتهِ المشوَه:

- كلُ ما واجهتم خلال السنوات الثلاثة المنصرمة شيءٌ، وما ستواجهون الآن هو شيءٌ آخر..

عليكم أن تنزعوا من قلوبكم كلّ ذرّة خوفٍ أو تردّد.. ومهما شاهدتم من حضور مخيفٍ أو أحداثٍ مفزعةٍ، فتجلدوا، فالطلاسم ستحميكم إلى حدٍّ كبير من الأخطار التي ستحيط بكم، وثقتكم في سيّدكم، وحدها من ستنجّيكم في النهاية..

فالآن سنقوم بأخطر وأعقد طقوسٍ في تاريخ السحروالسحرة، فأنتم تعلمون جيدًا الموقع الأخير لـ(عين الحياة)، وتعلمون أنّها تقع في منطقة نفوذ واحدٍ من أخطر ملوك الجان، وأكثرهم بطشًا، وعلينا انتزاعها منه دون إرادته، وقبل أن يصل لسرها الذي يغفل عنه حتى هذه اللحظة.

العين لنا.. ولحظة جبنٍ واحدةٍ قادرةٌ على إفشال كلّ شيء..

من يرغبُ منكم في التراجع، فهذه فرصته الأخيرة، لأنّ من سيخطئ منكم بعدها سينال كامل غضبي، وسأجعله يحلم بالموت دون أن يناله، وبعد أن أنتهي منه سأنهشه حيًا بأنيابي.

سرت قشعريرةٌ باردةٌ في أجسادهم فور أن انتهى من حديثه وتهديداته، فقد رأوا بأنفسهم ما يمكن أن تفعله أنيابه الحادّة المسنونة كالحراب، فكل خياراتهم مفزعة، ولكنهم في النهاية يثقون في قدراته، ولن تكون المرّة الأولى التي ينقذ فيها أعناقهم.

فلو كان الاختيار بأيديهم، فهم لن ينحازوا ويطيعوا إلّا هو..

وعندما رأى هو نظرة التصميم في أعينهم، تقدَمَ ببطءٍ صوب مركز الصومعة، ووقف في قلب الدائرة التي تحتوي النجمة الخماسيّة المشؤومة، فاشتعلت الشموع السوداء من تلقاء نفسها، لينتج عنها

رائحة نتنة خانقة.

ودون تأخير حدّد لكلّ منهم مكانه على أحد أطراف النجمة الخماسيّة، ثمّ أغمض عينيه، وراح يردّد كلماته المخيفة، باللغة السومرية القديمة، التي يطلق عليها لغة الجن..

لحظاتٌ وأخذ كلّ شيءٍ حولهم يرتّج بقوة..

وعصفت بالمكان ريحٌ ساخنةٌ، رفعت حرارة المكان لدرجةٍ لا تطاق..

ثم تصاعدت في الهواء رائحة كبريتيّةٌ خانقةٌ، وهو مستمرٌ في تكرار كلمات التعويذة الجهنميّة..

وفي النهاية، بدأت ظلالٌ سوداءُ مفزعةٌ في الإحاطة بهم، وسمعوه يقول في صرامةٍ:

- صوتي وحده هو الدليل، فلا تنصتوا لأيّ صوتٍ آخر مهما بدا لكم مغريًا، ولا تغادروا دائرة الحماية، فخيرٌ لكم أن تمزّقوا إربًا داخلها على أن تُلعنوا خارجها من قبل تلك الظلال الشيطانيّة..

كان الرعب قد ملأ قلوبهم، فتلك الظلال الشيطانيّة السوداء، كانت تقترب منهم حتى تكاد تلامس وجوههم، وهي تهمس لهم بصوتٍ كالريحِ كي يتبعوها، وهي تعدهم بكلّ مغرياتِ الدنيا.

ودون اتفاقٍ مسبقٍ، استنفروا جميعًا إرادتهم، وجعلوا آذانهم لا تنصت إلّا لصوت سيّدهم الذي صارت ملامحه أكثر شيطانيّةً من الظلال نفسها، والذي عاد ليصرخ بلغة الجنّ، ليرتجّ الجبل الذي يقع على قمته المعبد، قبل أن تبدأ تلك الظلال الشيطانيّة في الصراخ، بشكلٍ كاد يصيبهم بالصمم، ولكنّ صوته كان لهم كطوقِ نجاةٍ وهو يهتف بهم:

- لا تنصتوا لها، وردّدوا خلفي الكلمات، حتى لو لم تكونوا تفهموها..

وطوال نصف ساعةٍ كاملةٍ، كانوا يردّدون الكلماتِ العجيبةِ، ويرون أمام أعينهم تجسداتٍ رهيبةً، لمخلوقاتٍ مفزعةٍ لم يتخيلوا وجودها

حتى في أبشع كوابيسهم، وجميعها تحاول اقتناصهم، لولا الطلاسم التي صَنَعَتْ حول كلّ منهم هالةً من النيران، في مشهدٍ مروعٍ..

وكان من الواضح أنّ هناك صراعًا رهيبًا يدور بين سيّدهم وقوىً خفية لا تبصرها أعينهم، ولكنهم ظلوا يردّدون الكلمات خلفه، حتى جفّت حلوقهم ، وأرهقت حبالهم الصوتيّة، دون أن يوهنوا أو يتوقفوا، إلى أن أمرهم سيّدهم بالصمت، وهو يقول بصوته المرعب:

- لا تفزعوا.. أو تهلعوا من القادم، وركّزوا مع صوتي..

وفي اللحظة التالية، حدثت فرقعةٌ عاليةٌ جعلت قلوبهم تنقبضُ، وإن ظلوا على ثباتهم في أماكنهم، وعيونهم تتسع في دهشةٍ، وهم يرون خارج حدود الدائرة، عشرةً من الرهبان المقيّدين، الذين فوجئوا هم أيضًا بقوةٍ خفيّةٍ تنتزعهم من محبسهم لتحضرهم إلى هذا الجحيم..

والشيء المرعب، أنّ الظلال الشيطانيّة لم تمهلهم أيّ وقتٍ للفهم، وهي تتخطّفهم، وتمزقهم إربًا في لحظاتٍ، لتغرق دماءهم وأشلاءهم المكان، دون أن يجرؤ أيٌ منهم على اقتحام الدائرة الجهنميّة التي تألقت كل نقوشها فجأةً، ليصرخ سيّدهم في قوةٍ بلغةٍ عجيبةٍ لم يفهما أيٌ منهم، وهو يعمل على استدعاء سلاحه السرّيّ، الأعتى، والأقدم عمرًا، والأشدّ فتكًا صارخًا :

- الآن أيها المعظّم (شاتو)، امنحني مباركتك، وقوّتك، لنهزم الموت معًا.. الآن، وإلّا لا إلى الأبد.

وعلى أثر صرخته، اجتاحت المكان برودة عالية،وعصفت بهم رياحٌ أقرب لرياح السموم، أطفأت الشموع، ليسود ظلامٌ دامسٌ وبرودةٌ جعلت أفكارهم نفسها تتجمد، وأجبرت الظلال الشيطانيّة على التوقف..

وارتجّ الجبل بقوةٍ أعظم، وكأنّما ستُخسَفُ به الأرض.

وأمام أعين أتباعه الأربعة، انشقّ الظلام عن فجوةٍ مضيئةٍ في الفراغ

الذي يعلو البئر الجافَة، ومن خلالها اندفع شلالٌ قويّ من الماء الهادر، نحو أعماق البئر، متسببًا في ضجيجٍ هائلٍ، وسط صرخاتِ الظلال الشيطانيَة..

واستمر تدفّق الماءِ لفترةٍ من الزمن، تحوّل خلالها المكان إلى جحيمٍ من الأصوات، والظلال تحاول تخطي دائرةِ الحماية، ومحاولةً اختطافهم هم وسيّدهم..

وما أن انتهى تدفّق الماء، حتى عاد سيّدهم الوحشي ليصرخ بنفس اللّغة المخيفة التي عجزوا عن فهما:

- المجد للمعظَم (شاتو) .. الآن أمنحك التضحية الكبرى.

وأمام أعينهم ظهر من العدم من تبقى من الرهبان الثلاثين، يسبحون في قلب الهواء كما حدث لرفاقهم من قبل، وقلوبهم تكاد تتوقف من الرعب.

وقبل أن تتخطَفهم الظلال الشيطانيَة، اشتعلت فيهم جميعًا النيران، وهم على قيد الحياةِ، فحوّلت صرخاتهم المتألمة المكان إلى جحيمٍ، وقد عبق الهواء برائحة احتراق اللّحم البشري..

وأخذ اتباعه الأربعة ينظرون في ذهولٍ لما يحدث..

ولم تترك لهم الأحداث فرصةً ليعبروا عن مشاعرهم، عندما ظهر من قلب الفجوة، وجه غولٍ كثيفِ الشعرِ، له عينان صفراوان مشقوقتان طوليًا كأعينِ الثعابين، وكان يهُم بعبور الفجوة، هو ومجموعةٌ من المسوخ الغاضبة إلى داخل الصومعة ليفتكوا بهم، ليهتف سيّدهم بقوّةٍ:

- الآن أيها المعظَم.. الآن تمنحني مباركتك العظيمة، والآن ننهي سويًا ما بدأناه.

وعلى أثر كلماته، عاد الجبل ليرتجّ، وتوهجت الفجوة بضوءٍ قويٍّ أغشى العيون، ثمّ انكمشت بسرعةٍ، لِتسحقَ بداخلها، جنود أخطر ملوك

الجان في مملكة الحجاز، معلنةً تحدّيَهُ الوقح له.. مكتسبًا عدوًا رهيبًا لا ينسى ثأره أبدًا.. ليهدأ بعدها كل شيءٍ، ليصرخ سيّدهم في ظفرٍ:

- العين لنا.. لا موت ولا شيخوخة ولا ضعف بعد الآن، المجد لك يا (شاتو) المجد لوجوهك المتعدّدة.

ثمّ اندفع بلهفةٍ نحو البئر لينهل منها ما استطاع، فى حين تساقط تابعوه الأربعةُ على الأرض من فرط التعب والانهاك، وهو ينظرون إلى هيئته الوحشيّة، والماء الداكن الذي أغرق وجهه وصدره، متوقعين الغدر في أيّ لحظةٍ.. فقد أتمّوا مهمتهم الرهيبة بجدارةٍ.. ولم تعد لهم فائدة..

ولكن في اللحظة التالية حدث ما جعل كلّ شكوكِهم تتبخر، وقلوبهم تهدأ وتستكين.

فمن قلب البئر تدفّقت نحوهم أربعة خيوطٍ من الماء، وتحرّكت نحوهم كالأفاعي، قبل أن ترتفع أمامهم، لتحاذي شفاههم..

وبدون تفكير أخذوا ينهلوا منها دون توقفٍ..

ليشعروا في اللحظات الأولى بطاقةٍ وحيويّةٍ لم يشعروا بها في حياتهم قطُّ، وصفاءٍ ذهنيٍّ جعلهم يدركون أنّ العين هي الكنز الذي يفوق كلَّ الكنوز مجتمعةً، وأنهم أقوى مخلوقاتِ الكون.

وقبل أن يستمتعوا بما حصلوا عليه، بدأ الالم الحارقيجتاح أجسادهم، التي بدأت تعتريها تحولات مذهلة..

وبرغم أنّ سيّدهم شرب أضعاف ما شربوا، ولكنّه كان يقف أمامهم في ثباتٍ، وعلى وجهه ابتسامةٌ وحشيّةٌ، وهو يشاهد تلك التحولات الرهيبة، وكأنّه كان ينتظرها أو يتوقعها..

ولدقائقَ بدت لهم كالقرون، لم يتحرك من مكانه، حتى هدأت أجسادهم، واستكانت حركتهم، وراحوا يلهثون في قوةٍ..

وأمام عينيهِ الحادَتين، رأى أحدهم يطفوا في الفراغ، بعد أن أكتسب جسده قدراته الجديدة، في حين قبضت المرأة المتألمة على أحد الصخور فتفتت في يدها، وكأنها مصنوعة من الفخار الهش.

ولم ينتظر ليرى ما حازه بقيّة أتباعه من قوىً، فقد منحته العين أكثر ممَا كان يحلم به..

والآن عليه أن يبدأ في تغيير التاريخ وموازين القوّةِ في كل العوالم..

لقد امتلك الوقت كلّه..

والقادم كلّه سيكون رهنَ إرادته..

*****

المستقبليون

عقد (لبيب عمران) حاجبيه عندما أنهى العمدة (فاضل) حكايته عن (الجهنمي)، و(حاملة القلادة)، وقال في دهشةٍ فشل في إخفائها عن (فاضل) أو أيٍّ من أفراد فريقه:

- هل معنى كلامك هذا أنها لعنةٌ فضائيّة ممتدة عبرالأجيال، ثمّ من أين لك بكلِّ هذه التفاصيل الدقيقة، إنَ بعضها يسبق مولدك بعدّة قرون، فهل من قدراتك الخارقة معرفة الماضي؟

هزَّ (فاضل) رأسه نافيا، وهو يقول في سرعة:

- بل هذا ما أخبرنا به المتبصّر الراحل.

وهنا صمت (لبيب) لبرهةٍ من الوقت، قبل أن يقول في قلقٍ:

- إنّ الأمر أخطر ممّا اعتقدت بالفعل، ويمسُّ كلّ العوالم، و..

وقبل أن يتمَّ عبارته، قاطعته المرأة ذات الهيئة العسكرية قائلةً:

- الأمر أخطر ممَا يظنُّ الجميع، لقد قمنا بتحرياتنا الخاصّة التي أمرتنا

بها يا سيد (لبيب)، وما جمعناه من معلومات يدلّ على كارثةٍ كبرى..

فالاختراق الذي تحدّث عنه (رفيق) حقيقي، أما المفاجأة الأخطر، أنّ (رفيق) نفسه هو أصل هذا الاختراق، فهو يعمل مع جهةٍ مجهولةٍ، وقد جَنّدَ بحكم موقعه كلّ موارد وإمكانيات القطاع لخدمتها، و..

وقبل أن تكمل حديثها، ارتجّ المكان بقوةٍ، وانطلق الأزير في المكان، واخترق سقف الغرفة بشكلٍ مدهشٍ، ثلاثة خيوطٍ سميكةٍ من الضوء ، تجسّد من خلالها ثلاثةٌ من الملثمين.

وعلى الفور انتفض (فاضل) من مكانه وشهر مسدسَه الشخصي في اتجاههم، وشهر لبيب ورجاله أسلحتهم بطريقةٍ احترافيّةٍ، وهم يعترضون طريق الملثّمين، الذين وقفوا في منتصف الغرف، دون أن تظهر عليهم نيّة الاشتباك، ليهتف العمدة في هلع:

- لقد عاد السفّاحون.

ليدوّي صوت أحدهم في صرامةٍ:

- نحن لسنا سفّاحين، نحن السلاح الأخير للأرض، قبل فناء مستقبلها.

ليردّ العمدة في عناد:

- بل أنتم سفّاحون وقتلة، وذقنا على أيديكم الويل..

ليكرّر الملثّم:

- بل نحن الأمل الأخير.

وهنا استنتج (لبيب) الذي راح يفحص في اهتمام هؤلاء المتوحّشين الذين قرأ عنهم الكثير من التقارير، وصنّفهم أشدّ أعداء وطنه وكوكبه، أنّهم هذه المرّة لم يأتوا لحصد الأرواح كعادتهم، بل أتوا للحديث، وهذه نقطةٌ هامّة، ستمكّنه من جمع المزيد من المعلومات عنهم، ولا يجب لأحدٍ أن يفسدها، لذا ودون أن يأمر رجاله بخفض أسلحتهم، أدار

بسرعةٍ دفة الحديث قائلًا:

- أعتقد يا عمدة أنهم لم يأتوا هذه المرَة لخوض قتالٍ جديد، إنهم لا يرغبون إلَا في الحديث.

ابتسم أحد الملثمين أسفل قناعه، وهو يقول بإعجابٍ:

- ذكاءٌ نادرٌ يا سيّد (لبيب)، ولكننا لم نأتِ للحديث فقط، بل جئنا نطلب مساعدتكم..

ولم يستطع العمدة أن يسيطر على أعصابه، فصرخ:

- مساعدة من أيّها المجرمون، لولا مناعتي لكنت فيعداد الأموات مجرد كومةٍ من الرماد، هل تعتقدون أننا سنمدُّ يد العون لكم، إنّ بيننا ثأرٌ ودمٌ، وستدفعون الثمن، و..

وهنا اقترب منه (لبيب) بسرعةٍ، وقبض على ذراعه، وهو يقول في صرامة:

- لتهدأ يا سيّد (فاضل) فمن الواضح أنّ وراء الستار ما نجهله، دعنا نستمع إليهم ثمّ نقيّم الوضع و...

وقبل أن يكمل شهق العمدة في صدمةٍ، وعيناه تتألقان في غضبٍ وهو يشير في عصبيّةٍ إلى أحد الملثّمين:

- اللّعنة، لقد صدق حدسي، إنّ هذا السفاح من أبناء (عين الحياة)، ولابدّ وأنه من الجيل الجديد، لأنني أعرف القدماء جميعهم، ولكنّ الرابطة الخفية التي تربط بيننا هي ما جعلتني أدرك سرّه..

وهنا هتف (لبيب) في صرامة:

- لتهدأ يا عمدة، فمن الواضح أنّ الأمر خطير بالفعل..

وهنا قاطعه الملثم، وهو يكشف عن وجهه، ليظهر وجه (باهر) المنهك، ويتبعه رفاقه، الذي ويا للعجب كان من بينهم (رفيق) لتتأكد كلّ

شكوكهم عنه وعن خيانته، وهو يقول في صرامة:

- بل أخطر ممَا يظنُ أيُ شخصٍ في العالم، نعم أنا من أبناء (عين الحياة)، ولكنَها هبةٌ لم أسعَ إليها قطُ، وفرضت عليَ فرضًا.. وأنا بالفعل قائد (السفَاحين) كما يطلق عليهم العمدة، وكل ما أريق، وما سيراق من دماءٍ، تمَ وسيتمُ من أجل هدفٍ سامٍ، فنحن ندافع عن مستقبل الأرض..

وهنا قاطعته (ميريت) المرأة ذات الهيئة العسكرية، متسائلةً:

- لماذا تردِد هذه الجملة كثيرًا يا هذا، وكيف تعرف مستقبل الأرض؟

شدَ (باهر) جسده، ليظهر جديته، وهو يجيبها في حسم:

- لأنَنا جميعًا قادمون من المستقبل، من خطٍ زمنيٍ آخر، وندرك كلَ أبعاد الخطر المحيق بالبشرية.

وهنا ضيَق (لبيب) عيناه، وسأله بسرعةٍ:

- وما معنى هذا؟

- معناه أن الارض ستسقط فريسةً لغزوٍ رهيبٍ، يقوده ذلك (الجهنَمي) الذي صنع أسطورة (عين الحياة) عبر الأجيال، والذي استغل تقنيةً فضائيَةً قديمةً في أن يحصل على خلودٍ زائفٍ هو وأتباعه، ولأنَه ينتمي لسلالةٍ حقيرةٍ مهجَنةٍ بين الجنِ والبشر، فقد كانت لديه عقدة نقصٍ مزمنةٍ جعلته يرغب في اعتلاء عرش الأرض والأبعاد، والانتقام ممَن نبذوه.

ونحن نحاول إفشال مخططاته، بعد أن نجح عالم مستقبليٌ مكلومٌ في تطوير تقنيات الانتقال عبر الزمن، فصنعنا هذا الخطَ الزمنيَ الفرعيَ كي نقوم فيه بكلِ التعديلات اللازمة لإنهاء لعنته، ولكنَ سوء الحظ كان يلازمنا.. فانتقالنا خلال مجرى الزمن، أفقده الزمن ثباته، وأنشأ حزمةً من التفرعات المدمرة، وكلَما أصلحنا الخلل في فترةٍ زمنية معيَنةٍ، ظهر الخلل في أخرى، فبدلًا من أن نخوض معركةً واحدةً ضد

(الجهنّمي) تشتتنا في مئات المعارك الجانبية.

فخللٌ واحد في أي حدث مهما كانت تفاهته، كفيلٌ بصنع سلسلة من الأحداث الجديدة، التي كانت تجبرنا على البدء من جديد..

نحن نقاتل بكل قوتنا، لتغيير مستقبل الأرض المظلم، وما يحدث في هذا الخطّ الزمنيّ الفرعيّ، هو وسيلةُ النجاة لإصلاح الخلل الرهيب الذي بسببه توشك مهمتنا على الفشل.

أدار (لبيب) المعلومات في عقله في سرعة ثمّ سأله:

- وهل معنى هذا أن حياتنا في الخطّ الزمنيّ لو صدق زعمك مجرد وهمٍ صناعي قمتم بتخليقه؟

ظهرت الحيرة على ملامح (باهر)، وهو يجيب:

- لا يمكن الجزم بهذا، ولكنّه أحد الاحتمالات القائمة.

وهنا ظهر الشكُّ على وجه (لبيب) وهو يتساءل في حيرةٍ:

- أمعنى هذا أنّنا قد نجد أنفسنا، نحيا حياةً مختلفة؟

هزّ (باهر) رأسه مؤمّنًا، وهو يقول في عدم يقين:

- ربّما.. وعلى كلّ حالٍ، لو نجحنا في مسعانا، لن يدرك أيّ منّا ما حدث قطّ، فقط سينتهي الخطر، ويعود التوازن لسيال الزمن.. إنّ الأمر معقّدٌ، ولكن يمكن تلخيصه ببساطة في أنّ كل ما بدأه (الجهنّمي) لن يحدث، وسيستمر الجنس البشري في إعمار الأرض والفضاء..

أدار (لبيب) التصور العلمي الجديد في رأسه، ثم تجهّم وهو يقول:

- إنّ الأمر لا يمكن أن يكون بمثل هذه البساطة التيتحاول طرحه بها، فالتغيّرات الجديدة، قد ينشأ عنها واقعٌ مختلفٌ في الخطّ الزمنيّ الرئيسيّ، وقد لا نتواجد نحن أو أيّ من أحبائنا في الحياة القادمة..

ظهر الاعجاب على وجه (باهر) من جديد، وهو يقول في هدوء:

- إنها تضحيةٌ كبرى، ولكنَها حتمية..

شرد (لبيب) للحظة ثمَ نظر لرفيق في لومٍ، وسأل (باهر)، وعيناه تضيقان:

- الأمر معقدٌ بالفعل، ولكن عندي سؤال أخير يثير فضولي: لماذا قمتم بهذه الخطة المعقَدة لجمعي مع (فاضل) في مكانٍ واحد؟ فبوجودكم، ووجود (رفيق) بصحبتكم، لم أعد أعتقد في كونها مجرَد مصادفةٍ قدريَةٍ غير مرتبةٍ.

ثمَنَ (باهر) ذكاء (لبيب)، وعقليته التحليليَة المنظمة، وهو يجيب قائلًا:

- في البداية كانت خطتنا من أجلكم تتمَحور حول معرفة مكان عين الحياة، مستخدمين ذلك الرباط القوي، الذي يربط بين (فاضل) وعين الحياة وسيَده الجهنَمي، بالإضافة لقدراتك الاستثنائيَة، في معرفة أماكن الخبيئات والكنوز، وكنا سندمرها قبل أن تبدأ سلسلة الأحداث الرهيبة هذه، ولكن مع فشلنا في انهاء كلَ مهامنا بالشكل الأمثل، ومع عدم قدرتنا على الوصول للنقطة الزمنيَة المطلوبة، فقد تبدلت الخطط تمامًا.

لقد فشلنا في هذا الخطُ الزمنيَ حتى أوشك على الانهيار، والخطَة الجديدة التي أعمل عليها، تقتضي منَا جميعا القيام بمخاطرةٍ كبرى، قد تنهي كلَ شيءٍ أو تدمَر كل شيء، ولكنَها بالنسبة لنا الأمل الأخير، وأنتما رأسا الحربة فيها.

تبادل (لبيب) و(فاضل) النظرات المندهشة، ثم عادا لينصتا باهتمامٍ لـ(باهر) الذي أكمل دون توقف:

- وتتلخَص خطتنا في العودة بالزمن مرَةً أخيرةً، ليس لإصلاح خللٍ جديدٍ، ولا لإيقاف تلك المخلوقة الفضائيَة ورفاقها أو محاولة تدمير

سفينتهم كما حاولنا وفشلنا، وساعدنا في بدء كلّ شيءٍ بشكلٍ متسارعٍ، ولا في العثور على عين الحياة.

بل سنقوم، بمحاولة العودة للحظة مولد ذلك (الجهنَمي) لنقضي عليه في مهده، مستخدمين تقنيةً مستقبليةً تجريبيّةً طوّرها العلماء قبل توصّل الغزاة لهم، ونسفهم المخبأ النووي الأخير بمن فيه وما فيه، كي يحفظوا سرّنا.

وهذه الخطة ستحتاج قدراتك الفائقة على كشف مواقع الكنوز والخبيئات ، ومناعتك يا عمدة..

أنتم آخر جيوش الأرض التي ستتصدى للغزاة.

وهنا تساءلت (ميرت) في سخرية:

- ونحن أليس لنا دورٌ في هذه المسرحية؟

أجابها (باهر) في صرامة:

- إنها ليست مسرحيةً أيّتها المرأة، بل هي محاولةٌ أخيرةٌ لإنقاذ جنسنا من الفناء والانقراض، وأنتم بكفاءتكم ومهارتكم، سيكون لكم دورٌ رئيسيٌ في خطتنا المزدوجة هذه.

فأنتم ستكونون فريق الهجوم الثاني، وستقومون بالدور الأعظم في خطتنا، عن طريق تحويل هذا الخطّ الزمنيّ بالكامل، لقنبلةٍ زمنيّةٍ رهيبةٍ، ستعمل على محوِ حقبةٍ زمنيّةٍ كاملة من حضارة البشر تمتدُ لألف عامٍ أو يزيد، عند اندماج الخطوط الزمنيّةِ، ماحيةً معها، الخطر الرهيب الذي قد تتعرض له الأرض، ونمنحها مستقبلًا جديد..

ظهر الذهول وعدمُ الفهم على الجميع، فاستطرد (باهر) قائلًا:

- نحن سنقاتل في جبهتين، جبهةٌ حاضرةٌ، وجبهةٌ في الماضي، فلو نجحنا في مهمتنا، ستتبدل كافةُ الأحداث التالية، وربّما لن نلتقي أبدًا لنجري هذا الحوار، ولو فشلنا لن تكون الأرض قد فقدت آخر جنودها،

فأنتم ستفعلون الخطة (ب) التي ستكون الفرصة الأخيرة للبشرية.

فنحن سنساعدكم لتوليد أعظم خللٍ صناعيّ في هذا الخطّ الزمنيّ، وأكبر دمارٍ ممكن، ليتم عن طريقه تحفيز أعظم عاصفةٍ زمنيّةٍ ارتداديّةٍ، وحثّها على الدمج المبكر للخطوط الزمنيّة ليحدث التغيير المطلوب، فالخطة الجديدة، ستقوم على الفوضى.

قالها، ثمّ مدّ يده بجهازٍ لوحيّ متطورٍ، تناولته منه (ميريت) بشكلٍ لا إرادي، وهو يكمل حديثه قائلا:

- وهذا سيقودكم إلى مكان أحد ثلاثة قنابلَ نوويّةٍ، وأشدها فتكا، والموجودة في ترسانة الأسلحة المصرية السريّة، والتي حصلوا عليها من السوق السوداء بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، ومعها كلّ الشفرات اللازمة لتجاوز النظام الأمني الذي يحميها..

وفي التوقيت المحدّد عليكم تفجيرها في الاحداثيات التي سأحدّدها لكم ..

إنّها لن تكون عمليةً انتحاريّة فقط، بل إنّها السبيل الوحيد لنجاتنا..

وهنا استدارت (ميريت) في ذهولٍ، وهتفت:

- ما رأيك في هذا الهذيان يا سيّد (لبيب)؟

وهنا اجتاحت الحيرة وجه (لبيب) فهو على علمٍ بهذه المعلومة السريّةِ، والتي نشرت مواقع كثيرةٌ عنها، وعن امتلاك مصر لهذا السلاح الخطير، والمطلوب منه الآن أن يتعاون مع أعدائه، ويعمل رجاله على تفجيره.

فبحسب فهمه، فإنّ تفجير القنبلة النووية، سيؤدي إلى موت الملايين من البشر، ممّا سيحدث ملايينًا من الخروقات الزمنية، التي لا يمكن السيطرة عليها في هذا الخطّ الزمنيّ، فيتحول إلى قنبلةٍ زمنيّةٍ رهيبةٍ، قادرةٍ عند اندماجها مع الخطّ الزمنيّ الرئيسيّ، على محو حقبةٍ زمنيّةٍ كاملة من تاريخ البشر في الخطّ الزمنيّ الرئيسيّ، بكلّ ما حدث فيها

من تطورٍ وأحداثٍ، لتمنح المستقبل فرصةً جديدةً، ويقضون بسببها على قائد الغزو قبل ميلاده، وهي خطة تبدو للوهلة الأولى منطقيَة، ولكنها تضحيةٌ هائلةٌ، عليه الموافقة على تقديمها.

ثمَ كيف يتَخذ هو وحده مثل هذا القرار الرهيب؟!

وعندما قرأ (باهر) الحيرة على وجه (لبيب)، اقترب منه في سرعة مذهلة، وقبل أن يتَخذ أيَ ردَ فعلٍ دفاعي، ولمس بإصبعه مقدَمة رأسه، وهو يقول في اهتمام:

- وهذا سيؤكَد لك صدق حديثي..

وكانت المرَة الأولى التي يكشف فيها (باهر) عن قدراته الخارقة التي منحها له ماء (عين الحياة)، وكامل ذكرياته تتدفَق إلى عقل (لبيب)، الذي أمسك رأسه بقوةٍ مع زخم المشاهد والمعلومات التي تتواتر إلى عقله، بطريقةٍ جعلت العمدة (فاضل) يصرخ في غضب:

- أيَها الوغد، ماذا تفعل به؟

ليطوقهم في تناسقٍ مذهلٍ رجال (لبيب) وأصابعهم على أزندة أسلحتهم في محاولةٍ منهم للذود عن قائدهم.. ليبتعد عنه (باهر) بخفَةٍ بعد أن أنهى مهمته، ليقف (لبيب) تائهًا لعدة ثوانٍ قبل أن يقول في رعب:

- يا إلهي أيَ مستقبلٍ هذا الذي ستصل إليه الأرض!

ثمَ استدار لرجاله وسألهم في صرامة:

- هل تثقون بي؟

هزوا رؤوسهم مؤكَدين، فقال في اضطراب:

- فجروا القنبلة في المكان والوقت المحدَدين، ولو كانت حياتكم هي الثمن، صدَقوني الأمر أبشع ممَا يمكن أن يتم وصفه..

ثمَّ أخبرهم بملخص ما شاهده في عقل (باهر)، فاتّسعت عيونهم بشدّةٍ، و(ميريت) تقول بلهجةٍ متشككةٍ:

- وما أدراك أنّها ليست خدعةً من هؤلاء الحواة؟

ثبّت (لبيب) عينيه في عيونهم، وقال بكل صرامة:

- أنا واثقٌ من هذا..

وعلى الفور أدوا له التحيّة العسكريّة، مؤكدين له جاهزيتهم، وثقتهم التامّة في شخصه، وتقديره للأمور.

فصرخ العمدة، وهو يسحب مسدسه ليطلقه على (باهر) الذي لم يتحرك من مكانه قيد أنملة، والرصاصة ترتد عن درعه الخفي:

- إنّ هؤلاء القتلة قد خدعوك، وسيطروا عليك، وعلى رجالك، ولا يمكنُ أن أسمح لهم ليتمادوا في...

وفي اللحظة التالية، كان (باهر) أمامه، يجرّده من سلاحه وهو يقول في غضب:

- متعب أنت يا سيد (فاضل) في كلّ شيء، لا وقت لدينا لنضيّعه، وعلينا جميعًا أن نتّحِدَ، لنناقش كلّ خطوات خطتنا النهائيّة، قبل أن نشرع في تنفيذها.

ظهر التصميم على وجه (فاضل) وهو يقول في عنادٍ:

- هيهات أن تخدعني مثلهم..

وفي اللحظة التالية، وضع (باهر) يده على رأسه ليشهق بقوّةٍ، ويرى الهول الذي رآه (لبيب) من قبل، والذي لم يصدقه عندما سمعه، ليهتف بعد عدّةِ ثوانٍ في هلع أكبر:

- فجّروا القنبلة، فجّروا العالم كلّه.. ولكن أوقفوهم..

ومع كلمته، التف رجال (باهر) حول (فاضل) و(لبيب)، بعد أن أعادوا

أقنعتهم على وجوههم، ووضعوا في أيديهم نفس السوار ذو الشاشة السائلة الذي يرتدون مثله، ليتحولوا جميعهم إلى خيوطٍ سميكةٍ من الضوء اخترقت سقف الغرفة، في نفس اللحظة التي اقتحم فيها رجال البلدة المسلّحون الغرفة، على رأسهم (خالد) لتقابلهم المرأة صارخةً:

- لقد اختطفهم السفّاحون..

وكانت هذه هي حجتهم، ووسيلتهم ليغادروا البلدة، دون أسئلةٍ كثيرةٍ لبدء خطتهم الرهيبة..

تفجيرُ (القاهرة) عاصمة وطنهم .

مصر..

*****

القنبلة

العام: ٢٠٢١ م

المكان: مخازن وزارة الدفاع المصرية السرية.

تسلّل أفراد فريق (لبيب) إلى داخل المخازن المحصّنة بسهولةٍ؛ جعلتهم يشكّون في أنهم يسيرون نحو فخٍ مؤكّد، فقد استطاعوا تخطي كافة العقبات الأوليّة، والنفاذ إلى مخازن وزارة الدفاع السريّة، التي من المفترض أن يحميها صفوة الجنود، وأعلاهم تدريبًا وتجهيزًا، هذا غير الفخاخ القاتلة المنصوبة، والتي يتحكم فيها الكمبيوتر المركزي، لمنع المتسللين، أو الوصول إلى ترسانة الأسلحة السريّة الأشدّ فتكا وخطورة.

وهذا جعلهم يتحركون في حذرٍ، وهم يهبطون بداخل أحد المصاعد المتطوّرة، إلى الطابق الأخير الذي توجد فيه القنبلة النوويّة المدمّرة، وقد ساعدهم كثيرًا الجهاز اللوحي الذي منحه لهم (باهر)، في تخطي

كافة شفرات الدخول، ومنحهم كلمات السرّ المعقّدة لعبور الأبواب.

كلّ شيءٍ كان مريبا، ومقلقًا، وجعل (ميريت) تقول في عصبيةٍ، وعيناها تمسحان المكان في حذر:

- قلبي غير مرتاحٍ لما يحدث يا (كريم)، فكيف يتوقفالكمبيوتر المركزي من تلقاء نفسه، ويختفي الجنود المسؤولون عن حماية المكان بكامل عتادهم، هناك في الأمر سرٌ كبير..

ليجيبها (كريم) في قلقٍ مماثل:

- ربّما هناك قوةٌ خفيةٌ تساعدنا، أنت رأيت بنفسك قدرات هؤلاء المستقبليين، على كلّ حالٍ أنا أثق في (لبيب) وسأواصل المهمة.

هزّت (ميريت) رأسها في غير اقتناع، ثم قالت:

- الأمر ليس مجرد ثقةٍ في شخص قائدنا من عدمه، الأمر كلّه مخيف، ونحن نعمل في الظلام، ولا نعرف كيف انتهت مهمتهم، ولا نتائجها.

وكالعميان سنقوم بأكبر عمليةٍ ارهابيةٍ في تاريخ الدولة المصرية والعالم.

وبتوتّر ردّ عليها (كريم):

- علينا أن ننهي مهمتنا أولًا، وبعدها نقلق من نتائجها..

وبعد عبارته عمّ السكون المكان إلّا من صوت خطواتهم السريعة، وهم يتحركون عبر المساحات الشاسعة للمخازن، متتبّعين المسار الذي يقودهم إليه الجهاز اللوحي، حتى انتهى بهم المطاف إلى قاعةٍ خاليةٍ ذات أرضيّةٍ معدنيةٍ، فعمل الجهاز اللوحي على الفور، وبدأ في فكّ الشفرة المعقّدة للخزانة السريّة التي توجد بداخلها القنبلة الرهيبة..

لحظات، ثم بدأت الأرضية ترتفع، لتظهر على قاعدةٍمعدنيّةٍ غايتهم المدمّرة..

لم يكن حجم القنبلة ضخمًا كما توقعوا، بل كانت في حجم حقيبةِ سفرٍ كبيرةٍ، ويمكن التحكم بقاعدتها بواسطة عدَة أزرارٍ لتحريكها من مكانها..

وللحظاتٍ توقفوا ينظرون للقنبلة في رهبة..

فتعداد سكان العاصمة يفوق العشرة ملايين نفس، غير الزائرين، وهذه القنبلة حكمٌ مروِعٌ بالإعدام عليهم جميعًا..

وعلى الرغم من توتُرهم، وفور أن أنهى الجهاز اللَوحيُ مهمته في فكِ شفرة القاعدة المعدنيَة، وسمح لهم بالتحكم بها، قاموا بتحريكها على الفور، وعادوا من نفس مسار الدخول دون أن يعترض طريقهم أي شخص.

لقد توقعوا معركةً كبرى، ولكن من الواضح أنَ كلَ شيءٍ مخترقٌ بشكلٍ فجٍ، وأنَ هؤلاء المستقبليون لا يعبثون.

ومن ساحة المخازن الكبرى، استولوا على شاحنةٍ عسكريَةٍ حمَلوا بداخلها القنبلة النووية المدمِرة، وغادروا المكان دون إطلاق طلقةٍ واحدة.

ليعود الجهاز اللوحي للعمل، وتحديدِ مسارٍ جديدٍ، يقود إلى الاحداثيات الأخيرة..

وطوال الطريق عمَ صمتٌ رهيبٌ، و(ميريت) لا تنفك تنظر للقنبلة الساكنة في رهبة.

إنَها في حضرة الموت نفسه.

ومع مضيُ الوقت، لم تستطع الالتزام بالصمت، فتساءلت بصوتٍ متوتِرٍ:

- إنَ قلبي منقبضٌ، هل ما نفعله صحيح؟

وبكل هدوء أجابها رفيقها (حاتم) الذي تولى قيادة الشاحنة

العسكريّة، بمهارةٍ تدلّ على خبرةٍ طويلةٍ في هذا المضمار:

- سبق السيف العذل يا (ميريت) تسع دقائق تفصلنا عن الوصول للمكان المطلوب، هيا يا (ريمون) وأنت يا (كريم) لتقوموا بتذخير القنبلة، فنحن نقترب من الموقع المحدد، وأنت يا (ميريت) تابعي جهازك اللوحي، واخبرينا بالمستجدات.

انقبض قلب (ميريت) بقوةٍ، وظهر التردّد على وجهها، وهي تقول في ذعرٍ لم تنجح في إخفائه:

- لما لا نترك هذا إلى اللحظات الأخيرة، ينتابني شعورٌ غامضٌ بأنّ هناك شيئًا خاطئًا، وكما تعلمون، لو قمنا بتذخير القنبلة وإعدادها للانفجار، فلن نستطع إجهاض العملية لو حدث تطوّرٌ غير متوقعٍ في الأحداث، إنّ هذه القنابل لا توجد فيها آليةٌ للتراجع.

وهنا تدخل رفيقها الثالث (ريمون) على الفور، وقال في صرامة:

- الأوامر لا تخضع للنقاش يا (ميريت)، إنّها أهم عملية نقوم بها في تاريخنا كلّه، فمصير البشريّة على المحك، كفّي عن هذه الروح الانهزامية، علينا تذخير القنبلة، وحمايتها بأرواحنا حتى تنفجر، لتحفيز تلك العاصفة الزمنيّة الصناعيّة، لنقضي على الغزاة، ونستردّ مستقبل الأرض، لن أسمح بتهاونٍ أو تقاعسٍ، ومن يتردّد لحظةً لن يحصل مني إلّا على رصاصةٍ في منتصف جبهته.

حسم حديثه تردّدهم، فشرعوا في عملهم، وقاموا بتذخير القنبلة، ولم يعد هناك مجالٌ للعودة أو التردّد..

وجلسوا حولها في كامل يقظتهم، ينتظرون الموت، وعينا(ميريت) لم تغادر لحظةً الجهاز اللوحيّ الذي تحمله..

كانت شجاعةً بالغةً، أن يعلموا جميعًا موعد موتهم دون أن يتراجع أيٌّ منهم.

وانقضت سبعُ دقائق في لمح البصر..

ثم أتت الرسالة على شاشة الجهاز اللوحي، الرسالة التي حقّقت أبشع مخاوف (ميريت) وقلبت الأمور رأسًا على عقب:

- لا تفجروا القنبلة، لقد كان الأمر كلّه خدعة.

وعندما رأى رفاقها الرسالة، شحبت وجوههم، وأسقط في أيديهم، فهتف (حاتم) في غضبٍ:

- اللّعنة أيّ عبث هذا؟

ثم التفت إلى (ريمون)، والمسؤول عن الأمور التقنيّة في فريقهم، وسأله في سرعةٍ:

- هل تستطيع تجميد عمل القنبلة، لقد رأيتك تفعلها في أكثرَ من مهمة.

نظر نحوه رفيقهم الرابع (ريمون) في عجز، وقال:

- إنها قنبلة نووية معدّلة، ولا توجد طريقٌ واحدةٌ لإيقافها بعد تذخيرها، إنّ استخدام هذا النوع من أسلحة الدمار الشامل، يمرُّ بمراحل كثيرةٍ قبل اتخاذ قرار الاطلاق، ولكنْ لو صدر، وتمّ تفعيل القنبلة، لن يستطيع أحدٌ وقفها أو منعها من إحداث الدمار الهائل التي هي قادرةٌ على فعله، وعلى كل حال سأحاول، ولكن لا تتوقعوا مني النجاح.

وانهمك (ريمون) في فحص آليّة إطلاق القنبلة، التي وجدها قد انفصلت بشكلٍ كاملٍ عن جسم القنبلة نفسه، وبرغم إعجابه ببساطة الفكرة، ولكنّها كانت نهاية محاولاته قبل أن تبدأ، فاستدار يواجه رفاقه بعجزه.

وعلى عكس الجميع، تحركَت (ميريت) بسرعةٍ رهيبةٍ، وهي تترك الجهاز اللّوحي لرفاقها، وتحتل في لمحِ البصر مقعد قيادة الشاحنة، وتبدأ في

تحريكها لتبعدها عن النقطة المحددة للتفجير.

وقبل أن تقطع عدَة أمتارٍ، فوجئت بعشراتٍ من السيارات والآليات العسكرية تعترض طريقها وتجبرها على التوَقف، ويهبط منها عشراتُ الجنود المدجَجين بالسلاح، ويحيطون بهم كإحاطة السوار بالمعصم..

لتنهمر دموعها اليائسة للمرة الأولى منذ انضمت إلى هذا العمل الخطير، وهي تقول في لوعةٍ:

- اللعنة، لقد فشلنا نحن أيضا.

وعندما قيّدها الجنود هي ورفاقها، اللذين استسلموا في يأسٍ، نظرت إلى ساعتها..

ثلاثون ثانيةً فقط على موعد التفجير..

ثم لمحت أحد الخبراء العسكريين، وهو يندفع بشجاعةٍ، ليقف أمام القنبلة النوويّة التي على وشك الانفجار، ويحاول عكس آليّة الإطلاق بسرعةٍ رهيبةٍ، تدلّ على مهارةٍ وتدريبٍ عاليين..

وأخذ قلبها يخفق..

فمن الواضح أنَ القيادة العسكرية لم يغب عنها هذا الاحتمال، وأنَ لديهم وسيلةً سريَةً لإجهاض عمل القنبلة لم يعلنوا عنها.

التوتّر يظهر على وجه الخبير الذي غرق وجهه في العرق، مع ضيق الوقت الممنوح له.

ومن قلبها دعت أن ينجح..

ولكنَ الوقت كان يمضي كالصاروخ.

وفي عقلها أخذ العد التنازلي في البدء..

ثلاثة..

اثنان..

واحد..

وفي الثانية التالية انفجرت القنبلة الرهيبة، لتجهض عمل الخبير، ولتبخِّر أفكار (ميرت) مع جسدها، ورفاقها، ومن يحيطون بهم من جنودٍ وآلياتٍ عسكريَة..

وتحول مركز الانفجار لبؤرةٍ من الجحيم..

ومُحيت العاصمة المصريَة في لحظات، ليندمج الخطان الزمنيَان بشكلً قسريً ومفاجئ..

ولتبدأ أعظم عاصفةٍ زمنيةٍ في تاريخ الكون..

العاصفة التي سيكون تأثيرها أسوأ من عشراتِ القنابل النوويَة، على الأرض والجنس البشري.

تذكر انك حملت رواية عين الحياة حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

*****

عدن

العام: ١٠٠٧ بتقويم الغزاة.

المكان: عاصمة الغزاة المركزيَة (عدن)، والتي كان يطلق عليها قديمًا اسم (كيميت) العاصمة المصريَة السابقة..

الاسم يوحي بأن العاصمة هي جنَةٌ أرضيَة، ولكن من يراها الآن، يدرك أنَها أصبحت عاصمةً للجحيم.

لقد تغيَرت معالم العاصمة تمامًا، كلّ شيءٍ فيها اكتسى بالسواد-لون

الغزاة المفضّل- فالمباني الشاهقة التي أنشأها الغزاةُ بشكلٍ متلاصقٍ، اتخذت طابعا همجيًا وهندسيًا عجيبا.

فهي أقرب لخلايا نحلٍ سداسية، ذات قبابٍ متعدّدةٍ،تخرج منها مداخن أسطوانيّة الشكل، وتتصاعد منها أبخِرةٌ كريهةٌ التصقت بكلّ شيءٍ، فأصبحت العاصمة تخلو من أي مظهرٍ جماليٍّ، وأصبحت لها رائحةٌ لا تطاق.

وكلّ واجهاتها باتت تحمل صورة (عزران) الوحشيّة، الذيانتشرت تماثيله هائلة الحجم في كلّ مكان، والتي يتوقف أمامها رعاياه، وينحنون لها تقديسًا ورهبةً أثناء مرورهم من أمامها، وكأنّما عادت الأرض للعصور الوثنيّة..

خاصةً وأنّ الكثير منها، يكسوها ذلك النبات المتسلقالعجيب، الذي يطلق تلك الغازات، التي بدّلت من تركيب الهواء، ليناسب الأجناس الجديدة التي احتلت الأرض، والذي جعلها أقرب لمدينةٍ مهجورةٍ في قلب دغلٍ شيطاني.

لا شيء يوحي أنّ البشر قد سكنوا هذه الأرض، أو أنهممروا من هنا ذات يوم..

حتى الأهرامات الشاهد الوحيد على وجود حضارةٍ ذات شأن عمرت هذه الأرض في يومٍ من الأيام، اكتست بنفس اللون الأسود المقبض، وأصبحت بشكلها الجديد، تنتمي إلى عصور الظلام التي حلّت على البشريّة..

وبرغم الحركة الدائبة، لقاطنيها من الهجناء، والهامسين، الذين تضاعفت أعدادهم بشكلٍ كبيرٍ، ونشأ بينهم جيلٌ ثالثٌ وحشيٌّ، أكثر بشاعةً من تناسل الجنسين معا، أطلق عليهم (العزرانيين) نسبةً إلى زعيمهم الطاغية.

كانت العاصمة مفزعةً بشكلٍ مروِّع.

من يراها الآن سيظن أنها مأوىً أبديٌ للشياطين، ولن يكون مخطئًا في ظنه.

وبرغم هذا لم تفتقر إلى اللمسة التكنولوجيَة، التي تركها البشر خلفهم، بعد هزيمتهم على يد الغزاة، فلم يكن الغزاة من الحماقة ليتخلوا عنها.

فما زلت شاشات البثّ الرقميَة التي طورها الغزاة، والمتواجدة في كافَة ميادين العاصمة، والتي تم ربطها جميعا لتصنع شبكة اتصالٍ هائلةٍ، تبثّ إعلانها الموحد بلغة عالميَة أصبحت تتقنها كلّ الأجناس، ولا تمتّ للغاتِ البشر بصلةَ، هي ومثيلاتها في كلّ مدن العالم، التي صارت نسخةً من العاصمة ذاتها..

فعلى شاشات العرض الكبيرة، ظهرت أنثى (عزرانية)شديدةُ البشاعة، لديها ذلك الرأس الكبير المميَز للهامسين، والوجه الداكن ذو النتوء العظمي المميَز للهجناء، وقرنان صغيران في مقدمة جبهتها، وعلى كتفيها يتهدَل شعرٌ زيتونيٌ لزجٌ، أضاف لقبحها قبحًا، لتقول وعلى وجهها ابتسامةٌ كريهة:

- شعبنا العظيم، اليوم نحتفل بمناسبتين عظيمتين، فاليوم هو الذكرى السنوية العظيمة لانتصارنا الأكبر واستعادتنا كوكبنا الأم من قبضة ذلك الجنس الحقير الذي كان يدعى البشر، والذي صور له غروره ذات يوم أنّه قادر على هزيمتنا، وبفضل السيّد الأعظم وجنوده، تمّ دحرهم وهزيمتهم.

والمناسبة الثانية التي لا تقل عن الأولى أهمية، أن السيّد الأعظم، سمح للأجيال الجديدة من (العزرانيين) الذين لم يروا أو يعاصروا تلك المخلوقات الدنيئة، بالدخول إلى حديقة الحيوانات الكبرى، لمشاهدة آخر من تبقى منها، ومن أعداء السيّد.

إنّ كرم السيّد الأعظم لا يتوقف..

وولاءنا له لا ينتهي..

ولكن ليست هذه آخر الأخبار السارّة ، فلدينا أيضًا خبزٌ حصريٌ، فقد ورد إلينا من المطّلعين، أنّ اليوم سيكون آخر يوم يتواجد فيه البشر على ظهر هذه الأرض..

اليوم، سينقرض هذا الجنس الحقير، وتصبح الأرض خالصةً لنا ولأبنائنا وأحفادنا، ولن يرفع لهم بعدها ذكر .

كل المجد والتقديس للسيّد الأعظم..

كل المجد له أينما كان، وأينما سيكون..

وفي كلّ مكانٍ بالأرض، توقفت جميع المخلوقات الوحشيّة عن تحركاتهم وأعمالهم، وضموا قبضاتهم، ورفعوها نحو تماثيل (عزران)، وردّدوا خلفها في رهبةٍ وخشوعٍ، نفس الكلمات، بأصوات حيوانيّةٍ مفزعة..

وانتهى بعدها البثّ الرهيب الذي كان بمثابة حكمٍ نهائيٍ بالإعدام على آخر البشر الأحياء الموجودين على هذا الكوكب، والذين يعاملهم هؤلاء المسوخ كالحيوانات.

وبداخل حديقة الحيوان الكبرى، وفي ساحةٍ معدنيّةٍمغلقةٍ هائلةِ الحجمِ، مضاءةٍ بإضاءةٍ شاحبةٍ، تضمُّ بداخلها عددًا من الأقفاص المعدنيّة، جميعها متماثلةٌ في الحجم والشكل، عدا واحد أكبر منهم مجتمعين، له واجهتين من معدنٍ شفّافٍ فائق القوة، يحتوي على سائلٍ دمويٍ، يموج طول الوقت بالصواعق المتفجرة.

وبداخل أحد الأقفاص المتماثلة، جلس على الأرض القذرةِ المليئة بمخلفاتهم العضويّة، ثلاثةٌ من المخلوقاتِ البشريّة ذات الهيئة المزرية، وقد ظهر أثر مرور الزمن على انحناءات ظهورهم، وشعورهم البيضاء، ووجوههم التي امتلأت بالتجاعيد والأخاديد الغائرة..

وفور انتهاء البثّ الإخباريّ المفزع، تحركت شفتا أحد العجائز ببطءٍ، ليقول في ارتياح فائق:

- أخيرًا سنحظى بالراحة الأبديّة، وسيعتق رقابنا ذلك الوغد الشيطاني.

ليردّ عليه عجوزٌ آخر بصوتٍ منهك:

- ألم أقل لك يا (باهر) إنّ عين الحياة لعنة، تخيل أن يقوم هؤلاء المسوخ بقتلكم، وأظل أنا على قيدِ الحياة وحدي.

ليجيبه (باهر) العجوز قائلا:

- هل تتخيل ما أوصلنا إليه هؤلاء المسوخ يا (فاضل)، لقد صرنا نتمنى الموت، ولا نحظى به، لا أعتقد أنّهم سيرحموننا من عذابنا قطُّ، وإعلانهم هذا مجرّد جزءٍ من ألعابهم النفسيّة الحقيرة، لإيهامنا أن هناك أمل في نهاية هذا العذاب المقيم، وبعدها يتركوننا هنا لألف عامٍ أخرى..

هزّ (فاضل) رأسه في يأسٍ، ثمّ مطّ شفتيه وقال:

- كيف تكون هذه النهاية البشعة، هي مصير الجنس البشري، كيف تكون هزيمتنا، بهذا الشكل المخزي؟

ابتسم (باهر) ابتسامة مريرةً وأجاب:

- لكلّ شيءٍ نهاية.

قالها، ثم تكوّر في مكانه، وهو يرمق ثالثهم الصامت، الذي لم يعد يتحدث منذ عامٍ كامل، وعقله يستعيد تلك الأحداث الرهيبة، التي قادتهم لهذا الوضع المقيت.

فعندما توقف النفق الزمنيّ الدودي عن إرسال أو استقبال أيّ اشاراتٍ من مخبأ المقاومة النووي المستقبلي، الذي كان يشرف علماؤه على كلّ مراحل مهمتهم المعقّدة، ويوجهونهم في كلّ خطوةٍ، ويدعمونهم بكلّ

ما يصلون إليه من تقنياتٍ، أو تحديثاتٍ لتقنية السفر عبر الزمن، بقيادة العالم العبقري الفذ (وهيب)، تأكد أنَ ما كانوا يحصلون عليه من دعمٍ قد انتهى.

فانقطاع الاتصال يعني أنَ أسوأ مخاوفهم قد تحققت، وأنه قد تمَ الإيقاع بهم، وأنَ المستقبل فقد أعظم أسلحته، وأنهم اضطروا للأسف، إلى تفعيل الكود الأحمر الخاص بمحو المخبأ النووي بمن فيه، لإخفاء سرّهم الرهيب، ومنحهم الفرصة لإتمام مهمتهم.

وكان هذا يعني أنهم أصبحوا وحدهم، وأن مستقبل العالم كلّه متوقفٌ على نجاح مهمتهم التي لم تكتمل..

ومع التقنيات الأخيرة التي وصلت إليه من المستقبل، بنى خطته الجديدة، والتي كانت تتلخص في العودة بالزمن إلى لحظة مولد هذا الشيطان (عزران) والقضاء عليه في مهده، ليواجههم عائقين.

الأول أنه لم يكن لديهم القدرة أو المعارف اللازمة لاختراق الحاجز الفاصل بين عالمنا وعالم الجنّ الذي يسكنه والداه، وهم لن يفتحوا جبهة قتالٍ جديدةٍ في عالم يجهلون كلّ شيءٍ عن قواعده.

والثاني أن تقنية السفر عبر الزمن الجديدة، لن تسعفهم للوصول إلى عدوهم، وهو مازال طفلًا رضيعًا في معيّة (نيريا) الساحر الخبيث، والمتاح فقط، هو الوصول إلى نقطةٍ زمنيةٍ قريبةٍ سيكون فيها هذا المسخ قد بلغ فيها مرحلة الصبا.

وعلى الرغم من أن معلوماته تخبره أن (عزران) في هذهالمرحلة العمريّة سيمتلك قدراتِ ساحرٍ متوسطِ القوّةِ؛ لمهارته، ولطبيعة نشأته في هذا الوسط الدنس تحت رعاية معلمه الرهيب، ولكنها كانت أفضل فرصهم، فوقتها لن يكون قد قابل (حاملة القلادة) ولم يسرِ في دمائه ماء (عين الحياة) ليمنحه قدراتٍ أخرى فائقة..

لذا كان لزامًا عليه أن يُفعّل الخطة الاحتياطية في حال فشل الخطة

الرئيسية، ورجله (رفيق) قد مهد الطريق للقاء (لبيب) بـ (فاضل)، ودفعه لاستدعاء رفاقه المحترفين، ليتولوا هم تنفيذ الخطة (ب).

كانت عمليةً مزدوجةً غايةً في الصعوبة، وأكثر ما كان يخيفه، أن يتسرب سرّهم إلى (الجهنّمي) قبل أن يفتكوا به، فيمتلك تقنية السفر عبر الزمن، ويبدأ سيطرته على الأرض من زمنٍ قديم، لا يمتلك من فيه القدرة على التصدي له.

ولكن ما حدث كان شيئا أكثر بشاعة..

فمن الواضح أن (الجهنّمي) كان يسبقهم بخطوةٍ، قد توصّل لسرهم مبكرًا، وأنّه كان ينتظرهم، بل وقرّرت نسخته المستقبلية مؤازرة، نسخته المراهقة في المواجهة.

وهذا يعني فشل مهمتهم، وأن الأمل الأخير في العاصفة الزمنية التي سيقوم رجال (لبيب) بتحفيزها بتفجير القنبلة النووية.

وفي هذا ذلك اليوم البعيد، وعلى الرغم من وقع المفاجأة الرهيب على كلّ من حضروا الموقف، بوجود نسختين من عدوهم الرهيب، إلا أنهم تحركوا بسرعةٍ لمواجهته..

وبرغم عدم اعتياد (لبيب) على سلاحه الجديد، إلا أنّه قام على الفور بإطلاق قذائفه من ذلك الزيّ القتالي الذي منحه له (باهر) قبل بدءِ مهمتهم، نحو نسختي (عزران) البشعتين، وتبعه (فاضل) و(باهر) ورجاله في إطلاق قذائفهم بسخاءٍ، في حين انقضّ القطّ العملاق على الساحر (نيريا).

وتحوّل المكان في لحظةٍ إلى جحيم.

صحيح أنّ القذائف جميعها أصابت نسختي (عزران) بإصاباتٍ مباشرة، ولكنّها للأسف لم يكن لها أدنى أثرٍ عليهما، وكأنّها كانت تصطدم بحاجزٍ خفي من الطاقة، وتتلاشى فوقه..

في حين، تمتم الساحر (نيريا) بتعويذةٍ رهيبةٍ، ليجد القطُ نفسه، معلقا في سماءِ الغرفة، وهو يشعر بالاختناق، وكأنَ هناك يدًا خفيةً تضغط على عنقه بقوةٍ، وكل رفاقه قد التصقوا بالحائط الصخري، عاجزين عن إطلاق أيَ قذيفة أخرى، و(عزران) الشاب يواجههم بوجهه البشع وأنيابه التي يتساقط منها الزبد قائلا:

- إذًا فأنتم المسافرون عبر الزمن الذين يطمحون لقتلي.

وهنا صرخ (باهر) في غضبٍ قائلًا:

- نهايتك على يدنا أيَها الحقير.

تأمله (عزران) وعلى وجهه ابتسامة وحشية، ثم قال في سخريةٍ بصوته الكريه:

- قائد المقاومة المستقبليَة (الشبح) بنفسه هنا، إنه لشرف كبير.

وقبل أن يكمل عبارته زمجر (عزران) الصبي، وهو ينظر لنسخته المستقبليَة في دهشةٍ، يتساءل في غضب:

- ما الذي يحدث بحقِ الشيطان، من أنتم، وكيفتقتحمون غرفتي، الويل كل ..

وقبل أن يكمل عبارته، فوجئ بنسخته المستقبليَة تحمله من عنقه، وتلصقه في جانب الجدار الصخري، وتقول في غضب:

- أنا هو أنت أيها الأحمق ولكني أمهِد لك الطريق إليالمستقبل، وهؤلاء هم أعداؤنا، ومن يجب أن تقضي عليهم، قبل البدء في أي تحركٍ للاستيلاء على الأرض.

لم يفهم (عزران) الصبي ما يقوله، وارتسمت على وجهه ملامح الحيرة، فاستطرد (عزران) الشاب قائلا:

- في المستقبل البعيد، وبعد أن تمتلك سرَ الخلود والشباب، ستمتلك الأرض كلها، ولكن البشر كعادتهم لن يستسلموا بسهولة، وسيحاولون

استعادة أرضهم وحريتهم، مستخدمين علومهم في السفر عبر الزمن، وعلى رأسهم سيكون هؤلاء الحقراء، اللذين استمتعت كثيرا بمشاهدتهم يحاولون ويقاتلون ويهزمون، و..

وهنا قاطعه صوت (فاضل) بعد أن تراخت قبضة القوة المسيطرة عليهم جميعا، وهو ينزع قناعه قائلا:

- بل أنت أيّها الأحمق من سقط في فخّنا.

ومن نطاق أزيائهم القتاليّة جميعها، انطلقت العشرات من تلك الحشرات الآليّة النانومترية التي استخدمها الملثمون في الايقاع بـ(ابن ورد) سابقا، لتهاجم (عزران) الشابّ، الذي أطلق قهقهةً حيوانيّةً ساخرةً، وهو يحرّك يده في الهواء، لتتساقط الحشرات الآلية هامدةً على الأرض، وهو يقول في شماتة:

- ما زلتم لم تستوعبوا موقفكم، وتبخسون سيّدكم الجديد حقّه، هل كنتم تعتقدون أنّ محاولتكم البائسة هذه ستكفي لهزيمة من هو مثلي، ألم يتأتى في تفكيركم أنّ كلّ ما قمتم به من أفعال كان مجرّد عرضٍ مسلٍ كنت أتابعه عبر الزمن وعبر العصور، ثم مللت منه الآن وقرّرت إنهائه.

وإنني أشكركم جميعًا على منحي لتلك التقنيّة الزمنيّة، التي ستساعدني على تحويل كلّ الخطوط الزمنيّة الفرعيّة لقنابل زمنيةٍ موجَهةٍ، ستمهّد لي حكم الكون كله.

أصابتهم كلماته بالصدمة، وهنا كان على (باهر) أن يجهض الخطة (ب) كي لا يصل سرُّ هذا السلاح إلى غريمه، كي لا يصبح الكون كلّه في مرمى قبضته، ويفعّل الخطة (ج) السريّة التي لم يعلم بها أحد.

فقاوم تلك القوّة الرهيبة التي كانت تقيّده، وحرك أحد أصابعه بصعوبةٍ ليضغط على زرين خفيين في حزامه، لتنطلق رسالته عبر الفضاء والزمن لتصل رجال (لبيب)، ويفعّل العد التنازلي لتلك القنبلة شديدة

التفجير المدمجة بحزامه، والتي ستسحقهم جميعا.

وفي رأسه دوى العد التنازلي ..

ثلاثة..

اثنان..

واحد..

و.....

بووووم

قالها (عزران) الشاب وهو يقهقه ضاحكًا، ليقول بعدها ساخرًا:

- لقد انتهى كلّ شيءٍ أيّها الحمقى، فشلت جميع محاولاتكم، ولقد هزمتم أنفسكم بأنفسكم، عندما تآمرتم على بعضكم البعض، وخضتم الحروب، وحوّلتم كوكبكم لبؤرة مترعةٍ للشر..

كلّ خطّةٍ وضعتموها لقهر بعضكم، استخدمتها ضدّكم، كلّ سلاحٍ صنعتموه، طعنتُ به ظهوركم، هل تعتقدون أن مخبأكم النووي كان بعيدًا عن قدرات (الهامسين)

أنتم جنسٌ حقير، لم يكن له أن يحظى بكلّ هذه الهبات التي حصل عليها، ويستحقّ أن يمحى من الوجود..

وهذا ما أنا حريص عليه، و..

وفجأة اشتعلت الأضواء العالية لتنير القفص الزجاجيّ، وتقطع أفكاره وتنير الأقفاص المتراصّة أسفلها في شكل دائري، ليتفاجؤوا بتلك المذيعة العزرانيّة القبيحة، تقف أمامهم، وخلفها الكاميرات، وقد ميّزوها من صوتها البشع وهي تقول في حماس:

- شعبنا العظيم، إنّها لحظةٌ نادرةٌ وملهمةٌ، لحظةٌ لن تتكرّر عبر التاريخ، اللحظة التي سنشهد فيها نهاية جميع أعداء سيّدنا العظيم، له

كلّ المجد والثناء.

وسنستعرض لكم أولَ هؤلاء الحقراء الذين يقبعون في أقفاصهم المنيعة منذ أكثر من ألف عام.

المارد (ساروخ) ..

وهنا أضاءت الكاميرا التي يقبع فيها هذا المارد البشع الهيئة، وهي تواصل حديثها قائلة:

- لم يعلم هذا الجاحد أيّ هبةٍ منحتها الأقدار له، فتخلى عن واجبه نحو السيّد الأعظم، ونبذه من عالمه..

الكاميرا تنتقل إلى قفص أخر، مسلطًا الضوء على (باهر) الذي منحها ظهره، وهي تقول في شماتة:

- وهنا الشبح، الذي قاد المقاومة البشريَة الشرسة ضدَ جيوش سيّدنا الأعظم، وحاك المؤامرات عبر الزمن والعصور، كي ينهي وجودنا من الكون، ولكنَه على يد سيدنا العظيم، أصبح عبرةً لم يعتبر..

وعندما واجهت الكاميرا (فاضل) أشاح بيده في غضب، ممَا أثار استياء المذيعة العزرانية، وهي تقول:

- وهذا الهمجي، منحه السيد هبة الخلود، وكان يرغب في أن يصبح من رجاله المخلصين، ولكنَه تحالف مع الأعداء..

ثم استدرت بحركة مسرحيةٍ، لتكشف عن أربعة أقفاصٍ تسلط عليهم الضوء، لتقول بصوتٍ مليءٍ بالضيق والغضب:

- وعلى ذكر الخيانة، فهؤلاء الأربعةُ، هم أسوأ خونةٍ في تاريخ

إمبراطورتينا العظمي، إنهم الأربعة الأوائل الذين انقلبوا على سيّدنا قبل خمسمائة عامٍ، محاولين أن يحكموا مملكته مجتمعين، راغبين في عودة جنسهم الذي أوشك حينها على الإنقراض، ولذلك استحقوا أقفاصهم في جحيم مولانا.

ثم توجهت الكاميرات نحو القفص التالي، لتستطردقائلة:

- والقفص التالي يضم ذلك الجنيّ الحقير الذي كان يدعى سيّد الجبال والغيلان، فسيدنا لا ينسى ثأره ولا من أهانه..

وتركزت الكاميرا في النهاية على القفص الضخم، الذي يموج بالصواعق، وهي تنظر نحوه في رهبة قائلة:

- وأخيرا (شاتو) ذلك المخلوق العلوي الدنيء الذي يمتلك وجوهًا لا حصر لها، ولا يمكن لمعظم المخلوقات رؤيته كما يراه السيّد نظرًا لتلك المادة العلوية التي خُلِق منها، والذي لا يكف عن إطلاق الصواعق، والذي حاول أن يساوم سيّدنا الأعظم ليتقاسم معه حكم امبراطوريته الكونية، وأفشى أسراره لأحد السحرة البشريين.

إن طموح وخيانة هؤلاء الحقراء لم يكن لها مثيل، ولذلك أعد لهم سيّدنا هذا المصير الرهيب في أقفاصه المنيعة، وطوال ألف عامٍ لم يروا الراحة أو الرحمة، فقط العذاب المحتوم.

فالرحمة ليست في قاموس عظيمنا، الذي قرّر اليوم أن الحياة هبةٌ لا يستحقونها أيضا، ولذلك قرّر أنّ الوسيلة التي بدأت منها كل الأحداث، هي التي ستنتهي بها حياتهم..

وهنا ارتفعت الكاميرات لأعلى، لتظهر في السماء سفينةَ الفضاءِ النجميّة التي أحضرت (حاملة القلادة) إلى الأرض، والتي أخفاها (عزران) عبر القرون لأنّ لها أهميةً قصوى في خطتة الكبرى لغزو الكون، ومؤخرا وجد لها مهمةً أخرى.

فبعد أن تم استخراجها من مكمنها، ودراسة تكوينها وتركيبها،

واستنساخ الآلاف منها لصنع أسطوله الرهيب، تم ترميمها، وجعلها على أهبة الاستعداد بانتظار أوامره، حتى حان الوقت، وأمر (عزران) بتهيأتها لرحلة أخيرة..

رحلة نهائية نحو الشمس..

رحلة بلا عودة تعلن نهاية كلّ أعدائه، ونهاية ذلك الجنس البائس..

الذي يدعى البشر

وفي عقله أستعاد (فاضل) كلمات (باهر) الأخيرة:

- لكلّ شيءٍ نهاية.

وهنا عاد صوت المذيعة البشع ليدوي في المكان:

- لقد تم الحكم عليهم جميعًا، بالإعدام في أعماق شمس كوكبنا، إنّها النهاية التي يستحقها كلّ أعداء السيّد..

المجد له أينما كان، وأينما سيكون..

وشهق (فاضل) وهو يفكر في نهايتهم البشعة، وكانت الفكرة التي سيطرت على كيانه:

هل سيموت حقًا، أم سيظل يتعذب في قلب الشمس مع مناعته إلى الأبد؟

ولم يجد إجابة.

* * * * *

الخاتمة

العام: ١٠٠٨ بتقويم الغزاة.

المكان: عاصمة الغزاة المركزية (عدن).

ومن أعماق الفضاء وصلت إلى كوكب الأرض رسالةً محمولةً على خيوط الليزر، من كوكبٍ بعيدٍ ينتمي إلى مجرّة أندروميدا، أقرب المجرات لمجرتنا، والتي تبعد عنا نحو ٢.٥ مليون سنة ضوئية.

وتلقتها أجهزة رصد الغزاة، ولم يبذلوا جهدًا في فهم فحواها، لأنّها كانت بالإنجليزية أحد لغاتِ البشر المنقرضين، وكانت تقول:

- لقد وصلتنا رسائلكم يا سكان كوكب الأرض.. واستغرقناوقتًا طويلًا حتى حللنا شفرتها، وتعلمنا منها أحد لغاتكم، وأدركنا أنّكم شعبٌ متقدمٌ وذكيٌ وحضاريٌ، وأنكم ترغبون في السلام .. قريبا سنرسل لكم مندوبين عنّا.. لنتبادل المعرفة والخبرات .. إن كوكبنا يشبه كوكبكم كثيرا.. لذا ستكون فرصةً مذهلة للزيارة دون القلق من المناخ أو الجاذبية. أرسلنا لكم الاحداثيات الدقيقة لموقعنا، ودائما. سنأتي في سلام..

وعندما قرأ (عزران) الرسالة ابتسم في جشعٍ وهو يجلس فوق عرشه الضخم المصنوع من الذهب، والذي تمّ وضعه فوق منصةٍ عائمةٍ فوق الماء، مقلّدًا عرش الشيطان الأعظم وأمر رجاله بإعداد السفن النجميّة لغزوٍ جديد. ومن المنصات الفضائيّة، بدأت السفن النجميّة، ذات الأقواس المضيئة، تستعد لرحلةٍ جديدة.

سيكون نتيجتها انقراض جنسٍ مسالمٍ آخر.. يسكن أحد كواكب مجردة أندروميدا.. جنسٌ أراد ذات يومٍ لقاء البشر..

وزيارة كوكب الأرض.. وأتى في سلام...

تمت بحمد الله.